عجاج نويهض

بروتوكولات حكماء صهيون



الطبعة الثانية

المجلد الثاني

الجزء الثالث والجزء الرابع

منشورات
فلسطين المحتلة

هذا الكتاب

١ – اياك ان تقف في نصف الطريق ، ايها العربي وانت واجبٌ عليك ، ان تعلم علم اليقين ، ما هي ومن هي « اليهودية العالمية » المجرمة العاملة على نسف المسيحيـــة والاسلام والحضارة كلها .

٢ – فان وقفتَ في نصف الطريق ، جنيتَ على نفسك وعلى امتك ، وتاريخك وذراريك حاضراً ومستقبلاً .

٣ – لا تغترّ بما علمتَه الى الآن عن «الصهيونية» و « اسرائيل». المهمّ ان تعرف « اليهودية العالمية » التي وراء الستار ،وهي تعمل عملها الاجرامي منذ عشرين قرناً . وما «الصهيونية» و «اسرائيل» إلاّ قفازها الخارجي . فاقرأ هذه البروتوكولات

٤ – هي قائمة على منظمات «القبالا» الدموية الفتـّاكة ، و «القبالا» من «التلمود» والتلمود عمره (١٩) قرناً ، واصله الزعم ان هذا شريعة موسى الشفوية . والتوراة المكتوبة شيء آخر .

٥ – انت في معركتين : معركة السلاح المادي والاستئصال وتطهير التربة ؛ ومعركة المعرفة اليقينية ما هي « القبالا » و « التلمود » و « اليهودية العالمية » .

٦ – ثلاثة عناصر تتألف منها المعركة : «المسيحية» و «الاسلام» والعقل العربي الجبـّار .

٧ – النصف الثاني من القرن العشرين هو للعرب في الظفر . هذا الكتاب يكشف لك عن الحقيقة .

ثمن المجلدين ٣ ل. ل. او ما يعادلها

عجاج نويهض

بروتوكولات حكماء صهيون

PROTOCOLS OF THE LEARNED ELDERS OF ZION

الجزء الثالث

وهو يبحث في التوراة واسفارهـــا ، وعرب العمالقة الذين حاربوا بني
اسرائيل قروناً منذ عهد موسى ، ويجلو قصة هامـــان الأَجاجي
العماليقي في بلاط الملك الفارسي مـــع استير ومردخاي ،
ويعرض عمل اربعة من اوائل «الحكماء» في السبي البابلي :
حزقيال وعزرا ونحميا ودانيـــال ، ويبرز حقيقة
« جُشَم العربي » كبير عرب السامرة في حركة
المقاومـــة لاعادة بناء الهيكل والاسوار
في القرن الخامس والرابع قبل المسيح

منشورات فلسطين المحتلة

مقدّمة

المجلد الثاني

●

احسب ان القارىء العربي ، وقد اطّلع على الجزء الاول والثاني في المجلد الأول ، يُقبل على مطالعة الجزء الثالث والرابع ، وفي نفسه الشوق الى ان يحيط بقضية «اليهودية العالمية» ، قدر ما استطعنا تهيئته له منسّقاً ، احاطةً تملأ نفسه يقيناً ان ما قلناه في المقدمة ، او «الكتاب المفتوح» في صدر المجلد الاول ، يعبّر عن شعوره العربي تعبيراً صادقاً .

* * *

واحسب ايضاً ان اطّلاع القارىء العربي على « البروتوكولات » ، يثير في نفسه الرغبة لكي يعلم ، قدر الامكان، ما هي ينابيعها ومصادرها ، وقد يظن ابتداءً ان تلك الينابيع والمصادر لا تعدو ان تكون من عمل قرن او قرنين من الزمان ، واليهود في معترك الامم ، فاضطروا الى وقاية

نفوسهم بمثل هذا السلاح . وليس هذا صحيحاً .وليسمح لي القارى الكريم ان اذكّره بما قلناه من موجز التعليق على البروتوكولات بعد الفراغ من ايرادها ، في آخر الجزء الثاني .

* * *

وقياماً بالكشف عن ينابيع « البروتوكولات » ، كان لا بد من أن نتناول بايجاز «التوراة» و «اسفار العهد القديم» من النواحي التي تنكشف بها الحقائق . غير ان التوغل في الماضي ، وهذا لا مناص منه ، يقودنا إلى شيء آخر ما كان يدور في خلد القارىء ان سيصل اليه في كتاب يبحث في البروتوكولات : البحث الموجز في العمالقة او العرب الاولين في سيناء وجنوبي فلسطين ، وما كان هناك من اول الحروب واشدّها وابقاها على الزمن ، بين عرب العمالقة وبين اسرائيل ، الى السبي البابلي ، وقصة استير ومردخاي في البلاط الفارسي ،وبطولة الامير العربي العماليقي «هامان»، الملقّب بالتوراة « بالأَجاجِيّ » ، هذا من ناحية ، وبطولة الأمير العربي « جُشَم » في السامرة عند عودة اليهود من السبي بمساعدة ملك فارس ، لاعادة بناء الهيكل الذي دمّره نبوخذ ناصر ملك الكلدان ، وهـــذا من ناحية اخرى .

* * *

ومتى اطلعتَ في هـــذا الكتاب أيها القارىء على من هو « جُشَم العربي » ــ هكذا لقبه في التوراة ــ مع حليفيه « سنبلّط الحوروني »

و « طوبيا العبد العموني » ، تدرك ، بعد اطلاعك على اعمال حزقيال وعزرا ونحميا ودانيال ، فضلاً عن استير ومردخاي ، كيف نشأت في ايام السبي ، الجراثيم الأولى التي جعلت بفعل الزمن تطرد وتنمو وتتحول الى ما سمّي « بالتلمود » وهذا بالتالي كانت ملتقى الينابيع ومنه استمدّت البروتوكولات روحها وهدفها وغايتها .

* * *

فالابحاث التاريخية في هذا الكتاب ليست جانبية ، وانما هي ضرورية للكشف عن الحقائق اليهودية ، وبغير وسيلة ، لا سبيل الى ذلك . فانظر في النهاية كيف امست « القبالة » و « التلمود » مستوحى البروتوكولات.

* * *

وتسمع « بالسنهدرين » ، سماعاً لا يعطيك صورة واضحة . وكذلك تسمع بمصطلحات يهودية غير مألوفة عندك . نعم ، ان «القبالة» قد ذكرت صراحةً في احد البروتوكولات ، لكن ما هي هذه « القبالة » ، وما شأنها مع البروتوكولات ، كل هذا ، على ما نعتقد ، قد جُلي جلاءً الى حدّ ليس بالنهائي ، وانما الى حدٍّ يمكّن القارىء العربي من ادراك مرامي البروتوكولات مع معرفة جذورها وينابيعها ، ان لم يكن مفصّلاً ، فعلى الجملة .

* * *

ولنا كلمة اخيرة قد تبدو غريبةً في هذا الموطن في الوقت الحاضر اوائل ١٩٦٧ : متى ما كَتَب الله تعالى للامة العربية ان يتمّ على ايديها اقتلاع شوكة اليهودية العالمية من فلسطين ، وهذا واقع باذنه ، حينئذٍ سيدرك العالم كله ، عظم الخدمة التي اسدتها هذه الامة الى العام الانساني بتخليصه من « العصابة الشريرة » التي لا تَعتبر بين البشر ، غيرَ اليهود ؛ سوى « بذرة حيوانية » وما هذه البذرة في الواقع الاّ اتباع البروتوكولات .

عجاج نويهض
رأس المتن - لبنان

١٩٦٧

١ ــ التوراة واسفار «العهد القديم»

اسفار العهد القديم كما هي اليوم

١ ــ الاسفار التاريخية

٢ ــ الاسفار الشعرية

٣ ــ اسفار الانبياء

الابحاث :

الانبياء « الكبار »

الانبياء « الصغار »

نصوص العهد القديم

اللغة الارامية تحل محل العبرية بعد السبي

الترجوم

التلمود

المجمع الاكبر

السنهدرين

الكنيس او المجمع

الترجمة « السبعينية »

كتب (الابوكريفا)

التوراة

واسفار العهد القديم

كلمة « التوراة » معناها الحرفي « التعليم » ومدلولها الاول شريعة موسى او اسفار موسى الخمسة ، ثم اتسعت مـــع الزمن حتى صارت تشمل اسفاراً اخرى لانبياء بني اسرائيل ، واسفاراً تاريخيـــة تتعلق بتاريخهم ، واسفاراً ادبية شعرية .

ومن اول امر موسى ، الى السبي والعودة من السبي البابـــلي ، واختتام أسفار التوراة ، ما يقرب من الف سنة ، ثم جُمعت على يد عزرا الكاتب – عزير – بعد العودة من السبي . وفي القرن الاول المسيحي ، في زمن يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور ، كانت ٢٢ سفراً كما ذكر هذا يوسيفوس نفسه . هذا هو « العهد القديم » . فلما اشرقت المسيحية وجاءت انوار الاناجيل سُمّي عهدها « بالعهد الجديد » ، وبانضمامه الى العهـــد القديم في التوراة في كتاب جامع واحد صار يقال « للتوراة » : « الكتاب المقدس » .

* * *

اما « العهد القديم » فيتألف من ٣٩ سفراً [١] .

---

(١) هذه هي اسفار التوراة « القانونية » المقررة عند البروتستانت ولا يدخل فيها الكتب التي ليست قانونية والمسماة « أبو كريفا » ، وهذه سنتناولها في موضعٍ تالٍ في هذه الصفحات ، وهي في التوراة الكاثوليكية .

« والعهد الجديد » من ٢٧ سفراً .

وفي كتابنا هذا نحصر الكلام في العهد القديم ، على نطاق مجمل للغاية . وانما نقوم بهذا ، لان جذور اليهود وينابيعهم تعود الى عهودهم السابقة ، فاذا شئنا ان نفهم حقائق اليهود في القرن العشرين ، علينا ان نفهم حقائقهم منذ كانوا ومنذ كانت التوراة قبل عشرات القرون ، لان « التوراة » مجالي ذلك كله ، الى اختتام نبواتهم المدونة ، والتلمود » بعد « التوراة » وقد وضع نهائياً بعد انتهاء اسفار التوراة بعدة قرون . « والقبّالة » من « التلمود » « وحكماء صهيون » وبروتوكولاتهم ، كل ذلك يعود بجذوره الى التلمود . فلا بدّ اذن من معرفة ما تقضي الضرورة بمعرفته من « العهد القديم » .

* * *

اسفار العهد القديم

في الكتاب المقدس عند البروتستانت

الاسفار التاريخية

١ — سفر التكوين
٢ — « الخروج
٣ — « اللاويين
٤ — « العدد
٥ — « تثنية الاشتراع
٦ — « يشوع
٧ — « القضاة
٨ — « راعوث
٩ — « صموئيل الاول
١٠ — « صموئيل الثاني
١١ — « الملوك الاول
١٢ — « الملوك الثاني
١٣ — « اخبار الايام الاول
١٤ — « اخبار الايام الثاني
١٥ — « عزرا (عزير)
١٦ — « نَحَمْيا
١٧ — « استير

الاسفار الشعرية

١٨ — سفر ايّوب
١٩ — « المزامير
٢٠ — « الامثال
٢١ — « الجامعة
٢٢ — « نشيد الانشاد

اسفار الانبياء

٢٣ سفر اشعيا
٢٤ — « ارميا
٢٥ — « مراثي ارميا
٢٦ — « حزقيال
٢٧ — « دانيال
٢٨ — « هوشع
٢٩ — « يوئيل
٣٠ — « عاموس
٣١ — « عوبديا
٣٢ — « يونان (يونس)
٣٣ — « ميخا
٣٤ — « ناحوم
٣٥ — « حبقّوق
٣٦ — « صَفنيا
٣٧ — « حَجّي
٣٨ — « زكريا
٣٩ — « ملاخي

اسفار العهد العتيق (*)

(في الكتاب المقدس عند الكاثوليك)

فهرس المجلد الأول

(*) هو « العهد القديم » في الكتاب المقدس عند البروتستانت .

(١) هو سفر اللاويين في العهد القديم في الكتاب المقدس عند البروتستانت .

(٢) هما سفر صموئيل الأولى وسفر صموئيل الثاني عند البروتستانت .

(٣) هما سفر الملوك الاول وسفر الملوك الثاني عند البروتستانت .

اسفار العهد العتيق

(في الكتاب المقدس عن الكاثوليك)

فهرس المجلد الثاني

اسفار العهد القديم كما هي اليوم

وتقسم حسب موضوعاتها الى ثلاثة اقسام :

١ً – الاسفار التاريخية (من ١ – ٧)

٢ً – الاسفار الشعرية (من ٨ – ٢٢)

٣ً – اسفار الانبياء (من ٢٣ – ٣٩)

اما الاسفار التاريخية فهي من سفر **التكوين** الى سفر **استير** وهي ١٧ سفراً.

واما الاسفار الشعريــة فهي من سفر **ايوب** الى سفر **نشيد الانشاد** وهي خمسة اسفار .

واما اسفار الانبياء فهي من **اشعيا** الى **ملاخي** وهي ١٧ سفراً .

اسماء اسفار العهد القديم

الاسفار التاريخية

١ – سفر **التكوين**
٢ – « **الخروج**
٣ – « **اللاويين**
٤ – « **العدد**
٥ – « **تثنية الاشتراع**
٦ – « **يشوع**
٧ – « **القضاة**

كتب موسى وفيها قواعد الشريعة الموسوية

كان لبني اسرائيل بعد تسللهم الى فلسطين، وعلى يد يشوع بعد موسى الذي لم يدخل فلسطين ، نظام عشائري ، والاسباط الاثنا عشر بمثابة قبائل ، والحروب تكاد لا تنقطع بينهم وبين أهل البلاد الاصليين من الكنعانيين ابناء عمومة العرب ، والفلسطينيين الطارئين من شرقي البحر المتوسط ، ثم الحروب الداخلية بين الاسباط، واستمرت هذه المدة (٤١٠) سنوات تقريباً وتعرف بعصر « القضاة » . وقضى بنو اسرائيل (١١١) سنة من هذه المدة وهم تحت تسلط مَن يستولي عليهم ويذلّهم من الشعوب المحيطة بهم كما سيأتي بيانه . وبعد عصر «القضاة» جاء دور ملكيتهم القصيرة الاجل .

وأما القضاة فكانوا لا يخلفون بعضهم بعضاً سلسلةً مطردة، بل كانوا على فترات ، ويظهر الواحد منهم لينقذ قومه من مستعبديهم المتسلطين عليهم ، ثم « تستريح الارض » بلغة التوراة مدةً ما ، فيغزو بنو اسرائيل متسلط آخر او احد المتسلطين سابقاً عاد يغزوهم كرةً أخرى طويلة السنين ، فيظهر فيهم من يدعو لانقاذهم وهكذا دواليك . وأول هؤلاء المنقذين **عثنيل** ، وآخرهم **شمشون** ، وشمشون قصته معظمها اسطوري ، ومن المنقذين **دبورة** وهي الرابعة في السلسلة .

٨ - راعوث امرأة مؤابية لا اسرائيلية وهي بطلة قصة . قالت التوراة اليسوعية في مقدمة هذا السفر تعريفاً له : « يعود سفر راعوث الى ما قبل العهد الملكي ، ولذلك غالباً ما يأتي بعد سفر القضاة ، لكنه في التوراة العبرية ، المألوفة عند اليهود ، مفصول عنه تماماً ، وموضوع مع عدة كتابات حديثة .. عقب **نشيد الانشاد** . لقد كان التقليد يعتبره مؤلفاً حديث

الكتابة ، وهذا صحيح . ولدينا أدلة مختلفة ، منها اللغة ذاتها في النص العبري تشير الى حداثة عهده الذي يعود الى ما بعد السبي .

« ان راعوث بطلة هذه الرواية ، داخلة في سلسلة أسلاف داود المجيدة وذلك بسبب ابنهـا عوبيد ابي يسى . فما هو جوهر هذه القصة التاريخي ؟ من المحتمل ان يكون الكاتب قد استعان في البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماماً ، ثم أضاف عـدداً من التفاصيل ليجعل الرواية اكثر حياة ويعطيها قيمة أدبية » اه .

ويؤخذ من جملة أقوال النقاد ان هذا السفر حوادثه كانت في آخر عهـد **القضاة** ، وأما متى دُوِّن فغير معروف والمؤآبيون ، والعمّونيين من نسل لوط ابن اخي ابراهيم ، والأدوميون من نسل عيسو ، وجميعهم كانوا كالعمالقة ، على عـداء مرّ مع بني اسرائيل واليهود . **والحجر المؤآبي** – مصطلح حديث عمره نحو قرن – هو حجر ناري عَثَرَ عليه احد المنقبين الالمـان سنة ١٨٦٨ في **خزبة ذيبان** – ديبون في التوراة – كانت من مدن المؤآبيين شرقي البحر الميت – وفي هذا الحجر (٤ اقدام طولاً و٢ عرضاً ، و ٣٥ سنتيمتراً سمكاً) نقش كتابي أحدثه **الملك ميشا ملك مؤآب** لتخليد انتصاره على ملك اسرائيل لمـّا ثار ميشا عليه وأخرجه من بلاده وتاريخ هذا النقش حوالي ٨٥٠ ق م .

٩ – **سفر صموئيل الاول** } صموئيل (١١٠٠ – ١٠٥٠ تقريباً) هـو صلة
١٠ - **سفر صموئيل الثاني** } الوصل بين عصر **القضاة** وعهد الملكية التي بدأت بشاول واستمرت بداود وانتهت بسليمان ثم انقسمت ثم

انشطرت الى اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة، والى يهوذا في الجنوب قاعدتها اورشليم ثم انتهت كل منهما على ميقاتها الى السبي .

١١ – **سفر الملوك الاول**

١٢ – **سفر الملوك الثاني**

١٣ – **سفر اخبار الايام الاول**

١٤ – **سفر اخبار الايام الثاني**

١٥ – **سفر عزرا** عزرا : راجع ترجمته في هذا الجزء

١٦ – **سفر نحميا** نحميا : راجع ترجمته في هذا الجزء

١٧ – **سفر استير** استير : راجع ترجمتها في هذا الجزء

* * *

الاسفار الشعرية

١٨ – **سفر ايوب** يقول ثقات النقاد انه عربي الاصل وموطنه انحاء شرق الاردن (المملكة الاردنية الهاشمية) ويرجح انه وموسى كانا متعاصرين او في وقتين متقاربين .

١٩ – **سفر المزامير** هو الزبور في القرآن الكريم : كتاب داود .

٢٠ – **سفر الامثال** ينسب الى سليمان معظمه لا كله. قالت التوراة اليسوعية في تعريفه : « ان هذه المجموعة المركبة قد اكتملت دون شك بشكلها النهائي بعد السبي » .

٢١ – **سفر الجامعة** قالت التوراة اليسوعية في تعريفه : « ان سفر الجامعة لهو في الحقيقة اشد اسفار الكتاب المقدس غموضاً واجدرها

في تضليل القارىء » . ثم تبين وجوه الغموض مما لا محل لايراده هنا .

٢٢ - **سفر نشيد الانشاد** قالت التوراة اليسوعية في مقدمته ان انبياء اسرائيل كهوشع وارميا وحزقيال قد شبهوا علاقات الشعب مع آلهته بعلاقات الزوجة بزوجها ، وان دخول هذا السفر في الاسفار المقدسة انما هو تجاوب مع هذه الصفات . اما في النصرانية فالكنيسة هي عروس النشيد . والسفر يعود الى عصر متأخر ولا ريب .

* * *

اسفار الانبياء

٢٣ -**سفر اشعيا** في ايامه وقع سبي مملكة اسرائيل على يد سرجون الاشوري . قالت التوراة اليسوعية في مقدمته : « دعي اشعيا الى الرسالة النبوية سنة ٧٤٠ » . وقالت : « يعتبر اشعيا في العموم كأعظم الانبياء » . وقال « هالي » : « اشعيا يطلق عليه النبي المسيحاني من كثرة تشبع نبواته ان من شعبه سيظهر المسيح » . سفره هذا هو من جملة ما اكتشف سنة ١٩٤٧ من رقوق وادراج في « كهف قمران » قرب البحر الميت وقالوا ان اشعيا عاش ٨٠ سنة منها ٦٠ في النبوة . وقال قاموس الكتاب المقدس : « يعتبر اشعيا اعظم انبياء العهد القديم قاطبة » ، وقال ايضاً : « وكان اشعيا مصلحاً اجتماعياً ، ففي الاصحاحات من ١ - ٥ نراه يلوم شعبه اشد اللوم ويوبخهم اقسى التوبيخ بسبب رشوتهم وتعويجهم القضاء وظلمهم للمسكين ، ولأجل بذخهم وترفهم ، ولاجل طمعهم وجشعهم وسكرهم ، ولاجل انعدام الاحساس الخلقي عندهم. اما كسياسي ، فقد ادرك اشعيا تمام الادراك وبارشاد روح الله شؤون عصره والاحوال التي كانت سائرة فيه » .

واما الكتاب المسمى بكتاب « صعود اشعيا » فانــه من
الابوكريفا .

٢٤ – **سفر ارميا** هو من قرية قرب بيت المقدس وفي ايامه وقع سبي يهوذا .
وقالت التوراة اليسوعية في تعريفه : « فطوال السنين المفجعة
التي تهيأ فيها ، وحدث خراب مملكة يهوذا ، لا يفتأ ارميا
ينـدّد بمغامرات الملوك السياسية وفساد الشعب الديني .
ومأساة دعوته النبوية تكمن في المعركة الدائمة التي تمزق نفسه .
لقد نذر ارميا نفسه لشعبه ، لكنه يرى ذاته مجبراً على محاربة
الملوك والكهنة والانبياء الكذبة والاشراف والشعب بأسره » .
وبعد خراب بيت المقدس اختفى عن المسرح .

٢٥ – **سفر مراثي ارميا** بكى ارميا خراب المدينة . قالت التوراة اليسوعية
« تشبه مواضيع المراثي مواضيع سفر ارميا ومواضيع حزقيال
بعض الشبه . لقد اسندت الترجمة اليونانية القديمة هذا الكتاب
الى ارميا ، ولكن هذا الاسناد لا يستطيع ان يعرض علينا
بصورة جازمة ، فالمراثي في العبرية لا تحمل اسم ارميا » .
لهذا دعي **بالنبي البكاء** .

٢٦ – **سفر حزقيال** راجع موجز ترجمتنا له في الجزء الثالث من هذا الكتاب

٢٧ – **سفر دانيال** راجع موجز ترجمتنا له في الجزء الثالث من هذا الكتاب

٢٨ – **سفر هوشع (يوشع)** كان في آخر مدة المملكة الشمالية ، وشهد قبل
ذلك المملكة وهي في القـوة ، وبقي حتى شهد انحدارها .
وهو في شبابه كما يقول هالي (ص ٣١٦) كان معاصراً لعاموس
وفي شيخوخته لأشعيا وميخا . ولما كان فتى ، فلعـله لقي
يونان .. قبـل ظهور هوشع بنحو ٢٠٠ سنة كانت الاسباط

العشرة قد انفصلت عن مملكة داود وانشأت لها مملكة مستقلة واتخذت من **العجل الذهبي** معبوداً قومياً رسمياً . فأرسل الله اولاً ايليا (الياس) فاليشع (اليسع) فيونان (يونس) فعاموس ثم هوشع ، وبقيت رقاب الشعب غليظة بان تمسكوا بالوثنية فلم يرتدوا عنها .

٢٠ - **سفر يوئيل** قال هالي (ص ٣٢٠) : « يعدّ يوئيل من اقدم انبياء المملكة الجنوبية » . وكانت مدته آخذة من القرنين التاسع والثامن . وفي ايامه المجاعة والجراد بكثرة عظيمة . قال هالي ان اعداء يهوذا في ايامه كانوا :

١ – الصيدونيين (فينيقيا المجاورة من الشمال)

٢ – والفلسطينيين (في السهول الساحلية وشمال فلسطين الغربية) .

٣ – والمصريين .

٤ – والأدوميين في شرق الاردن .

٣٠ - **سفر عاموس** كان في مملكة الجنوب ووجه كلامه الى مملكة الشمال ايضاً . كان في القرن الثامن . يقول هالي ان نبوة عاموس كانت حوالي ٧٥١ ، ولعله في شبابه ادرك يونان وسمع عنه قصة رحلته (رحلة يونان) الى نينوي . ولعله ايضاً لقي اليشع وسمع منه اخبار صحبته (صحبة اليشع) لايليا . ولما اقبلت نبوة عاموس ، كانت ايام يونان واليشع قرب النهاية ، وقد يكون يوئيل من معاصريه او تقدمه بقليل . وهوشع كان يعمل معه . وهو يتنبأ بخراب اسرائيل والامم المجاورة: سوريا والفلسطينيين وفينيقيا وادوم وعمون ومؤاب ، ويهوذا

واسرائيل . ويصف لكل فريق من هؤلاء من المعاصي ثلاثاً او اربعاً ، ويشير الى السبي ، وبعد ٥٠ سنة وقع السبي. وهو من قرية جنوبي القدس . ولم يكن عاموس من الكهنة ولا محترفاً النبوة، فهو اقرب الى ان يكون احد افراد العامة.

٣١ — **عوبديا** عدو ادوم وانصبت نبوته عليها ، وادوم عدو المملكتين الشمالية والجنوبية ، ويرجح انه كان في عصر خراب اورشليم على يد بابل .

٣٢ — **يونان (يونس)** وقصته المشهورة : ارسل الى نينوى ، ومن يافا ركب سفينة الى ترشيش وثار البحر وهاج فأشرفت السفينة على الغرق ، فسألوه فقال أنا عبراني وهارب من وجه الرب ، فألقوه في البحر فالتقمه حوت ، وبقي في جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ثم قذفه الحوت الى اليبس . ووصل الى نينوى وأدى رسالته .

هذا في التوراة . واما في القرآن الكريم ، فقد ذُكر يونس (يونان) في عدة من الآي الكريمة : في « سورة يونس » ٩٨ وفي (سورة النساء) ١٦٢ وفي (سورة الانعام) ٨٦ وفي (سورة الصافات ١٣٩ — ١٤٨) وهنا قصة أن الحوت التقمه .

٣٣ — **سفر ميخا** هو ميخا المورشتي . نبوته الى المملكتين في القرن الثامن . وهو من قرية قرب حدود الفلسطينيين وبيت جبرين الحالية في قضاء خليل الرحمن . تنبأ بخراب المملكتين « كل ذلك من اجل معصية يعقوب وخطايا آل اسرئيل » (ميخا ١ ٥)

٣٤ — **سفر ناحوم** هو ناحوم الالقوشي ونبوته في القرن السابع وهو تنبأ بخراب نينوى وهو بعد يونان (يونس) بنحو ١٥٠ سنة .

٣٥ – **سفر حبقوق** تنبأ بسقوط بابل ونبوته بين ٦٢٥ و ٦٠٦ .

٣٦ – **سفر صفنيا** هو من نسل حزقيال ، وكانت نبوته قبيل خراب اورشليم على يد بابل . ودعا على مدن الفلسطينيين : غزة وعسقلان واشدود وعاقر (عقرون) حتى ساحل البحر كله ، وعلى مؤاب وعمّون والكوشيين (الحبشة) وأشور .

٣٧ – **سفر حجّي** هو وزكريا وملاخي عملوا في مشروع اعادة بناء الهيكل بعد العودة من السبي من سنة ٥٢٠ – ٥١٦ واخباره في سفر نحميا وسفر عزرا .

٣٨ – **سفر زكريا** عمل زكريا مع حجي ، وحجي في الشيخوخة ، وهو الحادي عشر من الانبياء الصغار الاثني عشر ، وكان من الانبياء الذين عملوا على شدّ عزائم اليهود ، عند العودة من السبي ويقول النقاد ان سفره كتب في العصر الفارسي .

٣٩ – **سفر ملاخي** مدته غير معلومة التاريخ ، ويقول النقاد انه عاش ١٠٠ سنة بعد حجي وزكريا ، وكانت له صلة بعزرا ونحميا (٤٥٠ – ٤٠٠) وكان من الداعين الى انعزال اليهود عن جميع الشعوب المجاورة ولا زواج بين اليهود وغيرهم .

الانبياء الكبار – الانبياء الصغار

والانبياء الذين لهم اسفارهم في « العهد القديم » هم الذين حُفظت ودُوّنت نبواتهم في أوقاتهم أو في وقت لاحق . وأما الذين لم تجمع وتدون نبواتهم ، فكانت شفوية ، فلم يكن لها سبيل الى مجموعة اسفار « العهد القديم » . فان « ايليا » ، مثلاً ، (الياس) [1] لم تدون نبوته ، وهو عــاش في المملكة الشمالية في القرن التاسع ق. م. في ايام آخاب الذي قالت فيه انه شرّ ملوك اسرائيل ، وزوجته ايزابل ابنة « ثيوبعل » بن حيرام ملك صور ومن كهّان عشتروت ، وايزابل هذه نشرت عبادة البعل في المملكة ، وكان حولها وبين يديها جيش يعدّ بالمئآت من « الانبياء الكذبة » او « انبياء البعل » . وعند اليهود الانبياء « الكبار » ، وهم اربعة « والصغار » وهم ١١ نبياً ، هؤلاء هم الذين دونت وحفظت نبواتهم « فالكبر » « والصغر » معنــاه مَن نبوته المدونة اطول أو أقصر .

ولم تجمع أسفار التوراة الا بعد الرجوع من السبي .

ويقول العلماء ان اكتسابها المنزلة المقدسة،وهذا ما يعبّرون عنه « بالاسفار القانونية » ، حصل تدرجاً ، فكانت كتب موسى الخمسة ، هي الاولى ، ثم صار يضاف اليها كتب الانبياء والشعر .

---

(١) قال الزمخشري في «الكشّاف» في تفسير قوله تعالى « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين». وهي آية ٨٥ من سورة «الانبياء» : ـ «قيل في ذي الكفل هو الياس ، وقيل زكريا ، وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله ، والمجدود على الحقيقة. وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه ، وضعف ثوابهم . وقيــل خمسة من الانبياء ذوو اسمين : اسرائيل ويعقوب ، الياس وذو الكفل، عيسى والمسيح ، يونس وذو النون ، محمد واحمد» .

واسفار الانبياء تختلف قصراً وطولاً ، فسفر اشعيا هو اكبرها يشتمل على ٦٦ اصحاحاً ، او فصلاً [١] ، وليس في التوراة سفر اكبر منه الا المزامير (الزبور) ، بينما اسفار الانبياء الاثني عشر الصغار ، من هوشع الى ملاخي ، عدد فصولها او اصحاحاتها جميعـــاً ٦٧ فصلاً ، وعوبديا ، احد هؤلاء الاثني عشر ، سفره كناية عن فصل واحد يشغل صفحة وبعض الصفحة . وعوبديا هذا ، تنبؤه انطوى على دعاءٍ حارٍ ملحّ على ادوم بالخراب ، وادوم كان عدو اسرائيل ، كالعرب كما تقدم ، وهذا الدعاء كان اثر تخريب اورشليم ، واورشليم خربت مراراً ، والمرجح ان الخراب الذي شهده عوبديا هو خراب نبوخذ ناصر اواخر القرن السادس ، وفي تنبؤ عوبديا شيء يسترعي الانتباه من القاريء العربي ، فيقول القس سيكل سيل صاحب « المرشد الى الكتاب المقدس » بالعربية (بيروت ١٩٥٨) في باب موقف المسيحية من (العهد القديم) ص ١١ ما يلي: —

« فاذا قلتم أليست التوراة كتاباً خاصاً باسرائيل ؟ فما لنا ولاسرائيل وكتبها ؟ فالجواب : نعم ان الله كلـّم شعب اسرائيل على يد فئة صالحة من ابناء هذا الشعب . وكان كل ما تكلم به هؤلاء الانبياء من وحي الله وليس منهم . ثم ان الله لم يجعل وحيه وقفاً على امة اسرائيل فقط . فقد كلم الله مثلاً ايوب في سفر من اسفار العهد القديم ، وايوب ، على مـا يعتقد ، عربي وليس من بني اسرائيل . وفي مكان آخر من التوراة ان مـلاك الرب يكلم هاجر عن اسماعيل ، الذي صار فيما بعد اباً لقبائل عدنان ومعد ونزار وربيعة وهي قبائل عربيه صميمة . وهناك يونان (يونس) فقد تنبأ عن مصير نينوى التي كانت عاصمة الاشوريين . وكذلك النبي عوبديا ، فقد تنبأ عن ادوم وعما يعتقد ان تكون نبوءته تشير الى فتح العرب لبلادهم اه . اي بلاد الأدوميين .

* * *

(١) الترجمة البروتستانتية استعملت لفظة « اصحاح » والترجمة اليسوعية استعملت لفظة « فصل » .

وهنا نقطتان ، الاولى : ان تنبؤ عوبديا ، وهو اسرائيلي ، بخراب ادوم عدو اسرائيل ، رأينا معناه في كيف جرت المقادير بعد ذلك : بعد تخريب نبوخذ ناصر لبيت المقدس والهيكل ، وبعد وقوع السبي ، اورث الله الادوميين ديار يهوذا الجنوبية ، من الخليل الى بئر السبع ، فشرقاً الى وادي عَربَة حيث يتصل هذا بتخوم ادوم ، وبقي الادوميون هم الوارثين نحو اربعة قرون ، ومن الادوميين هيرودس الكبير الذي اجملنا الاشارة اليه في هذا الكتاب فخرج من الادوميين ملوك حكموا اسرائيل او اليهود نحو مئة سنة . نعم ان المكابيين لما اعصوصبوا مؤقتاً في القرن الثاني والاول ق.م وهم بين اعداء يحيطون بهم ، تغلبوا على ادوم واذلوهم وحملوهم على الختان ، لكن المكابيين لم يلبثوا الا قليلاً حتى دثروا وانهاروا ، ولحقوا بالغابرين من بني قومهم لما جاءهم الرومان بسياط العذاب ، فتشلتوا ثم لم تقم لهم بعدذلك قائمة . وكل ما نضعه في هذا الكتاب المراد به الادلة المشتقة من النواميس الكونية على ان « اسرائيل » ، مهما تصنعت من مظاهر الوجود ، وتريد كيان دويلة في الخضم العربي الزاخر بالقوى المستيقظة من روحية ومادية ، فنهايتها النهاية التي يصفها تاريخ اليهود .

والنقطة الثانية ، قول صاحب « المرشد الى الكتاب المقدس » من ان عوبديا قد تنبأ عن ادوم وعما يعتقد بان تكون نبوته تشير الى فتح العرب لبلادهم . فالانباط العرب كانوا الاولين في تحقيق نبوة عوبديا ، اذا كانت نبوته نبوة ، فهم بدأوا في احراز ميراث الادوميين منذ القرن الخامس ق.م. وظلوا يقوون حتى بلغوا الذروة في القرن الثاني قبل الميلاد الى الثاني بعد الميلاد وكان « الحارث » اسم اغلب ملوكهم حتى صار ذلك بمثابة لقب لهم كالأذواء في اليمن وفي القرن السابع كانت موجة الفتح العربي الاسلامي فتحاً خالداً .

* * *

واما العبارة التي في سفر عوبديا ، والتي تتضمن النبوة بفتح العرب لادوم ،

فليست واردة الا بالرمز والتأويـــل ، لا بالصراحة ، ولعلها هي هذه : « ويرث الجنوبُ جَبَلَ عيسو » وجبل عيسو هو بلاد ادوم . وهنا لم يكن من تأويل معقول الا ان تكون اشارة عوبديا تعني الامة التي وراء ادوم وهي الامة العربية ومنها الانباط (عوبديا ١ : ١٩) .

* * *

ومنذ زمن السبي فما بعد ، الى قبيل العهد المسيحي ، وُضِعت كتب دينية عديدة ، غير انها لم تكن لتنتهي الى مجموعة أسفار العهد القديم ، وانما اتخذت طريقها فيما بعد الى التلمود حتى تكوّن من كل ذلك الشيء العجيب الغريب ، وقالوا ان هذا هو شريعة موسى الشفوية لقّنها أخاه هارون ، وهارون لقّنهـــا الكهنة . قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس ، وقد عاش في القرن الاول المسيحي (٣٧ — ٩٥ ؟) : « ان ما عندنا من الاسفار لا يزيد على ٢٢ سفراً ، تشتمل على أخبار الزمان كله وعلى الكتب المعتقد انها سماوية . ومن هــذه الكتب خمسة هي أسفار موسى تنطوي على شرائعه والروايات المأثورة التي تحدّثنا عن بداية الجنس البشري والتيه ، حتى وقت وفاة موسى . ومن وقته الى زمن ارتحشستا (ملك فارس ٤٦٥ — ٤٢٤ ق.م) قام الأنبياء الذين جاءوا بعــد موسى بكتابة تاريخ الحوادث التي وقعت في أزمنتهم ، وجاء ذلك في ١٣ سفراً ، فهذا مجموعه ١٨ كتاباً ، أما الكتب الاربعة الباقية فهي كتب الترانيم والتسابيح وقواعد السلوك للانسان في الحياة . ومن زمن ارتحشستا الى وقتنا هذا دونت الحوادث كلها ، غير ان هذه المدونات الحديثة بقيت منزلتهـــا منخفضة عن منزلة المدونات السابقة بمراحل ، وذلك لانقطاع السند بين نبي سابق ونبي لاحق ، فحدثت الفجوة وكان الفراغ . وواضحٌ ما نحن عليه من تقديس شامل للتوراة . فلم يستطع أحد بعد ذلك على الاطلاق ان يضيف اليها حرفاً واحداً في سفر من أسفارها ، او ان يحذف منها حرفاً او يبدل منهـــا حرفاً ، رغم تطاول الزمن بين انقطاع سند الأنبياء وزمننا هذا . حتى بات من المعتقد الغريزي عندنا ان اليهودي يولد ويولد معه الاعتقاد ان التوراة

من الله ، وعليه ان يرعى ويطيع احكامها ، بل لا يتردد في ان يبذل مهجته في سبيل الدفاع عنها اذا دعته الحال [١] (هالي ص ٣٥٧) .

* * *

نصوص العهـــد القديم

اجمل هالي صاحب **التوراة المختصرة** الكلام في هذا الباب فقال :

« يعتقد ان أسفار العهد القديم كُتبت بالاصل على رقـــاع من الاديم او الجلد ، وكُتبت كلها بالعبرية ، ما عدا شيئاً قليلاً من سفري عزرا ودانيال ، فهذا القليل كتب بالآرامية ، والكتابة خط يد .

«والحروف العبرية هي المعروفة بالمربعة ، وتكتب من اليمين الى اليسار ، مع استعمال نقط او علامات شكل لتيسير حروف العلة (اذ طريقة هذه الحروف نهائياً لم تكن لتستقر على اوضاعها الباتـّة قبل القرن السادس للميلاد) ومع ان الكتابة كان يفرغ فيها الجهد ابتغاء اتقانها وتجويدها فقد بقيت صورتها تحتمل ان تقرأ قراءآت على عدة وجوه ، والظاهر في بعض الحالات كانت تحشيات النسّاح وتعليقاتهم وشروحهم ، تلحم بالنص الاصلي وتدمج به على يد ناسخ بعد ناسخ. غير ان هذا الامر ، وقد قتله البحّاث المحـدثون تمحيصاً ، قد غالوا في تصويره ، ولما اخترعت الطباعة ، انتفى خطر وقوع هذه الأخطاء . وبعـد عمل طويل شاق قام به العلماء لمدة طويلة في مقابـــلات العديد من النصوص

---

(١) ذكر « هالي » صفوة ترجمة يوسيفوس فقال : « ولد في بيت المقدس سنة ٣٧ ب.م في بيت من الطبقة الارستقراطية . واستوعب حتى ارتوى من الثقافتين اليهودية واليونانية . وكان حاكم « الجليل » وقائداً عسكرياً في حروب اليهود مع رومية ، وشهد تخريب بيت المدس سنة ٧٠ ب.م على يد الرومان . فأخِذَ الى رومية ، وهناك انقطع الى الدراسة وألـّف أربعة كتب: « الحروب اليهودية » و « آثار اليهود » و « الرد على ابيون » والكتاب الرابع ترجمة حياته ، ومن كتابه الثالث « الرد على ابيون » نقل هذا المقتبس ، والترجمـة هي لنا ، وهذا المقتبس مشهور ، ذكره كثير من أهل التاريخ .

المخطوطة بعضها على بعض ، استقر النص العبري على ما هو الاصح على ما بلغه الجهد ، وهذا المعروف بالماسورة (هالي ص ٣٦١) قلنا : وقد تم هذا قبل القرن العاشر المسيحي . ويرى القارىء بحثاً وافياً حول هذا الامر عند الكلام على «التلمود» .

* * *

اللغة الارامية تحل محل العبرية

« كانت الآرامية هي اللغة الشائعة في فلسطين في عصر المسيح ، وهي في سوريا اقدم منها في فلسطين ، والشبه شديد بينها وبين العبرية . وبعد الرجوع من السبي البابلي ، اخذت الآرامية تحل محل العبرية شيئاً فشيئاً حتى صارت لغة التخاطب بين الناس» (هالي – المصدر السابق). قلنا ، وبعد المسيح بسبعة قرون او اقل ، حلّت العربية المضرية الخالدة محل الآرامية .

* * *

الترجوم

« الترجوم هو ترجمة العهد القديم من العبري الى الآرامي ، ولما شاعت الآرامية وصارت هي اللسان الحي الجاري ، بات من الضرورة وقت الصلاة وعند قراءة التوراة ان تفسر معاني الكلمات العبرية من الكلام القديم ، وكان هذا التفسير يقع شفوياً في الكنيس والناس يسمعون ، وبعدئذ جمع هذا كله وافرغ في صيغة كتابية فقيل له الترجوم . » «المصدر السابق»

* * *

التلمود

« هو مجموعة تقاليد يهودية سماعية تتعلق بالعهد القديم ، وقد جمع هذا

كله في صيغة كتابية في القرن الثاني الميلادي،ثم اضيفت اليه شروح وزيادات. «المصدر السابق » .

قلنا : يحسن بالقارىء ان يرجع الى الفصل الذي جمعناه في الجزء الرابع من هذا الكتاب حول التلمود . فكلام «هالي» هذا يصف التلمود من ناحية جدّ عامة مقتضبة لا تكشف شيئاً من الغطاء عنه ، والكشف عن التلمود الغاية الكبرى من وضعنا هذا الكتاب .

* * *

المجمع الاكبر

« وهو مؤلف من ١٢٠ عضواً ، ويقال ان واضع اسسه نحميا حوالي سنة ٤١٠ ق. م تحت رعاية عزرا ، والقصد منه اعادة تنظيم امور العبادة والحياة الدينية بعد السبي ، مما كان عاملاً قوياً ، كما تفيد التقاليد اليهودية ، في جمع اسفار العهد القديم وترتيبها لتعود الى منزلتها السابقة . واستمر المجمع الاكبر في عمله هذا وهو يهيمن على شؤون اليهود الذين عادوا من السبي ، حتى سنة ٢٧٥ ق.م فتوقف وجاء بعده مجلس السنهدرين» «هالي ص ٣٦٢»

* * *

السنهدرين

« هو الهيأة العليا المسيطرة على الشعب ، ولا من ينازع هذه الهيأة ، والسنهدرين كان في عصر السيد المسيح وهو الهيأة اليهودية التي حاكمته وسلمته الى بيلاطس البنطي طالبة صلبه . ويظن ان اول ظهوره كان في القرن الثالث ق.م وكان مؤلفاً من ٧٠ عضواً معظمهم من الكهنة واعيان الصدوقيين ومن بعض الفريسين والكتبة وشيوخ يمثلون جهة الاسباط ، وكان الكاهن الاكبر يرأس السنهدرين ، ثم اضمحل بخراب القدس سنة ٧٠ ق.م على يد تيطس الروماني» « المصدر السابق » .

قلنا : موضوع السنهدرين في كتابنا هذا خطيرٌ للغاية ، وليست هـــذه الخطورة هي من جهة المعلومات التاريخية عنــه فيما مضى ، بقدر ما هي من جهة ما لكلمة « سنهدرين » اليوم • عنـــد الكتّـاب المعنيين بدراسة نشاط اليهودية العالمية واجهزتها الخفية، من مدلول على هذه الاجهزة الخفية والمنظمات المحجوبة . فكلمة «سنهدرين» اليوم يتجه معناها الى الهيئة الخفية . ولذلك يحسن بالقارىء اذا احبّ ، ان يعود الى ما كتبناه حول هـــذا الموضوع في موضع آخر من هذا الكتاب . السنهدرين اليوم « كالقبالة » .

* * *

الكنيس او المجمع

اصطلح مترجمو التوراة على ترجمة معبد اليهود واسمه الكنيس او الكنيست بلفظة المجمع . والكلمة الانكليزية هي Synagogue واصلها يوناني. والبرلمان الاسرائيلي او مجلس النواب عند يهود اسرائيـــل يطلقون عليه «الكنيست» . قال هالي في صدد المجمع او الكنيس وأصل منشأه :

« نبتت نبتة الكنيس في ايام السبي في بابل . اذ بعد ان امسى الهيكل خراباً ، والشعب مشتتاً، مسّت الحاجة الى امكنة للعبادة ، وتلقي ارشادات الكهنة ، في كل بقعة حلّ فيها اليهود. وبعد العودة من السبي ، ظلت المجامع تسير سيرها في الرقعة اليهودية في فلسطين وفي اي مركز آخر احتشد فيــه اليهود في الخارج حيث كانت منهم جماعات بقيت هناك فلم تشأ ان تعود إلى فلسطين .وفي كل مدينة من المدن الكبرى كان لليهود مجمع او مجمعان او اكثر، واما في القدس ، فمع ان فيها الهيكل ، فقد اقيمت فيها عدة مجامع وكان يشرف على كل مجمع هيئة من الربيين او الحكماء . وكان في حيازة كل واحدمن هؤلاء نسخ من كتب التوراة ، وكانت تقرأ في الصلوات قراءات منتظمة على مسمع من جمهور المصلين » .

* * *

الترجمة السبعينية

« الترجمة السبعينية » – هكذا درج تلفظها في العربية على اختلاف محلها من الكلام – هي نقل « العهد القديم » من العبرية الى اليونانية ، وقد تمت هذه الترجمة في الاسكندرية حيث كان هناك عدد كبير من اليهود يتكلمون اليونانية . ومن التقاليد ان هذه الترجمة انما وقعت تلبية لرغبة بطليموس فيلادلفوس[1] (٢٨٥ – ٢٤٧) فأُرسل سبعون عالماً لغوياً يهودياً من اورشليم الى مصر من اجل هذه الغاية . فتَتُرجم من العهد القديم كتب موسى الخمسة ، اولاً ، ثم صارت تضاف بقية الاسفار الى الترجمة . وانما سميت « بالسبعينية » لأن الذين اتموها هم سبعون رجلاً عالماً . وهناك روايات تقليدية عديدة غير صحيحة ، تتعلق بهذه الترجمة . غير انه من الثابت ان الترجمة قد بدىء بها في عصر بطليموس فيلادلفوس ، وتمت الترجمة في خلال المئة السنة التالية للسنة الاولى من العمل . وكانت اليونانية اللغة العالمية في ذلك العصر . وهذه الترجمة هي التي كانت شائعة زمن المسيح ، والعهد الجديد كتب باليونانية ، والشواهد التي فيه مأخوذة من السبعينية » « المصدر السابق » .

* * *

الكتب « الابوكريفا »[2]

اجمل هالي قصة الابوكريفا في ص ٣٥٧ من كتابه فقال :

« هذا الاسم يطلق عادة على اربعة عشر كتاباً – وهذه الكتب توجد في

---

(١) قالت « موسوعة تاريخ العالم » : « معناه (المحب اخته) لأخذه بعادة الفراعنة اذ تزوج اخته « ارسينوى الثانية » وهو مؤسس متحف الاسكندرية وقام باستكشاف مجرى النيل الاعلى، وانتهى نفوذه الى سواحل البحر الاحمر والانحاء الشمالية من جزيرة العرب ترويجاً للتجارة.

(٢) هي كتب دينية مشكوك في صحتها ، لا توجد في التوراة البروتستانتية وانما توجد في التوراة اللاتينية ، وهنا يبين « هالي » صفتها بما فيه الكفاية . وكلمة ابوكريفا يونانية الاصل معناها المخفي ، المستور .

بعض نسخ التوراة في العهد القديم والعهد الجديد . واول ما ظهرت هـــذه الكتب في القرون الثلاثة الاخيرة قبل المسيح ، وعلى الغـالب يشك في اسماء مؤلفيها ، وقد اضيفت الى « الترجمة السبعينية » . والترجمة السبعينية تم بهـا نقل العهد القديم من العبري الى اليوناني ، والكتب التي عُدَّت من الابوكريفا انما وضعت بعد انطواء عصر نبوّات العهد القديم والوحي السماوي .

« ويوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي رفض هذه الكتب جملةً وتفصيلاً ، ولم يكن اليهود ليعترفوا بها من جهة انها تؤلف جانبـــاً من التوراة ، والمسيح لم يذكر منها شاهداً واحـــداً ، وكتب العهد الجديد لم تعرج عليها بقليل او كثير ، والكنيسة الاولى لم تلتفت الى هذه الكتب ، اذ لا سند قانوني لها ولم تعتبرها من كتب الوحي .

« ولما ترجمت التوراة الى اللاتينية في القرن الأول بعد المسيح ، فقد ترجم العهد القديم لا من العهد القديم العبراني ، بل من الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم . فنقلت هذه الكتب الابوكريفا من الترجمة السبعينية الى النسخة اللاتينية (النسخة الشعبية) [١] التي امست شائعة ، في اوروبا الغربية حتى حركة الاصلاح البروتستانتي ، وحركة الاصلاح قامت على الاعتصام بكلمة الوحي السماوي دون غيره ، فنبذت الابوكريفا اذ ليست هي جزءاً من كلمة الوحي ، وعلى هذا كانت الكنيسة الأولى وقدماء العبرانيين .

« ثم كان مجمع « ترانت » سنة ١٥٤٦ ميلادية ، وغـــايته مناهضة البروتستانتية ، فاعلنت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قانونية الابوكريفا ، ومنذ ذلك الحين وكتب الابوكريفا توجد في التوراة اللاتينية » . اهـ .

* * *

وانتقل معنى « ابوكريفا » الى الأدب والعلم من حيث الاستعمال، فلذلك تستعمل الكلمة في وصف الكتب المنحولة أو غير الصحيحة ، وهي باقية على لفظها هذا .

---

(١) Vulgate بالانكليزية . وقام بترجمتها القديس جيروم (٣٨٣ – ٤٠٥) .

وهذه هي كتب الابوكريفا

١ و ٢	سفر ازدراس[١] الاول والثاني	٨	سفر باروخ
٣	» طوبيت	٩	» نشيد الفتيان الثلاثة المكرمين
٤	» يهوديت	١٠	» تاريخ سوسنة
٥	» استير [٢]	١١	» بعل والتنين
٦	» حكمة سليمان	١٢	» صلاة منسى
٧	» حكمة يشوع بن سيراخ	١٣و١٤	» سفر المكابيين الاول والثاني

وهذه الكتب أو الأسفار « الابوكريفا » تجدها في « الكتاب المقدس » – الترجمة اليسوعية – .

* * *

(١) « ازدراس » هي « عزرا » باللغة اليونانية .
(٢) هي السبعة فصول المضافة الى السفر .

العمالقة

او العرب الاولون اول من قاتل بني اسرائيل زمن موسى ـ هامان
الاجاجي العماليقي حاول تصفية اليهود قبل خمسة وعشرين
قرنـــاً ـ استير ومردخاي

● ●

« هؤلاء ابناء العمالقة ! هؤلاء ابناء العمالقة ! »

من قول بن غوريون في البرلمان الاسرائيلي سنة ١٩٥٦ لما صار الفدائيون العرب يباغتون اليهود في المنطقة المحتلة ، ويروّعونهم في الليالي المدلهمة ، حتى صارت المدن اليهودية والمستعمرات تطفيء الانوار ليلاً وصار اليهود يلجأون الى منازلهم عند الغروب ليقوا انفسهم من الفتكات المذهلة المباغتة فتكلم بن غوريون في البرلمان (الكنيس) وصاح هذه الصيحة مرتين .

●

ينبغي للقاريء العربي ، اينما كان يسكن ويقيم في العالم العربي ، ان يجعل يقظته الذهنية الفكرية في استيعاب صفوة الحقائق التاريخية التي لا بد من الاحاطة بها اليوم ، يقظةً اشمل واوسع ما يمكن ، اذ في ذلك زيادة اطلاع على اسرار خفايا اليهود المنسابة في صدورهم ، وتتغـــذى بأرواحهم ، طول مجرى تاريخهم . واخصّ ما نعني بالحقائق التاريخية ما يتعلق بالعرب واليهود منذ خروج بني اسرائيل من مصر . ومن هذه الحقائق ما يتعلق بالعمالقة ، وهم من العرب الاولين ، وهامان الذي كان في البلاط الفارسي في القرن السادس ق.م وجرت القصة الكبرى بينه وبين استير ، هو من العمالقة ، بل امير عماليقي ، قد يكون متحدراً من بيوتات الملك .

اول عراك بين بني اسرائيل والشعوب العربية ، وابناء عمومة العرب ، في فلسطين غربي الاردن ، وفي الانحاء المختلفة شرقي الاردن ، وهو العراك الاشد قوة ، والاطول امداً ، والذي اوصى موسى بالمضيّ فيه الى الابد ، هو العراك الذي كان بين بني اسرائيل والعمالقة .

* * *

ونوجز الكلام في هذا المساق التالي :

١ – العمالقة هم اول شعب عربي قديم ذو عصبية قوية الشكيمة ، في شرق سيناء وجنوب فلسطين ، وقف بالسيف في وجه بني اسرائيل ، لما خرج هؤلاء من مصر ، فخرجوا بقيادة موسى ، للاستيلاء على الارض ، او سعياً وراء اول ما تجوز تسميته « بالوطن القومي الاسرائيلي » . وموسى ويشوع شَهِدا هذا الحرب في سيناء ، وسجل تراث بني اسرائيل يوم كان يطلق عليهم « بنو اسرائيل » ، ثم تراث اليهود ، منذ صار يطلق عليهم « اليهود » ، ان اشد عداوة رآها بنو اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، هي التي ذاقوا مرارتها على يد العمالقة . واستمرت هذه العداوة لا اقل من تسعة قرون ، حتى بعد رجوع بني اسرائيل من السبي في القرن السادس والخامس قبل المسيح .

٢ – جميع الشعوب العربية ، وبنت عمومة العرب : وهم المِدْيانيون ، وبنو قِيدار ، والاسماعيلية ، هذا في الجنوب والشرق من فلسطين ، والعمونيون والمؤآبيون والادوميون ، هذا في الشرق من الاردن ، والكنعانيون في اواسط البلاد فشمالاً ، المقيمون في المدن وعاصمتهم « حاصور » قرب الحولة ، والفلسطينيون [1] الذين جاؤوا من كريت وشرقي البحر المتوسط في عصور « اوغاريت » (المكتشفة حضارتها الكنعانية وآثارها

(١) يرى الكاتب نفيل باربر البريطاني المعاصر في كتابه Nisi Dominus (١٩٤٦) ان بقايا الفلسطينيين لعلهم اندمجوا بالعرق العربي والتحموا به .

ولغتها ومقدار وافر من ثقافتها ، في النصف الأول من هذا القرن ، وبهرت هذه المكتشفات عيون العالم) ونزلوا سواحل فلسطين بين الكرمل وغزة ، وكانوا هم والعرب والكنعانيون اعدى أعداء بني اسرائيل؛ واليبوسيون الذين كانت عاصمتهم بيت المقدس حتى استيلاء داود عليها منتقلاً من حبرون (الخليل) ، هؤلاء جميعاً ، إلى نحو ٢٠ شعباً غيرهم لا نعلم حقيقة اصولهم ولم تصل الينا اخبارهم المقتضبة الا من التوراة وكانوا في البلاد وبعضهم معاصراً للأقوام والشعوب ممن ذكرنا ، وبعضهم الآخر كان قديم الإقامة في البلاد قبل ظهور بني اسرائيل – هؤلاء جميعاً بفعـــل السنن الطبيعية من حيث القوة والضعف ، اندمجوا بمجاوريهم او استصفاهم العرق العربي ، او انتقلوا ونزحوا الى اماكن اخرى وانضافوا الى الاقوام التي جاوروها .

٣ – نضيف إلى ما تقدم، الحقيقة الكبرى الباهرة ، وهي القبائل العربية التي نقلها الملك سرجون الأشوري من اعالي الحجاز إلى السامرة لما سبى مملكة اسرائيل في الربع الأول من القرن الثامن ق .م.فجميع هذه الشعوب لم تترك لنا قصة تصور الروح اليهودية ، كما تركت قصة العمالقة ، التي امتدت قروناً ثم ما تفرع منها من قصة هامان الأمير العربي العماليقي في بلاط الملك الفارسي في القرن السادس ق.م. فقصة هامان حرية بالدرس والاستيعاب لمـا تفتح أمامنا من نوافذ على نفسية اليهود التي ظلت نامية مستمرة حتى اليوم ، وفي العصر الحديث ، او منذ الثورة الفرنسية ، اتخذت شكل « حكماء صهيون ». كما أن هامان العربي العماليقي [1] ، ترك لنا أثراً خالداً ، بطولياً رائعاً ، في مخططه الذي ذكرته التوراة ، يقصد بـــه كما تقول التوراة « ابادة اليهود » بعد السبي الثاني . والقصة مثيرة نأتي عليها في هذا المساق .

٤ – الروح اليهودية التي مثلها مردخاي، واستير قبل المسيح بخمسة قرون

(١) ذكر الدكتور جواد علي صاحب « تاريخ العرب قبل الاسلام» (ص ١٧٦ ج١) نقلاً عن (حتي) ص ٥٧ « تاريخ العرب » ان أقدم من ذكر العرب من مؤرخي اليونان هو اخيلس او اسكيلوس (٥٢٥ – ٤٥٦ ق . م) فقد ذكر هـذا المؤرخ وأشار الى ضابط عربي اشتهر في جيش احشويروش ملك فارس.

تقريباً ، هي الروح التي تتجلى في « البروتوكولات » اليوم في القرن العشرين بعد المسيح . اما أحشويروش ملك فارس ، ودولته قضت على دولة نبوخذ ناصر البابلية السامية العرق وسابية مملكة يهوذا اليهودية المؤلفة من سبطين ونصف السبط ، فانه يمثل بمملكته المترامية الأطراف وفيها نحو من١٢٧ ولاية أو مرزبانية من الهند إلى الحبشة ، الامبراطورية البريطانية في القرن العشرين – دولة الفرس بعد ذهاب دولة بابل هي التي أعادت أهل السبي إلى بيت المقدس بعد أن قضوا في السبي من ٥٠ إلى ٨٠ سنة . وقد تكون نهاية الامبراطورية البريطانية هي نهاية مملكة فارس .

* * *

هامان بن همداثا الأجاجي

٥ – هو على الراجح من نسل ملوك العمالقة . لقبته التوراة بالأجَاجي ، وأجاج إما أن يكون اسماً شخصياً ، علمياً ، وإما أن يكون وصفاً او لقباً على العادة القديمة في بيوتات الملك . فملوك اليمن كان يقال لهم الأقيال والأذواء وملوك فارس الأكاسرة ، والرومان او الروم القياصرة ، ومثل هذا يقال في يَابين ملك الكنعانيين وعاصمتهم **حاصور** في شمال فلسطين ، (والتنقيب الأثري اكتشف من آثارها شيئاً ما في الزمن الحديث ، أقل مما اكتشف في اوغاريت طبعاً) ، والنجاشي في الحبشة والأخشيد في آسيا الوسطى ؛ وآخر ما شاع في القرن الماضي الخديوي في مصر . وسواء أكانت لفظة أجاج إسماً علمياً ام لقباً ، فهامان يمتّ الى هذا العرق العماليقي بنسب [١] . وورد في

---

(١) مع ان التوراة تصرح بأن هامان الاجاجي عماليقي ، فقد ذكر في الاضافات الملحقة بسفر استير في الترجمة اليسوعية ان هامان « مكدوني » وليس لهذه الأضافة برهان معقول . وهذا من جنس (الابوكريفا) « والابوكريفا » رفضتها التوراة البروتستانتية جملة وتفصيلاً . والقول « الابوكريفي » ان هامان مكدوني ، تنقضه البراهين التالية :

١ ـ تنعت التوراة هامان بالاجاجي ، وليس بعد هذا مجال لقول آخر . ←

سفر استير عدة أسماء من اللذيذ والمفيد الاطلاع عليها ، ومنها ما هو أسماء رجال في بلاط الملك الفارسي كالوزراء والخصيان ، ومنها ما هو أسماء نساء. فزوجة احشويروش اسمها وشتي ،وزوجـة هامان اسمها زَرَشْ ، وأسماء اولاده العشرة عماليقية فارسية .

٦ – الواقعة حصلت في القرن الخامس والرابع ق.م. ، في اثنـــاء مدة السبي . فالعمالقة كانوا لا يزالون على كيان ما في سيناء ، مع اجتهاد فريق من الكتاب التوراتيين في الزمن الحديث ، ولا سيما في القرن الماضي ، أن يخفضوا من شأنهم ويسدلوا عليهم ستار النسيان والعفــــاء ، ذهاباً مع روح التوراة اليهودية ، ولو كان ذلك متناقضاً لروح العلم في هذا العصر . وفي زمن هامان العماليقي في بلاد فارس ، كانت دول سبأ وحمير في اليمن قائمة ، وكان قد مضى على عصر بلقيس نحو خمسة قرون . وبعد قليل جاء عصر الاسكندر في الشرق الادنى والاوسط . والمعقول ان هامان العماليقي قد استطاع ان يصل الى ما يسمى اليوم بوزير البلاط او رئيس الوزراء في بلاط احشويروش بفضل ما كان يتحلى به من مزايا فريدة أهّلته لذلك . فينبغي ان يكون ذا كفايات مليئة . أضف الى هذا تحدره من بيت كان له ملك وسلطان ، وذكرٌ شائع في البطولات ولا سيا في مقارعة بني اسرائيل .

٧ – ولا بد من القول ان الروح المنبثة في ثنـايا سفر استير ، هي روح تشير بوضوح الى العداء المستحكم ، على ممر التاريخ، بين بني اسرائيل، (واصبح يطلق عليهم في القرن السادس والخامس وما بعـد ، اسم «اليهود» فحل محل «بني اسرائيل») وبين العمالقة عن طريق هامان . ولا ريب ان مردخاي،

← ٢ ـ جو الحوادث التي تتعلق باستير ومردخاي من جهة ، وهامان من جهة اخرى،متشبع بروح العداء العماليقي الاسرائيلي كما قلنا في اوائل هذا الكلام .

٣ ـ بقايا عماليق عاشت الى القرون الاسلامية الاولى ، وقد اشتمل التاريخ العربي الاسلامي وكتب الادب العربي ، على كثير من طلي أخبارهم ، ولا سيا مع عرب تدمر والزباء ملكة تدمر.

٤ ـ القول الابوكريفي هذا لا يقوم له أي وزن تاريخي او علمي اذ هو يناقض الصراحة الواردة في التوراة .

لما هيأ أستير لتكون فاتنةالقصر بالجمال والمكيدة خدمةً لقومها اليهود، كانت تستعر في قلبه نار العداء لعماليق وكل من بقي منه. فلما جاءت استير الى القصر وهامان هو الرجل الاول في القصر بعد احشويروس الملك ، وَضَع مردخاي في مخططه ان يضرب هامان ، العدو العماليقي التاريخي المزمن . ذلك بعبارة اخرى : لما مثلت هذه الرواية في البلاط الفارسي ، في قصر احشويروش في العاصمة شوشن[1] في اثناء السبي ، كان اليهود على يد نحميا وعزرا ودانيال ، وقد فقدوا الهيكل والقدس ، يتجدّدون روحيــاً يهودياً ، ويدورون على محورهم الموروث في الخلق والجبــلة ، مما نشأ عنه اخــيراً بحكم الامتداد والانسياب التلمود. و«القبالة» ، ثم «حكماء صهيون» وكل هذا واحد فيالجوهر والمعنى .

٨ – لكن العنصر المهم في القضية كلها ، ان اليهود حفظوا وصية موسى بحمل العداوة لعماليق الى الابد . وهذا ما نعنيه بقولنا ان مردخاي لما جمعه الزمن مع هامان العماليقي ،هبّ بواسطة استير لتهديمه . ومع ان عماليق كان قد ضعف شأنه السياسي والحربي في شرق سيناء ، في القرن الخامس، وذهب الملك عنهم إلا ما انكمش الى امارات محـدودة ، ومع تقلص مملكة يهوذا في القرن السادس والخامس حتى باتت لا تزيد على القدس وما والاها من جهات، والكل رقعة ضيقة صغيرة، فقد ظلت تلك العداوة باقية . وعلينا ان نلاحظ جيداً كيف ان مردخاي ستّـر في اول الامر «يهوديته» ويهودية استير، حتى اذا ما وصلت استير الى القصر ، راح ينشب مخالبــه اليهودية معلناً يهوديته ويتباهى ّبذلك، مما كان يستره قبلاً ويوصي استير بكتمانه . وهذا ما يفتّ في عضد هامان ، ويشعل منه الحقد المتبادل ، لكن هذه الروح اليهودية لا تهم

---

(١) شوش او شوشان ، في اقلـيم خوزستان ، وفي التاريخ العربي « الاهواز » وفي الزمن الحديث في العصر التركي العثماني « عربستان» . وسكان هذا الاقليم قبائل عربية محض معظمها من « كَعْب » ولما وقعت آخر تسوية لمسائل الحدود بين ايران والدولة العثمانية بقيت الاهواز لجهة ايران ، وكان عليها أمير عربي هو « الأمير خزعل» حتى ازالته ايران بعد الحرب العالمية الاولى ، واقليم الأهواز شرقي البصرة يشبه اليوم بعروبتهقضية اسكندرونة في شمال سوريا .

الملك الفارسي أول الأمر شيئاً . ولما ذهب هامان الى بيته من الوليمة المدبرة لاصطياده ، وقد صنعتها استير ودَعَتْ اليها الملك وهامان ، واخبر زوجته «زرش» ما رأى من لؤم هامان وتغطرسه عليه ، اجابت «زرش» زوجها : « أيبلغ بك الأمر ان ترى هذا السلوك من رجل مثل مردخاي « من نسل اليهود» ، ويؤخذ من عبارة «زرش» باستعمالها هذا التعبير ، ان اليهود كانوا محتقرين اذلة ، وان هذه الكراهة قد عمتهم في الشرق الاوسط كله ، حتى في ذلك الوقت ، فتأمل .

٩ – ويبدو ان هامان قد لاحت له الفرصة ، قبل اليوم باربعة وعشرين قرناً ، ليصفـّي اليهود فحاول ذلك ففشل ، وموقتاً تغلب عليه مردخاي واستير ! وتبقى قضية اليهود مستمرة ، ظاهرها التوراة ، وباطنها القبالة والتلمود ، ووجهها الخارجي هرتزل ، وماكس نوردو ، ووِيزمن ، وروتشيلد ووجهها الداخلي « حكماء صهيون » : وهؤلاء هم هم على الحالين ، حتى يتنبه العالم كله الى خطر اقلية خطيرة عاتية ، تريد الاستيلاء على العالم بالمال والنساء والمكيدة والحيلة ، فيعمل العالم كله كما يعمل العرب على استئصال هذه الجراثيم من الجسم الانساني .

١٠ – والى زمن الفتح العربي الاسلامي في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي ، والارث المتناقل عند عرب الجزيرة ، ان العرب هم ورثة العمالقة في الشام . ذكر الواقدي [١] في كتابه « فتوح الشام » ان عمرو بن العاص ،

---

(١) الواقدي من اركان التراث العربي الاسلامي ، ولا سيما الحديث الشريف والتاريخ ، وكتبه التي وصلت الينا تشهد له بالامامة والامارة في هذه الفنون . غير أن بعض النقاد المعاصرين ، من افرنج وعرب ، يجنحون الى الخفض من شأن كتابه « فتوح الشام » قائلين ان فيه عنصراً عاطفياً لا يقبلها ميزان التاريخ . وليس هنا مقام التفصيل المبين ان هذا الزعم لا صحة له ، وانما نقول شيئاً يتعلق « بفتوح الشام » . فهذا الكتاب اريد به تغذية الروح الاسلامية فيما بعد ، كما حصل مثل هذا في كتب عديدة . فَبُدِّل من بعض عباراته ما بدل ، وزيد عليه ←

لما جـاء يقابل الأمير قسطنطين بن هرقل ملك الروم ، قبل فتح قيسارية (جنوبي حيفا على ساحـل فلسطين) جرى بينهما حوار لامع مقتضب . صفوته ان قسطنطين كان اميل الى ان يزدري أمر العرب الناهدين من الجزيرة بايمان وعقيدة للفتح ، فاستخف بقدرتهم وهو لا يدري من أمر مـا في صدورهم شيئاً ، ومـا كانت الحركة في نظره الا غارة البادية الجافة على الحاضرة الناعمة المترفة . فعرض على عمرو الرجوع الى الجزيرة والرضى بشيء يعطاه العرب . كأن المسألة مسألة غزو للغنيمة العابرة . ومما قاله قسطنطين « ان هـذه البلاد – الشام – هي لنا ، ومـا لكم انتم العرب فيها شيء ، ومواطنكم الجزيرة » . فأجابـه عمرو بمعنى « انكم انتم الغرباء ، ونحن هنـا ورثة العمالقة ، الجبابرة الذين كانوا في الشام » . ثم اننا نرى في موضع كثيرة من كتب الارث الأدبي العربي الذي انتهى الينا وهو في أيدي الناس ، القول في نسبة هـذا او ذلك من الرجال انه « العماليقي » . فلما جـاء الاسلام ، وقبله قرون شهدت أياماً للعرب بين عصر العمالقة وعصر الرسالة : كالانباط في جنوبي الاردن ، وعرب الزباء او زنوبيا في تدمر ، والضجاعمـة وسليح بين دمشق والاردن ، والغساسنة في غوطـة الشام ، والمناذرة في العراق ، كان ذكر العمالقـة حيّاً ، وبقاياهم متفرقة في البلاد ، والانتماء اليهم بالنسب انتماء إلى ارومة المجد والشرف . وهذا كله في كتب التاريخ والأدب . والبقايا العماليقية انتقلت إلى الأرومة العربيـة بالاضافة والاندماج ، سنّة طبيعية في العمران البشري . .

← اضافات ما خدمت غرضاً الا الحشو الذي لا يزيد على المعنى الأصلي شيئاً. فصار بعض كلام الواقدي في بعض المواضع خليطـاً من كلام هو أصل ، ومضاف هو الحشو ، غـير أن البصير اللبيب ، او حتى القارىء العادي السليم الذوق ، المتجرد عن الغاية ، بوسعه ان يميز هذا عـن هذا بكل يسر ، او بين الواقدي الأصلي ، ومـا حُمّل من اضافات لا فائدة منها . امـا اعتبار « فتوح البلدان » كله انـه عاطفي ، فجناية على العلم والتاريخ . وفي التاريخ اشتهر الواقدي بكتابه « فتوح الشام » ، وهو من أقدم مؤرخي الفتح وكتبه الأخرى كلها شوامخ .

راجع ترجمته في « معجم الادباء » لياقوت الجزء الثامن عشر « محمد بن واقد » .

وفي « معجم ما استعجم » للبكري (طبعة القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦) ان قضاعة لما سارت من تهامة إلى الشام ، ومنها الضجاعمة وسليح ، كان ملك العرب يومئذ « ظرب بن حسان بن اذينة السميذع بن هوبر العمليقي » فرفع نسبة هكذا بقوله « العمليقي » ، دلالة على أصل الأرومة . ويظهر أن بقايا العمالقة بعد الاندماج بالأرومة العربية ، احتفظوا حسب عادة العرب بفخر النسب والأرومة ، فاندمجوا باخوانهم . ثم يتمم البكري فيقول : « فانضموا اليه – أي إلى ظرب ، وصاروا معه ، فأنزلهم مناظر الشام من البلقاء إلى حوّارين إلى الزيتون ، فلم يزالوا مع ملوك العماليق يغزون معهم المغازي ، ويصيبون معهم المغانم ، حتى صاروا مع الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان المذكور ، فكانوا فرسانها وولاة أمرها ، فلما قتلها عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ، استولوا على الملك بعدها ، فلم يزالوا ملوكاً حتى غلبتهم غسان على الملك ، وسليح ، وتلك القبائل في منازلهم التي كانوا ينزلونها إلى اليوم » . (البكري طبعة القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦ و ١١٠ و ٢١٩) .

١١ – هنا تتوجه القصة من جهة « العماليقي » في كتب التاريخ والأدب إلى زنوبيا أو الزباء ودولة تدمر العربية التي قامت بعد تلاشي دولة الانباط العرب في جنوبي الاردن . ولسنا معنيين من هذا إلا بالناحية « العماليقية » من حيث الأرومة ، لا بالمساق السياسي التاريخي لقصة زنوبيا ، وتدمر شرعت تتكون وتنمو ثم تزدهر بالعمران وترقى في معارجه منذ القرن السادس ق.م، أي منذ زمن هذه الحوادث لوقوعها على كتف بادية الشام واصلة بين الشام والعراق .

فقال زيدان في كتابه تاريخ « العرب قبل الاسلام » مستنداً إلى ابن خلدون ص ٨٥ : « فان بيوتات الشرف في تدمر عرب اصلهم من البادية من بقايا العمالقة » ، وأقاموا هناك للتجارة ، فغلبوا على أفضل المدن بما كانوا فيه من خشونة البداوة وعلو الهمة وكبر النفس ، وتدرجوا في مناصب الدولة حتى صاروا ملوكاً واتخذوا لغة الشام وهي حينئذ الآرامية للمخابرات الرسمية

والتدوين كما اتخذها النبطيون » وبقي ذكر العمالقة في سيناء ، على ما رأى بنوا اسرائيل واليهود ، خيالاً حيـــاً في أذهان كل يهودي إلى اليوم حتى قال بن غوريون ، وهو خائف متزلزل ، قوله الذي ذكرنا في ترويسة هذا الفصل [١].

* * *

ما ذكره الطبري عن عمليق والعمالقة

« فعمليق ابو العماليق ، كلهم امم تفرقت في البلاد، وكان اهل المشرق واهل عُمان واهل الحجاز واهل الشام واهل مصر منهم .ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان اهل

(١) اذا أحب القارىء أن يزداد اطلاعاً على الحقائق التاريخية في باب العمالقة، وما استكشف من أمرهم البحث الحديث ، فما عدا امهات الكتب التاريخية في تراثنا العربي ، ولا سيما تاريخ ابن خلدون ، فهناك ثلاثة أحواض مليئة من نتاج القرن الحالي ، وهي :

١ ـ « تاريخ العرب قبل الاسلام » لزيدان ، طبعته الأولى ١٩٠٨ بمصر .

٢ ـ « تاريخ سيناء القديم والحديث » لنعوم شقير ، وقد كان مدير دائرة التاريخ في وزارة الحربية في مصر خلال الحرب العالمية الأولى ، ومع أن هذا الكتاب القيم قد وضع خلال الحرب والاستعمار البريطاني جاثم على مصر ، ويوجـــد في بعض المناحي من الكتاب رشاش من المعاني السياسية المشتقة من مصلحة الحلفـــاء في ابّان الحرب ، غير أن جهد المؤلف في عرض الحقائق التاريخية المجردة ، جاء موفقاً جداً، ولا نعلم كتاباً آخر في تاريخ سيناء يماثله في الشمول والصحة.

وللمؤلف شقير مؤلف آخر في التاريخ هو « تاريخ السودان » طبع هـــذا الكتاب في مصر سنة ١٩١٦ .

٣ ـ « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي (العراق) . شرع المؤلف في وضع هذا الكتاب سنة ١٩٥١ في بغداد وجعله اجزاء يصدر كل جزء في فترة ، ويقوم المجمع العلمي العراقي بطبعه فهو من مطبوعات المجمع . وقد صدر حتى هذه السنة من هذا الكتاب ١٠ اجزاء ضخمة . ويصح القول أن هذا الكتاب الفريد في بابه قد اشتمل على أوسع مقدار من مادة التاريخ العربي ، وما كشف عنه التنقيب الحديث وهو يؤلف مكتبة برأسها ، وهو في احتشاد النصوص والنقوش مما اكتشف الى اليوم على يد العرب والافرنج ، مرجع المراجع .

البحرين واهل عمان منهم امة يسمون جاسم ، وكان ساكنو المدينة منهم ، منهم بنو هف وسعد بن هزّان وبنو مطر وبنو الازرق ، واهل نجد ، منهم بديل وراحل وغفار ، واهل تيماء منهم وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمه الأرقم وكانوا ساكني نجد مع ذلك ، وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم حي من عبس الاول .... »

حتى قال بعد هذا « فكانت طسم والعماليق واميم وجاسم قوماً عرباً ، لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي » ثم ذكر ثمود وجديس وغيرهما فقال : « ... وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضري ، فكانت العرب تقول لهذه الامم « العرب العاربة » لانه لسانهم الذي جبلوا عليه ، ويقولون لبني اسماعيل بن ابراهيم العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهرهم ، فعاد وثمود والعماليق واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب « ثم يذكر الطبري مساكنهم بين حضرموت واليمن ، والحجاز والشام مما لا حاجة الى ذكره فوق ما تقدم . الطبري ١ – ١٠٣ »

بنو اسرائيل زمن عهدهم المعروف «بالقضاة»

قضوا (١١١) سنة في الذل تحت تسلط الشعوب المحيطة بهم

ولا سيما العرب العمالقة والمديانيين (المدينيين)

يمتاز «هالي» صاحب «مختصر التوراة» بايراد الموضوعات التي في «العهد القديم»، ايراداً منخولاً حسب منهجه وهدفه البرتستانتي. وهذا واضح بيّن، وفيه تيسير كبير للمطالع المسيحي وغير المسلم. ويستند «هالي» في هذا كله الى ناحيتين، الاولى: ارقام التوراة وهذه احياناً فيها غلو ظاهر لا يتفق والمنطق العقلي اليوم، والثانية ما اكتشفه التنقيب عن الآثار التوراتيـــة في العراق وفلسطين والبادية وسيناء ومصر، من القرن الماضي الى منتصف هذا القرن، من آثار قال العلماء اقوالهم فيها من حيث صحة انطباقها على نصوص «العهد القديم»، او عدم انطباقها الى حد ما.

ونحن نعتقد ان صاحب «مختصر التوراة»، قد أتى بعمل يشكر عليه، من حيث التيسير، والاحاطة، وتطبيقه المنهج الذي قرره بغاياته واهدافه، على كل ما في «العهد القديم»، فصلاً فصلاً، ويبقى للمطالع بعد ذلك رأيه في ما قالت التوراة، وفي ما قال «هالي» ايضاً. ونعتقد ان المطـــالع العربي له رأيه الذي لا يتفق ورأي «هالي» في كثير من المواضع.

* * *

ينتهي هالي الى القول ان بني اسرائيل في مدة «القضاة» — منذ خروجهم من مصر الى انشاء الملكية — وهو يحسب هذه المدة (٤١٠) سنوات، قضوا

منها (١١١) سنة في الذل للشعوب المحيطة بهم في فلسطين ، وهم بعد موت يشوع ١٢ عشيرة متفرقة ، كل عشيرة مستقلة عن الاخرى ، وامورهم مختبطة، والحرب لا تنقطع بينهم وبين الكنعانيين اهل البلاد، وبينهم وبين الفلسطينيين الذين قدموا حديثاً من جهة بحر ايجة ، شرقي البحر المتوسط ، ومنهم اتخذت البلاد اسمها ، واحياناً في وجه العدو المشترك الكنعانيون والفلسطينيون الذين لهم السهول وساحل البحر من الكرمل ومرج بن عامر والحولة وجنوباً الى غزة ، ثم كانت الحروب الاهلية بين هذه العشائر تجرف منهم جرفاً كبيراً . هذا من جهة احوالهم في سكناهم ومعايشهم في المنطقة الجبلية الوسطى . وأما من جهة معتقداتهم فانهم تأثروا بالوثنية عند جيرانهم فعبدوا الاصنام مثلهم .

وطول مدة القضاة تؤخذ بالتقدير ، وهي غير معلومة على وجه اليقين ، غير ان مجموع عدد سني الذل هو (١١١) سنة ، كما ذكرتها التوراة ، وفي خلال مدد الذل ، يندثر امر هذه العشائر ، حتى يقوم منهم من يسمونه قاضياً او مخلصاً او منقذاً ، فيخلصهم من المتسلط عليهم . وأشد ذل أحاق ببني اسرائيل وأرهقهم ، فهاموا على وجوههم في كهوف الجبال ، هو الذي انزله بهم المدينيون والعمالقة لمدة (٧) سنين متلاحقة كما سيجيء .

قالت التوراة : « فلما اقام الرب عليهم قضاة كان الرب مع القاضي ، فكان يخلصهم من ايدي اعدائهم كل ايام القاضي لان الرب رحم انينهم من ظالميهم ومضايقيهم . واذا مات القاضي كانوا يرجعون الى الفساد اكثر من آبائهم باتباعهم آلهة اخر ليعبدوها ويسجدوا لها ، لم يحيدوا عن سوء اعمالهم وطريق قساوتهم » (القضاة ٢ : ١٨ و ١٩) .

والشعوب التي تألبت على بني اسرائيل في عهد القضاة هي ، كما ذكرتهم التوراة : — « خمسة اقطاب الفلسطينيين ،وجميع الكنعانيين ، والصيدونيين، والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بعل حرمون الى مدخل حماة » (القضاة ٣ : ٣) فهذه شعوب اربعة في الشمال اما الحويون فهم فصيلة من الكنعانيين بعضهم بقي في فلسطين الى ما بعد ايام يشوع ،واما موطنهم الكبير

فكان في سفوح جبل حرمون (الشيخ اليوم) .

ولم يستطع بنو اسرائيل في وقت ما ، ان يجعلوا فلسطين كلها خالصة لهم في داخلها . فاليبوسيين (فصيلة كنعانية) بقوا حتى في القدس ، مدينتهم من اول الامر حتى اخذها داود ، الى دنا بعد السبي ، اي اكثر من خمسة قرون بعد استيلاء داود عليها . والفلسطينيون بقوا في السهول وعلى سواحل البحر ، وبعد السبي اصبحت فلسطين الشمالية وهي السامرة ، قائمة وحدها . ويخطىء الذين يظنون ، وظنهم من قلة الدراسة وضعف الملاحظة ، ان بني اسرائيل استطاعوا اخضاع البلاد كلها حتى في زمن ملكيتهم ، فكيف وهم عشائر تقيم في كنف الفلسطينيين والكنعانيين وبين ظهرانيهم . قالت التوراة: « فاقام بنو اسرائيل بين الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم زوجات لهم ، واعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب الههم وعبدوا البعليم والعشتاروت » . (القضاة ٣ : ٥ — ٧) .

* * *

اما ذل بني اسرائيل للمدينيين والعمالقة ، فقد وصفته التوراة بقولها : « وصنع بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ، فدفعهم الرب الى ايدي مِدْيَن سبع سنين ، وقويت ايدي مدين على اسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لانفسهم المغاور التي في الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين . وكان اذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم ، ويجيشون عليهم ويفسدون غلة الارض الى مدخل غزة ، ولا يبقون ميرة في اسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً ، لانهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون في مثل كثرة الجراد ، لا يعدون هم ولا جمالهم ، ويأتون الارض ويفسدونها ، فذل اسرائيل جداً امام مدين » . (القضاة — اليسوعية) (الفصل ٧ و ٨)

وبين اذلال الكنعانيين واذلال العمالقة والمدينيين فترة ٤٠ — ٥٠ سنة والذي قام اليوم لتخليص اسرائيل هم جدعون وبحسب رواية التوراة

(القضاة ٧) جمع جدعون جيشاً ضخماً من ٣٢ الفاً ، رجع منهم ٢٢ الفاً ثم اختار من العشرة آلاف ثلاث مئة وبهؤلاء تقول رواية السفر وهم حاملو ابواق ومشاعل ، كسر جدعون جيش العمالقة والمدينيين قرب بيسان الحالية على كتف الاردن الغربي وقتل أميريهم وهما عوريب وزيب (في الترجمة الاميركية « غراب وذئب ») وعبر النهر مطارداً المنكسرين فمر بمحلة «سكّوت » (قرب نهر الزرقا) ، واهلها من المدينيين والعمالقة ، فطلب منهم خبزاً لرجاله ، فأبوا ان يلبوا طلبه ، فتوعدهم بالشر ان هو ظفر بمبتغاه ، ثم صعد الى « برج فنوئيل » وطلب من اهله مثل ما طلب من سكّوت ، فسمع الجواب نفسه . ولما ادرك جيش المدينيين والعمالقة « بقرقر » قضى عليه وأمسك بملكي مدين وهما « زاباح وصلمناع » (في الترجمة الاميركية « زبح وصلمناع ») . قالت رواية السفر ان الذين قتلوا في قرقر من جيش المشرق (المدينيين وحلفائهم) خمسة عشر الفاً وهم البقية وأما القتلى كلهم فمئة وعشرون الف رجل .

قلنا : ان رواية التوراة لا يثق بها اهل العلم متى ما خرجت عن المعقول. فهنا تقول رواية السفر ان جدعون اقتحم الجيش المديني بثلاث مئة رجل حملة ابواق ومشاعل موضوعة في جرار وأما الباقي من جيشه فلم يدخل الحرب . فكيف ينهزم جيش المدينيين وهو ١٢٠ ألف رجل امام ثلاث مئة حملة ابواق ومشاعل !! ولما جعل جدعون يعود ادراجه ، مر ببرج فنوئيل وسكّوت ونفذ وعيده لهم بأبشع صورة من صور الوحشية التي اتقنها بنو اسرائيل ، فانه جمع ٧٧ من شيوخ سكّوت ، برواية السفر ، وألقاهم فوق حزم الشوك وجعل النوارج تجر من فوقهم . وانتقل الى فنوئيل فذبح اهلها . وأتينا بهذا التفصيل من سفر « القضاة » لعلتين ، الاولى ، ان ارقام التوراة احياناً غير معقولة وما ذكرناه هنا هو من هذا الجنس ، والاخرى ، ان نظهر وحشية اسرائيل في الحرب من ايام موسى ويشوع بن نون وجدعون ، قبل اليوم بنحو ٣٤ قرناً ، الى ايامنا هذه ومجازر اليهود في « دير ياسين » ، ودير ياسين انما

هي على سبيل المثال . اقرأ البروتوكولات بامعان .

وقبل اذلال المدينيين والعمالقة ، وبني المشرق (اسم عام للعرب في شمالي الحجاز ومشارف الشام) هذه السنوات السبع، ومثل هذا الذل لم ير اسرائيل من قبل ولا من بعد ، كان الكنعانيون قد اذلوا اسرائيل ، وكان الكنعانيون قد غلبهم يشوع اول الامر ، لكنهم بعد عهده عادوا الى القوة شيئاً فشيئاً حتى صاروا بطاشين . وبعد اذلالهم لاسرائيل جاء اذلال العمالقة والمدينيين وبني المشرق . وملك الكنعانيين اسمه «يابين » وعاصمته «حاصور» .

قال « قاموس الكتاب المقدس » تحت كلمة « حاصور » : « ولذلك يعتقد ان يابين كان لقباً لملوك كنعان ، كفرعون لملك مصر ، وأبيمالك لملوك الفلسطينيين ، والحارث لملوك شمالي بلاد العرب (الانباط) » . ويرجح ان موقع حاصور كان قرب الحولة غربي جسر بنات يعقوب على بعد نحو ستة اميال . وقام الأثري « غارستنغ » البريطاني بالتنقيب عن آثار حاصور في العقد الثالث من هذا القرن فعثر على قطع فخار أكلتها النار ، ويظن ان احراق حاصور على يد يشوع بن نون كان حوالي ١٣٨٠ ق. م وكان احراق حاصور آخر نكبة احدثها يشوع في فلسطين . وعثر في « تل العمارنة » في مصر على رسالة من ممثل فرعون في شمالي فلسطين يذكر فيها حاصور ونهايتها، ولم تعد حاصور الى الحياة بعدئذ ، الا قليلاً بعد نحو اربعة قرون زمن سليمان بن داود ، وقبل الميلاد بنحو سبعة قرون كانت حاصور قد غابت تماماً . وسنة ١٩٢٤ عثرت دائرة الآثار الفلسطينية على قبرين كنعانيين في يافا فيهما بقايا عظام وقطع فخار محطم ومقابض سيوف من نحاس . وكان قائد جيش الملك يابين الكنعاني اسمه « سيسرا » وقالت التوراة (القضاة ٤) ان كان لديه ٩٠٠ مركبة حديد وأذل اسرائيل ٢٠ سنة . وكان قائد جيش دبورة اسمه « باراق » ، وكانت المعركة عند نهر قيشون « المقطع » وهذا واقع قرب سهول عكا ، او بين حيفا وعكا .

ذل اسرائيل للشعوب المحيطة بهم

وهذا بيان واضح جمعه المؤلف **هـــالي** (ص ١٥٨) ينطوي على مدى الذل ، ومدد **الاستراحة** ، واسم المتسلط واسم المخلص وعدد السنين :

المتسلط		عدد السنين
ملوك العراق		٨
المؤآبيون العمونيون العمالقة	حلفاء	١٨
الفلسطينيون الكنعانيون	حلفاء	٢٠
المديانيون العمالقة	حلفاء	٧
العمونيون		١٨
الفلسطينيون		٤٠
		١١١

القضاة او مدد الاستراحة

المخلص	عدد السنين
عتنئيل بن يهوذا	٤٠
اهود البنياميني	٨٠
شمجر دبورة باراق	٤٠
جدعون	٤٠
ابيمالك	٣
تولع	٢٣
يائير الجلعادي	٢٢
يفتاح البيتلحمي	٦
ابصان البيتلحمي	٧
ايلون الزبلوني	١٠
عبدون الفرعتوني	٨
شمشون	٢٠
	٢٩٩

(٤) هامان العربي العماليقي ومردخان واستير اليهوديان

من القصة التي روتها التوراة في سفر استير

كلمة النقّاد في سفر « استير » :

هو آخر الكتب التاريخية في « العهد القديم » ، ويقال ان جمعه كان سنة ١٣٠ ق.م. في ابّان شدائد اليهود في العصر المكابي ، ويعلق على هذا الكتاب الممحصون لتاريخ اليهود ، بان اليهود كان من شأنهم في ايام بلواهم ان يلجأوا الى وضع الملاحم وتزيينهــا ، تشديداً للعزائم وبعثاً للحماسة . ومعلوم ان اسفار التوراة لم تجمع كلها في وقت واحد ولا في قرن او قرنين او ثلاثة ،بل امتد ذلك وطال اكثر من الف سنة ، وابتداؤها كان شيئاً قليلاً مقصوراً على الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى ، ثم صار يضاف الى ذلك أسفار جديدة . وانما في أثناء السبي ، وبعد عودتهم من السبي عكفوا على جمع التوراة ، وكان اوسعهم يداً في ذلك ، عزرا الكاتب ، بل لعل الفضل في ذلك يعود كله اليه ، وقد أجملنا في صفوة ترجمته الكلام على هذه الناحية في هذا الجزء .أما سفر استير فقد جمع بعد موت عزرا وبعد موت استير ومردخاى بقرون .

وجدير بالقارىء العربي ان يعلم هذه الحقيقة في سنة ١٩٤٧ — ٤٨ وفلسطين مضطربة وعلى وشك ان تكون منغمسة بالحوادث الكبرى ، وقع اكتشاف خطير قرب البحر الميت ، وذلك ان احد الرعاة العرب من عشيرة «التعامرة» المقيمة قرب بيت لحم، ويجول أفرادهــا في جميع المنطقة الجبلية

الجرداء الواقعة بين بيت لحم والبحر الميت ، عثر في احد الكهوف على مجموعة من اللفائف الاسطوانية ، وهو لا يدري ما هي ، فنقل الراعي التعامري ما عثر عليه الى تجار الآثار القديمة في بيت لحم ومن التجار وصلت اللفائف الى أهل الاختصاص من علماء الآثار المسيحيين ، فوجد ان تلك اللفائف النحاسية ما هي الا من اسفار «العهد القديم» ما عدا سفر استير فانه ليس بينها . وهـذا يدل على ان وضع هذا السفر كان في القرن الثاني ق.م. كما ذكرنا في اول هذا الكلام ، واسفار التوراة القديمة كان قد انتهى عمل جمعهـا قبل الآن بوقت طويل . أما العثور على هذه الرقوق ، فقد صرح كبار العلماء المسيحيين ومنهم العلامة الدكتور اولبريت الاميركي بانه أعظم حادث من حوادث العثور على مادة الاسفار القديمـة ، ومن الغريب المدهش من باب الاتفاق ان في زمن هرون الرشيد ، عثر عربي في الغور قرب اريحا على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على اسفار العهد القديم ايضاً ، ويظهر ان المسيحية لم تستفد منهـا اذ انتهت تلك الطوامير الى علماء اليهود [١] .

---

(١) من اللذيذ المفيد بيان هذه الملاحظات :

١ - ان مكتشفات هذه الرقوق في الحادثين ، الاول عصر هـ ون الرشيد ، والآخر سنة ١٩٤٧ اكبر خدمة للمسيحية ، وقد وقع هذا على يد عربيين .

٢ - ان المنطقة الغورية قرب البحر الميت تعد اقليماً حاراً بسبب انخفاضها عن مستوى سطح البحر ، ولما كانت تلك الرقوق مكنوزة في المغاور الصخرية وقد ختم عليها ، فلم يتطرق الفساد اليها كلها ، فبقيت بحالة حسنة الى ان عثر عليها اولاً منذ اكثر من ١١ قرناً وثانياً سنة ١٩٤٧ .

٣ - وليس الموقع الجغرافي الحار هو كل السبب في اختيار هذا المكان لاختزان هذه الرقوق في هذه المغاور الصخرية في المنطقة ، واسمها (قمران) على البحر الميت من الجهة الغربية . بل هناك سبب آخر وهو ان فرقة من اليهود كانت تقيم في هذه المنطقة ، وكان لهذه الفرقة طقوس دينية خاصة تميزها عن فرقتي اليهود الكبيرتين : الفريسيين والصدوقيين ، وعلى هاتين الفرقتين حمل السيد المسيح في دعوته . وبعضهم يقول ان يوحنا المعمدان كان ينتمي الى هذه الفرقة التي كانت تقيم حول البحر الميت في منطقة قمران ، واسم هذه الفرقة هو « الاسينيون » او « المغتسلون » وكان لهم نظام خاص اشبه بنظم الرهبـــان في العصور المسيحية اللاحقة على مبادىء اشتراكية جماعية .

٤ - يعود تاريخ هذه الرقوق في كتابتها الى القرن الاول او الثاني ق.م . وقد ←

ومما لاحظه النقاد ان سفر استير هذا يخلو كل الخلو من ذكر الله واسمه جلّ وعلا ، ويتألف هذا السفر في التوارة الاميركية او البروتستانتية من ١٠ اصحاحات في ١٤ صفحة ، وفي التوراة اليسوعية مثل هذا وانما اضيف اليه ٦ اصحاحات من جنس «الابوكريفا» غير القانونية والسفر لم يشر قط الى ان هامان فارسي ، وأما كونه اميراً عماليقيا ، فقد سبق ايراد الادلة على ذلك من التوراة .

* * *

وخلاصة القصة الرائعة او المأساة من جهة هامان ، او المخطط الهاماني لمحو اليهود ، فانعكس هذا كله على يد مردخاي واستير الى ضده ، فضرب احشويروش الملك هامان وصلبه هو واولاده ، والقصة هي هكذا :

جرت الحوادث في عهد الملك احشويروش ابن الملك داريوس (عند العرب دارا) ، وهذان من ملوك الدولة الاخمينية الفارسية ، والفرس من العرق الآري من حيث ارومات الشعوب . ومدة داريوس نحو ٣٦ سنة (٥٢١ — ٤٨٥ ق.م.) ومدة ابنه احشويروش نحو ٢٠ سنة (٤٨٥ — ٤٦٦) وعاصمته شوشن القصر في اقليم المحمرة والاهواز ، او خوزستان ، او عربستان ، وسكان هذا الاقليم قبائل عربية خالصة فتحها العرب في عهد الخليفة عمر ، وكان يحكم هذه الرقعة الامير « خزعل خان » كما سبقت الاشارة الى هذا ، والامير خزعل، خلعه شاه ايران سنة ١٩٤٤ خلعاً فظيعاً . والدولة الاخمينية كانت مدتها نحواً من ٢٧٠ سنة وكان آخر ملوكها داريوس الثالث الذي غلب عليه الاسكندر المقدوني في موقعة اربيلا سنة ٣٣١ ق. م. واحشويروش له اسم آخر في التاريخ اليوناني وهو بالعربية سرخس . وفي القرنين الخامس والرابع كانت الحروب العظيمة بين فارس والاغريق مما هو مبسوط في التاريخ

← وضعت الكتب في شرح هذه الرقوق. وتفصيلها مما لا محل لههنا غير ان العلماء الاختصاصيين في اميركا وأوروبا لا يزالون يبذلون العناية في التعليق على هذه الاسفار . (راجع كتاب « مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران » . للقس جيمس ولبي وابراهيم مطر (١٩٥٧) .

وكان احشويروش من الملوك الفرس الذين ابتلوا بنيران تلك الحروب حلاوة ومرارة ، غلبة له وهزيمة عليه .

ومن سنة ٥٣٨ الى فتح الاسكندر كانت دمشق تحت نفوذ ملوك فارس مدة اكثر من قرنين ، وكذلك كانت فينيقيا تحت النفوذ الفارسي ايضاً ، وكذلك العراق ، وكذلك مصر ، وانما مدة وجود مصر تحت النفوذالفارسي كانت اقصر (٥٢٥ – ٤٠٤) ثم قامت في مصر السلالات الفرعونية الثلاث الاخيرة، من الثامنة والعشرين الى الثلاثين، وكانت مصر في خلال هذه المدة قد تخلصت من النفوذ الفارسي وعادت مستقلة حتى فتح الاسكندر . وفي جزيرة العرب كانت دولة سبأ ، وعاشت ٧٣٥ سنة (٨٥٠ – ١١٥ ق.م) ودولة حمير وعاشت ٤١٠ سنوات (٥٢٥ – ١١٥) والدولة المعينية وهي قبل الدولة القحطانية (سبأ وحمير) واصلها من العراق وكانت قبل هذه القرون وانما نشير الى هذا للفائدة في استيعاب الصورة، هذا ما عدا الدول العربية الصغرى في اليمن الذين يقال لهم الاذواء ، والدولة الجبأية والقتابية وغيرها . هذا في الجنوب ، واما في الشمال فتعبير التوراة عنهم يشتمل على « الاسماعيلية » او بني « المشرق » او « قيدار » .

* * *

حوادث القصة اقتضت ٩ سنوات حتى نضجت واكتملت

حقد الملك احشويروش على زوجته الملكة « وشتي» الجميلة الفتانة ، لانها لم تستجب لطلبه بارتداء اثوابها الملكية والتاج ، والبروز امــام المدعوين في وليمة ملكية يحضرها رجال الدولة واعيان المملكة فيجتلوا فتنة محاسنهــا وسحر جمالها : واقيمت هذه الوليمة في السنة الثانية من ملكه (٤٨٣) . فاستاء الملك من أمر وشتي،فأشير عليه بان في المملكة الواسعة الآفاق المشتملة على ١٢٧ ولاية من الهند الى الحبشة ، من الفتيات البارعات من تليق لأن

تكون الملكة بدلا من « وشتي » العاصية عليه يوم الوليمة . فأتخذوا ترتيباً ، وجمعوا له نجوم المملكة ، ففازت بقلبه استير ، وهذا اسمها بالفارسية وأما بالعبرية فأسمها « هداسا » وهذا معناه زهرة الآس او الكوكب . ولم يعرف انها يهودية لما تقدمت للمباراة. ولما تزوجها احشويروش انبسط ظلها على القصر. هذا ما يفيد سفر استير وقاله اليهود للعالم. لكن من اوقع الفساد والضغينة بين الملك والملكة وشتي ؟ ولماذا لم تخرج الملكة الى المهرجان في الوليمة حسب رغبة زوجها الملك ؟ وهل كان من عادتها مخالفته ؟ ومن كان المحرض للملك بالقول له ان وشتي بذلك العصيان اعطت نموذجاً سيئاً لجميع نساء الامبراطورية حتى يتشبهن بها في الخروج عن طاعة ازواجهن ؟ ليس لدينا تفاصيل الا ما في سفر استير . والمدقق في هذا يستنتج ان حبك المؤامرة كلها تم على يد مردخاي .

* * *

مردخاي بطل القصة ، وهو ابن يائير بن شمعي ، كان من جملة السبي النبوخذناصري ، وكانت استير ، كما يقول السفر ، بنت عمه ، يتيمة لكنها فريدة الجمال الطاغي ، فتولى تربيتها تربية يهودية خالصة ، وهيأها ليوم مقبل . ويظهر ان عدد الفتيات اللواتي جمعن من أرجاء المملكة لاختيار افتنهن ، كان عدداً ضخماً ، وجعل العدد يهبط بالغربلة والتنحية حتى رسا على سبع فتيات . ففازت استير .

واوصى مردخاي استير بألا تبوح باسمها العبري ولا بيهوديتها . وهناك غاية من وراء هذا الكتمان ، وقد بينا هذا في ترجمة عزرا في هذا الجزء . لما صارت استير الملكة ، كان ذلك في السنة السابعة من عهد احشويروش . اما المهرجان او الوليمة فقد كان في السنة الثالثة . ومضى ٣ سنوات حتى تم الاختيار . ثم بعد ان تفوز استير بانها النجم الاول ، عليها ان تبقى سنة اخرى في القصر ، وهي تربى تربية خاصة في الطعام المختار والشراب ، والتعطر والادهان ، لتصلح ان تكون الداخلة على الملك .

ويقول السفر ، وهو يجمل الوقائع او ينسج الخيط ، ان مردخاي كان جالساً في باب الملك فاطلع على مؤآمرة يراد بها العدوان على الملك ، وانك لتدهش حقاً عندما تعلم ان اثنين ، كانا حسب ما اكتشف مردخاي ، هما المتآمرين : بغثان وترش حارسي الباب . فاخبر مردخاي استير بالمؤآمرة ، وهي اخبرت الملك بها بلسان « المخلص » مردخاي . ففحص الملك ودقق فوجد الامر صحيحاً فصلب بغثان وترش . وسجلت هذه اليد لمردخاي في القصر . وكانت استير بعد ان اصبحت في القصر ، تتقيد برغبات عمها او ابن عمها كما لو كانت لا تزال في كنفه في البيت تحت ولايته . فانظر وتأمل! ستذكر بواطن هذه المكيدة عندما تقرأ البروتوكولات .

* * *

ولنمعن النظر في ما تقدم :

ولنستمع الى مردخاي يحدثنا هو كما جاء في السفر الذي جمع باسم استير ، بعد تاريخ الوقائع بزمن طويل : كان هامان بن همداثا الاجاجي (العماليقي) من رجال القصر ؛ والآن حدث ان رقي في منصبه حتى صار في الرتبة فوق جميع الرؤساء ، او ما يعبر عنه في زمننا هذا برئيس الوزراء والعبيد يسجدون له سجود التحية حسب وصية الملك والبروتوكول المراعى. ثم تنتقل القصة في سفر استير فجأة لتخبرنا ان مردخاي ابى ان يؤدي هذه التحية لهامان ، وهامان رئيس الوزراء ، فنبهه الحرس والعبيد فلم يرعو ، بل زاد على رفضه اداء التحية بان اعطى السبب الذي رآه ، وهو انه لكونه يهودياً فانه لا يؤدي التحية المرسومة لهامان . ونقول اذا كان يقصد التمويه ان السجود لا يكون الا لآله اسرائيل حسب عقيدته ، فسفر استير جاء كله خالياً من اسم الله على الاطلاق ، ولو كان هذا هو المراد فما أحراه ان يصرح به ويسند السبب الى ان دينه يمنعه من ذلك . اما السبب الحقيقي فهو العداوة بين العمالقة واليهود. وبعد ان وصلت استير الى الصولجان ، ما عادت

تكتم يهوديتها ، وهذا مردخاي يقول انه لم يؤد التحيـة لانه يهودي ، وقبلا كان يخفي يهوديته هو واستير .

***

فقام الحرس باخبار هامان ما كان من مردخاي .

القصة كما هي في السفر ليست متسلسلة الوقائع ، وهي مشبعة بروح عدائية سافرة لهامان . فتنتقل بنا بعد هذا توا الى ان تقول ان هامـان غضب على مردخاي، لكن لم يشأ ان يبطش به دون غيره، اذ استصغر ذلك واستقله، بل اراد ان يبطش بقوم مردخاي جميعـا ، اي باليهود المنتشرين في المملكة ، والمملكة (١٢٧) ولاية .

وعلى هامان ان يبين للملك الاسباب . واجمل السفر هذا بأن قال هامان للملك : « انه موجود شعب ما مشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بـلاد مملكتك ، وسننهم مغايرة لجميع الشعوب ، وهم لا يعملون سنن الملـك ، فلا يليق بالملك تركهم» . فوافق الملك على ابادتهم . فاتخذ هامان الوسائل للتنفيذ في ١٣ آذار وهو الشهر الثاني عشر من السنة الفـارسية . وانفذت الاوامر السلطانية الى الآفاق على ان يمحى اليهود جميعاً في يوم واحد ، وفيهم الشيوخ والاطفال والنساء . وهذه خلاصة المروي في سفر استير (الفصل ٣) .

* * *

ويعلم من السفر ان اليهود كانوا وقتها متفرقين في ارجاء المملكة، «وفي كل كورة حيثما وصل اليها امر الملك وسنته كانت مناحـة عظيمة عند اليهود وصوم وبكاء ونحيب» . فجاء مردخاي الى القصر وهو لابس مسح المناحـة وعليه الرماد ، فدخلت الجواري على استير واخبرنها بحالة مردخاي، فأرسلت اليه ثياباً لائقة ، لينزع مسحه عنه فلم يقبل وابى . فأرسلت اليـه خصياً مؤتمناً يسأله السبب في أمره هذا ، فأعلمه بما دبر هامان من خطة بموافقـة الملك لابادة اليهود الذين في المملكة ، وان نفقات هذا العمل تؤدى من خزانة

الملك ، واطلعه على صورة المرسوم الملكي الذي اطلق الى ارجاء المملكة لتقع الابادة في وقت معين في جميع الولايات . وطلب مردخاي بواسطة الخصي المؤتمن ان تدخل استير على الملك وتطلعه على هذا كله . فوقعت استير في مأزق حرج ، اذ لا يجوز الدخول على الملك الا لمن يدعى من قِبَله ومن دخل غير مدعو ولم يرفع الملك له قضيب الذهب علامة الرضى عند دخوله ، قتل . فأجابت استير مردخاي بهذا الاعتذار ، فرد عليها «مردخاي» – او عمها ، او ابن عمها ، او احد «حكماء صهيون» :

« لا تفتكري في نفسك أنك تنجين في بيت الملك دون جميع اليهود. لانك ان سكتّ سكوتاً في هذا الوقت ، يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر ، واما انت وبيت ابيك فتبيدون . ومن يعلم ان كنت لوقت مثل هذا وصلت الى الملك (الاصحاح الرابع) .

اقرأ البروتوكول السابع عشر وهو ينص على ان «للقبالا» ان تقتل اليهودي الذي لا يفي بواجباته نحوها من الاعلام والتجسس .

* * *

هنا الروح اليهودية تتكلم وقت جمع هذا السفر في الحروب المكابية .

انت انما جئت القصر لتخدمي قومك اليهود !!

لا تظني انك ان لم تفعلي هذا ، ونجا قومك بطريقة اخرى ، تبقين أنت حية ! نرجو من القارىء ان يقابل هذا الكلام الذي أنذر به مردخاي ربيبته استير ، بما جاء في البروتوكول السابع عشر . فمن **القبالة** اليوم في القرن العشرين تتألف الهيئة الخفية التي بيدها الاوامر والنواهي السرية والمعبر عنها باليهودية العالمية . والأمر السري بالقتل يصدر منها . وننقل هنا معنى فقرة واحدة من هذا البروتوكول ، وهي تتعلق بأن من الواجب على كل يهودي أن يبلغ هيئة **القبالة** عن أي شيء يضر باليهودية ، فان لم يفعل يجازى ويحاسب حساباً عسيراً ، والحساب العسير المقصود هو القتل ، وان لم تصرح به مادة

البروتوكول بهذا اللفظ ، وقد ورد ذكر استباحة الدماء في البروتوكولات في مواطن عديدة ، وانما هنا يقع القتل للشخص المقصود لا لأنه اقترف جرماً ما ، كلا ، بل لأنه علم بأمر ضار لليهودية فلم يبلغ هيئة القبالة ما يعلم ، فانظر وتأمل . وكان مردخاي يقول لاستير : ما أنت هنا في القصر ملكة إلا لخدمة قومك اليهود ، فان لم تفعلي فستقتلين ولا يعصمك من القتل كونك الملكة زوجة احشويروش الممتد ملكه على ١٢٧ ولاية من الهند الى الحبشة .

* * *

فاذعنت استير ، وانصاعت الى انذار مردخاي وأيقنت انها ملاقية المصير الذي انذرها به ان هي لم تفعل ما امرها به . فأجابته : اني ادخل الى الملك خلاف العادة ، فاذا هلكت هلكت . ولا بأس ان نجتزىء باللباب . وللقارىء ان يطلع على القضية بكاملها في السفر ، اذا شاء .

١ – ارتدت ثوباً ملكياً ودخلت ، فلما وقع نظره عليها فجأة خلبته ، وسبت عقله ، فرفع لها قضيب الذهب علامة الرضى ، فدنت ولمست رأس القضيب ، فسألها ما طلبها فطلبت ان يأتي الملك ومعه هامان الى وليمة خاصة . فلما حضرا ، وعند شرب الخمر قال لها الملك ما هو سؤلك تعطينه ولو بلغ نصف المملكة . فقالت ان يأتي الملك وهامان الى الوليمة التي أعملها غدا حسب أمر الملك .

٢ – خرج هامان طيب القلب فرحاً وسره انه هو الوحيد المدعو مع الملك . لكنه وهو خارج ، ابصر مردخاي في باب القصر مصعراً خديه ، فاغتاظ هامان ، فأخبر زوجته واصدقاءه عن تمرد مردخاي وانه كلما رآه في القصر اضطرب اضطراباً . فأشاروا عليه أن يصلبه في الصباح على خشبة علوّها خمسون ذراعاً .

٣ – في تلك الليلة أرق الملك أرقاً جعله يقتل وقته بمراجعة اخبار الايام وحوادثها تقرأ عليه ، فوجد مكتوباً قصة تلك المؤامرة المزعومة وما

لمردخاي من فضل عليه ، فأمر بأن يكافأ بأن يلبس حلة ملكية ويمتطي جواداً ملكياً وعلى مفرقيه تاج الملك، ويمسك بزمام الجواد احد الاشراف الذين حول الملك ، ويطاف به هكذا في ساحة المدينة . واذا بهامان قادم صباحاً ليطلب من الملك الموافقة على صلب مردخاي ، فيجد الملك يأمره بأن يكون هو الممسك بزمام الجواد ، وقال له : « وافعل هكذا لمردخاى اليهودي الجالس في باب الملك » ، ففعل هامان ما أمر به . ورجع مردخاي الى القصر ، وأما هامان فذهب الى بيته واصحابه وزوجته ، فقالوا له ولا سيما زوجته زرش : هل بلغ الأمر ان تسقط قدام مردخاي **من نسل اليهود** ؟ . وبينما هم كذلك جاءه الرسول يطلبه الى الوليمة .

٤ – فلما جلس الملك وهامان عند استير الملكة ، سألها الملك وهو يتعاطى الشراب ما سألها سابقاً ولو بلغت طلبتها نصف المملكة ، فقالت : « اذا حسن عند الملك فلتعط لي نفسي بسؤلي وشعبي بطلبتي ، لاننا قد بعنا انا وشعبي للهلاك والقتل والابادة » ، فسألها ، « ومن هو الذي يتجاسر على ان يفعل هذا ؟ فقالت هو رجل خصم وعدو ، وهذا هامان الرديء » .

٥ - فارتاع هامان وتزلزل . فانتقل الملك الى الحديقة مغتاظاً ، فوقف هامان يتوسل عن نفسه الى استير . ولما رجع الملك من الحديقة الى ردهة شرب الخمر « وهامان متواقع على السرير الذي كانت استير عليه » ، قال : « هل ايضاً يكبس الملكة معي في البيت ؟ » ، ولما خرجت الكلمة من فم الملك ، غطوا وجه هامان . فقال احد الخصيان : « هو ذا الخشبة التي هيأها هامان لمردخاي الذي تكلم بالخير نحو الملك قائمة في بيت هامان ارتفاعها خمسون ذراعاً فقال الملك : اصلبوه عليها ، فصلب .

٦ – « ونزع الملك خاتمه الذي اخذه من هامان واعطاه الى مردخاي » وصار مردخاي محل هامان في القصر . وجثت استير وتضرعت ، بان يأمر الملك بابطال تدابير هامان المطلقة الى ارجاء المملكة . وقالت : « لانني كيف استطيع ان ارى الشر الذي يصيب شعبي وكيف استطيع ان ارى

هلاك جنسي ؟ » .

٧ – فكتب مردخاي الى المرازبة والولاة ورؤساء البلدان ، والى اليهود جماعته « من الهند الى كوش (الحبشة) ١٢٧ كورة » والى كل شعب بلسانه وختم الرسائل بخاتم الملك ، واطلقت برد الخيل والبغال بـــني الرّمك » . ومحتوى الرسائل ان يقف اليهود في كل مدينة« ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم ، حتى الاطفال والنساء ، وان يسلبوا غنيمتهم في يوم واحد » . وهذا يدلنا على شيئين خطيرين :

اولاً – ان اليهود كانوا منتشرين في جميع المملكة مع وجودهم في السبي ، وثانياً – ان الكراهة لهم كانت عامة في جميع الشعوب التي ارسلت اليهاتلك الرسائل .

٨ – وخرجت مدينة شوشن فرحة ، ولليهود بهجة ، مقرونة بالولائم الطنانة ، « وكثيرون من شعوب الارض تهودوا لان رعب اليهود وقع عليهم » . هكذا يقول السفر ! .

٩ – « فضرب اليهود جميع اعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما ارادوا » قتلوا في شوشن القصر خمس مئة رجل . ابناء هامان العشرة قتلوهم ثم صلبوهم في اليوم الثاني ، وهم : فرشنداثا ، ودلفون ، واسفاثا وفوراثا ، وادليا ، واريداثا ، وفرمشتا ، واريساي ، واريداي، ويزاثا [١] .

١٠ – ثم قتـــلوا في شوشن القصر ثلاث مئة رجل . « واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين الفاً ... في اليوم الثالث عشر من شهر آذار واستراحوا في الرابع عشر منه وجعلوه يوم شراب وفرح » .

---

(١) في الترجمة اليسوعية (الفصل التاسع) نرى هـذه الاسماء على هـــذه الصورة بلا خلاف سوى ، ان « الثاء » الاخيرة وبعدها ألف في خمسة من هذه الاسماء وردت « تاء » والاسم الاخير اوردته الترجمة اليسوعية « ايزاثا » . و « هامان بن همداثا الاجاجي » اوردته اليسوعية « هامان ابن همداثا الاجاجي » أي التاء ثاء .

اذا كان هذا صحيحاً كله او بعضه من حيث عدد القتلى ، فهنا باب للسؤال وهو : اذا كانت الشعوب التي في مملكة فارس المنبسطة من الهند الى الحبشة في ١٢٧ ولاية ، ويقطنها من الشعوب والامم على اختلاف الالسنة عدد ضخم كبير ، وهذه الشعوب والامم تكره اليهود كما يقول السفر، فهذه الكراهة ليست من صنع هامان بن همداثا الاجاجي العماليقي ، وهو بمختلف وسائله اعجز على كل حال من ان يملأ قلوب الشعوب والامم بمثل تلك الكراهة العميقة الجذور ، فهامان اذا بسط للملك من امر تلك الكراهة لليهود ما بسط ، فهو في ذلك لم يعد الحقيقة شعرة ، واما الذي بذر بذور تلك الكراهة لليهود هم اليهود انفسهم لا غير [١] . وكذلك في الزمن المعاصر ، فمنذ قامت الحركة المسماة « باللاسامية » في اوروبا الوسطى في الربع الاخير من القرن الماضي وشاعت في كثير من البلدان الاخرى ، جعل اليهود ينسبون السبب في « اللاسامية » الى بعض المسيحيين وجعلوا مستندهم في هذا الزعم « الدين اليهودي » وهذا كله باطل ، فان « اللاسامية » في عاري حقيقتها حركة يهودية مصطنعة خلقها حكماء صهيون للاستغلال، واذا تمكنوا من نشر التضليل حول هذه الحركة بسبب ما وضعوا من الكتب حولها للخديعة وما لهم من اجهزة دعائية خبيثة علنية وسرية ، وهذا كله مبسوط مستوفى في « البروتوكولات » .

١١ – وكتب مردخاي الى جميع اليهود في المملكة ان يعيّدوا في اليوم الرابع عشر والخامس عشر ... ودعي هذا العيد عيد « الفوريم » اي القرعة لأن هامان القى قرعة لافنائهم .

* * *

---

(١) بعد ظهور المسيحية اشتد الويل على اليهود شيئاً فشيئاً في الامبراطورية الرومانية ، الغربية والشرقية ، وكان الملك قسطنطين الكبير يلقبهم في المنشور القيصري «بالشعب المكروه» وبين عصر احشويروش الفارسي وعصر قسطنطين الكبير اكثر من ٨ قرون والكراهة لليهود تطرد وتزداد ، وظلوا هكذا حتى جاء الاسلام في القرن السابع فنعموا في مرابع حضارته ، ولا سيما في الاندلس . (راجع تاريخ الاسرائيليين لابكاريوس ص ٨٠ طبع ١٩٠٤)

هذا العيد يحتفى به كل سنة على غير انقطاع وفي كل بلد فيها يهود، ويقال له « البوريم » – وفي التوراة « فوريم » – وله شأن كبير عند اليهود قاطبة حتى اليوم وغداً ، وهو مجلى غرائزهم ، ومظهر شراستهم ، فانهم في كل سنة يخرج منهم الى الاسواق في المدن المختلطة افراد وجماعات متنكرين زيـاً ولباساً ويأخذون بالاعتداء على غير اليهود ، احياء لذكرى ما صنعوا وقت استير ومردخاي ، قبل اليوم بخمسة وعشرين قرناً . ويهيجون وهم يعتدون على المخازن التجارية واتلاف السلع، هياج السائمة . ويحرضهم على هذا طبقة متزمتة من الحاخامين الذين يمارسون جنايات الدم – خطف الاشخاص من المسيحيين والمسلمين وقتلهم وتصفية دمائهم واستعمال الدم في طقوس دينية – وعيد البوريم في فلسطين ايام الانتداب البريطاني كان يشتمل كل سنة على عدة حوادث عدوانية يقوم بها اليهود الذين ذكرنا صفتهم انتقاماً من العرب. وروح الانتقام هذه في صدور اليهود غير مقصورة على شعب بعينه من شعوب العالم، بل موجهة الى جميع البشر ، ومتى ما علمنا ان اليهود في العالم هم جزء قليل لا يجاوز الواحد من المئتين والخمسين ، ادركنا ان هذا الخلق فيهم هو اكثر من مجرد احياء ذكرى ، بل هو غريزة شاذة لأذى الانسانية . وهذه الروح هي النقطة المركزية في البروتوكولات ، وبوسع القارىء ان يقابل بين هذه الروح وكثير من الوقـائع المشابهة لحوادث عيد « البوريم » في كل دور من ادوار تاريخهم .

واما «سفر» استير فأنه يقرأ في المجامع اليهودية كل سنة ، وقد ثابر اليهود على هذه العادة منذ ٢٥ قرنـاً . واسم استير عندهم هو «هداسا» وفي التوراة «هدّسة» وفي فلسطين مؤسسة مستشفيات يهودية اسمها «مستشفيات هداسا» اكبرها المستشفى الذي في جبل الزيتون المطل على القدس . .

* * *

ما ذكره الطبري حول استير

وحريّ بالقارىء العربي، وهو يطلع على غرائب هذه «اليهوديات» في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعلم ان الكشف الحديث، والبحث العلمي، والتنقيب الاثري، كل هذا من ثمراته ان يزيح شيئاً فشيئاً من الحجب والسجف التي تستر ما يريد اليهود ستره من خفاياهم – حري بالقاريء أن يسأل: هل لاستير ومردخاي اليهوديين من ذكر في التاريخ العربي الاسلامي؟

ونجيب على هذا بان ما ذكره التاريخ العربي الاسلامي من أمر استير، ما هو الا خلاصة مبهمة، ضائعة بين الاسطورة ورشاش من الحقيقة. ونأخذ مثالاً على هذا الطبري، شيخ المؤرخين (٨٣٩ – ٩٢٣ م) وقد عاصر جملة من خلفاء بني العباس، الواثق بعد المعتصم الى المقتدر وهؤلاء نحو عشرة، وكان اليهود في هذا العصر يرتعون في بحبوحة الخير في ظل الدولة العباسية في المشرق والدولة الأموية واماراتها في الأندلس والمغرب، وكانت الأساطير والآراء النابعة من المصادر اليهودية، قد تسربت ودبت حتى وصلت الى كثير من التفسير والحديث وكتب التاريخ والسّيَر مما عرف **بالاسرائيليات**، حتى رأينا بعد ذلك قوافل من الحقائق العربية الاسلامية بحاجة الى ان ينفى عنها زيغ ما لصق بها من **الاسرائيليات**. وكانت **الاسرائيليات** من مفسدات التاريخ.

* * *

ذكر الطبري موجزاً سطحياً لقصة استير كما تهيأ له أن يأخذها من مصادره، وذكر مردخاي، غير انه في قصة استير لم يعرج على هامان بقليل او كثير. أما الأسماء فان **احشويروش** في الترجمة الاميركية للتوراة هو عند الطبري **احشوارش** ومردخاي هو **مردخي** واستير **اشتر**.

وبعد ان ذكر الطبري اتساع رقعه المملكة بقوله «وملك بابل الى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر» قال: «و تزوج من سبي بني اسرائيل امرأة يقال لها اشتر

ابنة ابي جاويل ، كان رباها ابن عم لهـا يقال له مردخي ، وكان اخاها من الرضاعة ، لأن أم مردخي ارضعت اشتر ، وكان السبب في تزوجه اياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة يقال لهـا وشتا ، فأمرها بالبروز ليراها الناس ليعرفوا جلالها وجمالها فامتنعت من ذلك ، فقتلها ، فلما قتلهـا جزع لقتلها جزعاً شديداً . فأشير عليه باعتراض نساء العالم ففعل ذلك وحببت اليه اشتر صنعاً لبني اسرائيل .. وكان ملك احشوارش كان اربع عشرة سنة . وقد علمه مردخي التوراة ودخل في دين بني اسرائيل ، وفهم عن دانيـــال النبي .. ومن كان معه حينئذ مثل حننيا وميشايل وعازريا فسألوه بأن يأذن لهم في الخروج الى بيت المقدس .. » والمراد بقول الطبري انها تزوجته صنعاً لبني اسرائيل أي خدمة لقومها (الطبري ١ : ٢٨٤) . والمهـــم في قول الطبري ان احشوارش دخل في اليهودية على يد مردخاي . راجع في هـذا الكتاب ترجمة دانيال .

* * *

٥ ـ البناة الاول «لحكماء صهيون»

الأنبياء : حزقيال ــ عزرا (عزير) ــ نحميا ــ دانيال

من حزقيال ودانيال وعزرا (عزير) ونحميا واستير ومردخاي ، وارميا، من هؤلاء الذين عرفناهم عن طريق التــوراة ، وترددت اسماؤهم وقت سبي نبوخذ ناصر لاورشليم ، وتخريبه الهيكل ، وهدمه المدينة ، واخذه الكنوز التي استطاع العثور عليها في الهيكل - وهي رأس مال كل يهـودي قديم وحديث- وبعد سبيه الشعب اليهودي الى بابل العراق بحيث لم يبق في المنطقة اليهودية والقرى المحيطة بها الا الضعفة وقليل من الزراع والعملة ، ولا شأن لهم جميعاً - من هؤلاء البناة الاولين لمنهج « حكماء صهيون » الى دزرائيلي ، و « احد ها عام » ، ووايزمن ، وجابوتنسكي ، وبن غوريون ، ومسافة الزمن لا تقل عن ٢٤ قرناً - ترى انسياب الغرائز اليهودية مطـّرداً يتخلل الاجيال كلها ، نابعاً من خلق له خفاياه وبواطنه ، وفي هـذه المواطن المبهمة العميقة تكمن اسرار اليهودية فهي ابـداً تتلون ، لكنها في اصل عنصرها ومادتها لا تتغير .

وسواء علينا ، أبـدأنا بحزقيال وانتهينا بهرتزل ، ام بهرتزل وانتهينـا بحزقيال ، فالاربعة والعشرون قرناً ، وهي قرون تفاعل بـين امم العالم على وجه الارض ، وتلاقح في الدم والفكر والفن والصناعـة ، بحيث شارك في هذا التفاعل والتلاقح كل جنس من الاجناس البشرية - على قـدر طاقته ، فهذه السلسلة من القرون - عجزت وستبقى عاجزة ، عن ان تنقح شيئاً قـل ما قل ، من الغرائز اليهودية ولا سيا في جذورها واصل جراثيمها . اليهود ،

من اول امرهم في الوجود ، يمثلون كتلة بشريـــة شاذة ، قامت على الانفراد والاتانية ، والابتلاع ، وتأبى الانصهار الحضاري في اي بوتقة حضارية عاش فيها اليهود او احتكوا بها . حزقيال ورفقته ، هم اول من مثل الدور الاول في تهيئة النسيج الذي عرف نظامه فيما بعد « بحكماء صهيون »، فلنضع صورة مجملة امام القارىء ، لكل واحد من هؤلاء « الانبياء » الذين وهم في السبي في القرن السادس قبل المسيح ، كانوا الحلقة الاولى من «الحكماء» الذين هم يؤلفون بالامتداد والاطراد ، القوة اليهودية العالمية السرية ، وغايتهـــم الوصول الى التسلط الموهوم على العالم بعد محاولة نسف المسيحية والاسلام .

* * *

انبياء بني اسرائيل ، هم كما وصفهم الكاتب العالمي المؤرخ « ولز » في كتابه « موجز تاريخ العالم » ، على الغالب ساسة في مسوح الانبياء . وكانوا ثلاثـة اصناف : الانبياء الذين كانوا حول الملوك ، ولهم مجاذيفهم في السفينة ، فاذا كانوا مع الملك ، والملك شرير ، احترقوا ، وان كانوا مـع الشعب فالسجون والنطوع مهيأة . وقتل أي نبي من هؤلاء اهون من ذبح شاة . واحياناً ، لا بأس ان يكون القتل داخل الهيكل ، عند قدس الاقداس .

ولذلك لما صرف ارميا ٤٠ سنة في التنبؤ ، آخرها لمـا جاء نبوخذ ناصر ليؤدب صدقياً آخر ملوك يهوذا ، ويسوقه اسيراً مكبلاً الى بابل ، بعد ان سمل عينيه ، وقتل اولاده بين يديه ، في اريحـــا ، خاطب ارميا اورشليم بقوله : « لانك منذ القدم كسرت نيرك ، وقطعت قيودك ، وقلت لااتعبد. لانك على كل اكمة عالية،وتحت كل شجرة خضراء انت اضطجعت زانية »[1].

وكان ارميا ينصح صدقيا الا ينقض عهد العبودية لنبوخذ ناصر فلم يستمع هذا اليه ، فتنبأ ارميا وصدقت نبؤته : « في ذلك اليوم ، ... يخرجون عظام ملوك يهوذا ، وعظام رؤسائـه ، وعظام الكهنة ، وعظام الانبياء ،

---

(١) سفر ارميا الاصحاح الثاني .

وعظام سكان اورشليم من قبورهم ، ويبسطونها للشمس والقمر ولكل جنود السموات التي احبوها،والتي عبدوها والتي ساروا وراءها ، والتي استشاروها، والتي سجدوا لها ، لا تجمع ولا تدفع ، بل تكون دمنة على وجـــه الارض ويختار الموت على الحياة عند كل البقية الباقية من هـــذه العشريرة الشريرة الباقية في كل الاماكن التي طردتهم [١] اليها » . وكأن ارميا يصور ما وقع لقومه من الفواجع جزاء تمردهم.واتى نبوخذ ناصر على هذه«العشيرةالشريرة».

* * *

والصنف الثاني من انبيائهم كان يقال للواحد منهم « الرائي » من رأى ، وهذا ادنى منزلة من « نبي » وارفع من الرجل العـــادي ، لكنه يسير في في اتجاه « الساسة » ، و « الرائي » عدده وافر ، اذ لا يحتاج من العدة الا الى شيء من بارع الفراسة وصحة الملاحظة [٢].

والصنف الثالث هم الذين يقال لهم « الانبياء الكذبة » ، تجار ، باعـة ، وحملة مجامر الملق والدهن ، وعددهم بالمئات لا العشرات . لما اجتمع بهم النبي « ايليا » – الياس – على جبل الكرمل ، في القرن التاسع ق. م. كانوا ٤٥٠ من انبياء البعل ، و ٤٥٠ من انبياء موائد الملكة ايزابل زوجة الملك آخاب (ابتداء مدته ٩١٨) [٣] .

فلنتكلم عن بعض انبياء الطبقة العاليـة ، والذين يطلق عليهم « الانبياء الكبار » الذين من ايديهم انتشرت بذور « حكماء صهيون » :

* * *

---

(١) سفر ارميا الاصحاح الثامن .

(٢) للاستزادة من العلم بهذا الموضوع راجع كتاب الدكتور حسن ظاظا وقد علقنا عليه في ص ٥٢و٥٣ من الجزء الاول .

(٣) سفر الملوك الاول – الاصحاح ١٨ .

(١) حزقيــال

هو حزقيال بن بوزي ، ظهر في آخر مدة ملوك يهوذا ، قبيــل زحف جيش بابل من العراق ، وكان من جمــلة السبي (في القرن السادس ق. م.) ورتبته الكهنوتية عالية ، وهناك في العراق سكن في ناحية على نهــر الخابور ومكان اسمه بالعبرية « تل ابيب » ، وصار بيته نادياً يرتاده الشيوخ ، فيعظهم حزقيال ويبكيهم ، ويذكرهم باورشليم . وما مضى عليه اكثر من خمس سنين وهو دائب في عمله من التذكير والتوبيخ والاستنهاض ، حتى شرع يتنبأ ، او يستأنف عمله الذي كان قد بدأه في اورشليم ، ومدة نبوتــه كلها في اورشليم وعلى الخابور اكثر من ٢٢ سنة . حزقيال كان معاصراً لارميا ، وارميا بعــد فتكة نبوخذناصر آثر البقاء في القدس ،ولا ندري كيف استطاع ذلك ، ثم انتقل الى مصر لاجئاً وقضى هناك . وهو معاصر لدانيــال ايضاً ، ودانيال استاقه السبي الى العراق ايضاً ، لكنه وقت السبي كان صغيراً في الرابعــة او الخامسة .

وحزقيال ماتت زوجته وهو في الخــابور ، فظل متابعاً سيره في نبوته ، واشتهر امره حتى لقب «بنبي السبيّ» ، كما لقب زميله ارميا «بالنبي البكّاء» من كثرة انتحابه على اورشليم . ويهمنا ان نعلم من أمر حزقيــال ما صنعه وقت السبي :

١ ــ جعل منزله نادياً للشيوخ ، فاستطــاع بهذا ان يجمع الحلقات حوله ويبث فيهم من الآراء ما يريد ، جارياً في هذا على اوتار حساسة جامعة بين التأنيب والايقاظ والتحريض .

٢ــ فاكتسب ثقة الشيوخ ، حتى صار امينهم ومشكى الجماعة في المسائل والمشكلات ، وأمست اسرارهم عنده .

٣ ــ وصف الكتّاب التوراتيون اسلوبــه في الكلام والخطابة بأنه حماسي مثير ، ملهب للشعور .

٤ – وعندما يرى شدة الاستماع اليه، كان ينتقل بهم الى التوبيخ والتقريع، ويبين لهم ان ما اصابهم من سبي وتشريد، سببه انهم عصاة، لم يلوذوا «بتوبة»، فجاءت المصائب تجازيهم على اعمالهم الباطلة، وتلك المجازاة قد حلت بهم وهي ستظل حالة بهم ما داموا في السبي تحت حكم الكلدان خارج اورشليم .

٥ – لكنهم يستطيعون ان يعودوا ، اذا تابوا حقاً .

٦ – وكان همه في المقام الاول ان يعنى عناية خاصة باجتذاب الشباب الذين نشأوا نشأتهم الواعية في تل ابيب الخابور ، ولم يشهدوا يوم نبوخذ ناصر في اورشليم

* * *

ان عمل حزقيال على هذا المنوال ونحو الغاية الكبرى، وهي اعداد الجيل الجديد في السبي للعودة الى اورشليم ، مع عمل عزرا الكاتب في هذا المضمار ايضاً من ناحية اخرى – هذان العملان معاً – كانا اكبر عامل في فتح ابواب الخيال الاسطوري مما ادى الى نتائج كبيرة في الاجيال المقبلة . واول النتائج الخطيرة ، جعل اليهود في السبي يقبلون على المناخ الذهني الفكري اقبالاً مهّد الطريق لظهور «التلمود» بعد عدة قرون وبعد ان خرب الرومان اورشليم سنة ٧٠ ب.م والتلمود هو العجيب الغريب ، فالتربة الاولى لنبتته هي هنا ، وهو كنز وذخر لمختلف الاخيلة الجامحة من ناحية ، وغير المعقولة من ناحية اخرى ، ومن التلمود خرجت «القبالة» ومن القبالة خرج منهج «حكماء صهيون» الذين اتخذوا البروتوكولات دستوراً عملياً خفياً سرياً لهم وهذا يراه القارىء مبسوطاً في الجزء الرابع من هذا الكتاب .

وحزقيال في آخر حياته، جهل أمره ، وتوارت اخباره ، لكن الاساطير التي تعلقت به جعلت تغلفه بهالة بعد هالة من التعظيم . وقبره على شاطىء الفرات عند احد فروعه ، ولا يعلم تاريخ بنائه وهو عند اليهود مزار مقدس حتى اليوم ، غير اننا لا نعلم مصيره بعد سنة ١٩٤٨ ، ومع الزمن ولا سيما في عصور الدولة العربية الاسلامية ، رتع اليهود في ظل وارف من الامن والدعة،

مما لم يتذوقوه في سالف ايامهم ، فبنوا القبـاب على القبر، بعد الف سنة من عصر حزقيال ، وظلت الاساطير في أثره ، ومن هـــذا ان كان فوق القبر قنديل يبقى مضاء ليل نهار وان حزقيال أول من أضاءه فلم ينطفىء بعـد . قلنا : ولكنــه انطفـأ ولا مرد . وجعلوا له المواسم والاعياد ، والزيارات والنذور .

فحزقيال ، بلغة الواقع المجرد ، عارياً من الاساطـير ، هو منظم حـال الجالية اليهودية في السبي ، المهيء للجيل الجديد للعودة الى اورشليم ، وسنرى كيف ان الخيوط اليهودية التي غزلها هو وانداده من الانبياء في اثناء السبي قـــد اثمرت التلمود ، ومن التلمود انبثق « منهج حكماء صهيون » ويستطيع القارىء ان يدرك الآن ما اشبه مخطط حزقيال بمخطط « احد ها عام » المترجم في الجزء الاول .

وحزقيال احد « الانبياء الكبار » عند بني اسرائيل ، وغير حزقيال من « الكبار » ، هوشع وعاموس وميخا ، وارميا واشعيا ودانيال . وايليـــا (الياس) من اول الكبار ، وانما المراد بالكبار لا جميـع الانبياء بل الذين دونت نبواتهم ثم جمعت في « العهد القديم » اسفار معلومة . وايليا ، لا سفر له في التوراة لان نبوته لم تدون بل تنوقلت بالرواية التي غمرتها الاساطير .

***

٢ ــ عزرا الكاتب او عزرا الكاهن

(هو في القرآن الكريم عزير)

هو احد الذين مثلوا في السبي ذلك الدور الخطير المتعلق بالعودة ، وممـا اجملناه في ايجازنا الكلام على حزقيال . ونرى الآن ان الدور الذى اتقن عزرا القيام به ، ارتفع بصاحبه الى ذروة الذرى حتى قالوا فيه ان الله اذا كان لم يعط الالواح الى موسى فما احرى ان يعطيها الى عزرا . بعبارة اخرى ، ان

اليهود وهم في السبي كأنهم قد خلقوا مرة اخرى . وعزرا من ابطال «الرواية» ابتداء واختتاماً . واما الحياة الخاصة لعزرا، فلا نعلم عنها شيئاً الا ما نسجته الاساطير اللاحقة . وهو عاش حياة طويلة ، وأما اين مات فأمر مجهول ، لذلك ضاع قبره بين ان يكون في العراق او في فلسطين .

صفوة عمله :

١ – انه قد وصف في التوراة (سفر عزرا ٧ : ٣) بهذه العبارة : «عزرا هذا صعد من بابل (الى اورشليم) وهو كاتب ماهر في شريعة موسى » . ويفسر اليهود الكتابة هنا بمعنى القدرة الكتابية ، لا النسخ وتعاطيه صناعة . لذلك لقب عندهم بعزرا الكاتب او عزرا الكاهن .

٢ – لما صنع دوره على ما نرى الآن ، غالى فيه قومه غلواً عظيماً ومما قالوا فيه : « عزرا اوجد حل البقاء لاسرائيل فهو من اسرائيل عن طريق التلمود ، كموسى عن طريق التوراة . وكما ان موسى خلق امة من العبودية ، كذلك خلق عزرا امة من السبي ، وكان حرياً بأن يعطي الله التوراة على يد عزرا لو لم يعطها على يد موسى[١] » . وهذا القول يعزى الى مجلس «السنهدرين»[٢] .

---

(١) المقدمة من كتاب «التلمود» بالانكليزية Everyman's Talmud لمؤلفه أ . كوهين .

(٢) السنهدرين مجلس علماء اليهود الاعلى وظهر هذا المجلس بعد الرجوع من السبي، وهو راشح من تعاليم حزقيال وعزرا ودانيال واستير ومردخاي ، او هو الروح اليهودية في السبي ، ثم تجسدت وتجسمت في اورشليم بعد العودة . ظاهره هيئة علماء وباطنه مجهول حتى لعامة اليهود ولما جاء الرومان لم يعارضوا به بل ابقوه وجعلوا امرهم منه على حذر وسلطته دينية في الظاهر وله سلطة جزائية قضائية الى حد ما . كان مؤلفاً من ٧٠ عضواً . بعد خراب القدس انتقل الى طبريا في القرن الاول . ثم كافحته دولة الروم الشرقية بدورها ، فصار يظهر ويختفي ، ثم انقلب الى مستودعات الاسرار اليهودية ، وهو ينبوع جرت مياهه الى التلمود . فالسنهدرين ، وأصل الكلمة يوناني لا عبراني ، من الروافد التي تصب في التلمود ، وهو اسبق وجوداً من التلمود بقرنين الى ثلاثة . وقد مر ذكره في هذا الجزء في باب «التوراة واسفار العهد القديم» .

وهؤلاء الغلاة من اليهود ، والغلو عندهم صناعة تستغل ومنهـا فائدة لهم ، هم الذين احفادهم قالوا بعـد اليوم بنحو ١١ قرناً في موسى بن ميمون : « من موسى الى موسى لم يقم مثل موسى [١] وقال الفيلسوف الغـالي اليهودي موسى مندلسون ، وكان مقرّبا من فردريك الكبير على نحو موسى بن ميمون من صلاح الدين ، يصف بقاء الروح اليهودية رغم صروف الزمن : « ايها الموت ! انك قطعت الشجرة وابقيت ثمرها فلم تقض عليها كلها بل على بعضها . وحكمته منقوشة في الصحف والالواح ، ولا يزال يناقش احباءه في كلماتها ومعانيها وعلومها ، لكنه لا يناقش بالشفاه واللحم والغبار والرماد ، ولا بالكلمات والاموات ، بل بالروح فقط » .

٣ - وذهب فريق عظيم من اليهود في تعظيمه الى حد تأليهه . وبسبب هذا ، جاء ذكره في القرآن الكريم بالاستنكار : « وقالت اليهود عزير ابن الله .. قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهـم الله انى

---

(١) موسى بن ميمون وكنيتـه ابو عمران ، طبيب في الصناعة وفي الفلسفة احد تلامذة الفيلسوف العربي ابن رشد في الاندلس . وموسى بن ميمون معروف عند العرب من هذه الناحية ، فهو من اليهود الذين ظهروا في حمى الدولة العربية الاندلسية . وكان مقامـه قرطبة ، فلما وقعت احداث انتقال من دولة عربية الى دولة عربية اخرى ، فارق قرطبة وجـاء اولاً المغرب ثم انتهت به الرحلة الى مصر ايام السلطـان صلاح الدين الايوبي ، ولقي موسى بن ميمون كل نعمة من صلاح الدين ، فاتخذه طبيبه الخاص . والناحية الفكريـة الادبية الفلسفية الظاهرة ، هي الناحية التي يعرف بها العرب موسى بن ميمون . غير ان موسى بن ميمون كان «قباليـاً» تلمودياً مغالياً ، فهو حلقة من السلسلة التي نتناولها في هذا الكتاب بايجاز لنصل بكل هذا الى ان غاية الغايات في النهاية كان وضع «بروتوكولات حكماء صهيون» اواخر القرن الماضي. ومدار هذا الكتاب الكشف عن الحقائق الرهيبة التي تنطوي عليها البروتوكولات . موسى بن ميمون هو صاحب كتاب « دلالة الحائرين» وضعه بالعربية وانتحى فيـه منتحى قبالياً فاستخدم الحروف العبرية ليخفي ما يود اخفاءه، فيطلع على ذلك بنو قومه لا غيرهم من المسلمين والنصارى. ومرمى « دلالة الحائرين» من الناحية الفلسفية ، ان لا تناقض بين العقـل والوحي ، او بين ارسطو والتوراة . وقد يكون موسى بن ميمون ، وهو قبالي من الغلاة ، انه سار في الكتابة العربيـة بحروف عبرية على منهج استطاع به ان يقول لقومه اليهود ما لم يشأ قوله للقـارىء العربي . غير ان كل هذه الامور من القبالة وحكماء صهيون لم يكن العرب يحفلون بها في الماضي .

يؤفكون [١] . وقال الزمخشري في تفسيره في «الكشاف» ان القول بتأليه عزير هو قول ناس من اليهود كانوا بالمدينة وما هو بقول كلهم ، وذكر بعضهم كسلام بن مشكم ، ونعمان بن اوفى وشاش بن قيس ومالك بن الصيف . فهؤلاء اليهود في المدينة المنورة في اوائل القرن السابع كانوا قائمين بالتعاليم التي وضعها عزير ، وكان قد مضى على موته نحو من الف سنة . فتأمل قوة الانسياب في الخلق اليهودي عبر التاريخ .

٤ — لم يخف على اليهود ، بعد ان حلت بهم الجائحة وأمسوا في السبي في بابل ، وهم الآن البقية الباقية ، سبطان ونصف السبط من الاثني عشر سبطاً ، ان يفنوا ويضمحلوا كما فنيت واضمحلت الاسباط السابقة قبل الآن بنحو ١٣٦ سنة وتلك التي ذهبت هي مملكة السامرة على يد سرجون الاشوري في الشمال ، وهذه التي محقها نبوخذناصر وسبا أهلها الى العراق هي المسماة بمملكة يهوذا ، وقاعدتها اورشليم . قلنا ان هذا الخطر المحتمل ، لم يخف تصوره على قادة اليهود في السبي البابلي ، وفي سبي مملكة اسرائيل قبل ١٣٦ سنة كان عدد اليهود الذين استاقهم سرجون الى اشور ثم ابتلعتهم الدواهي ٢٧,٢٩٠ نفساً كما تقول « موسوعة تاريخ العالم » ، فما اهون ان يلحق بأثرهم المسبيون الجدد وهم اقل من اولئك ، ومدة ١٣٦ سنة ، المدة الفاصلة بين السبيين ، ليست بالطويلة ، بل هي مدى حياة احد المعمرين في كل عصر ، على ما هو المشاهد. فجعل قادة اليهود يتفكرون ، وكان عزرا احد هؤلاء الذين رأوا وجوب المحافظة على «العشيرة الشريرة» التي هكذا وصفها نبيهم الصادق أرميا . فمثّل عزرا دوره وكان دوراً عظيماً .

٥ — كان سند اليهود في اورشليم : الدين والهيكل ، والاول يمارس بطقوسه المختلفة في الثاني . أما الآن فهم في سبي بابل ، والهيكل حوّله نبوخذناصر الى خرائب عفنة . فلم يبق الا احياء التوراة والتمسّك بها وهذا ما نهض به عزرا ووفق فيه ومن هنا رفعوه الى مقام الالوهية وقالوا ان التوراة لو لم تنزل على موسى لنزلت عليه .

---

(١) سورة التوبة ٣٠ ،

٦ – كانت لدى اليهود حتى يوم السبي النبوخذناصري ، بعض كتابات أنبيائهم وصحف الزبور ، فجعل عزراً يجمع هذا ويحول التراث المتناقل عندهم بالروايات التي دائماً تقبل المزيد والنقص ، الى مجموعات مدونة ، وينظّم ذلك ويقول لهم : ان رمتم العودة الى اورشليم فاعتصموا بالتوراة ، وهـــذه هي توراتكم .

٧ يَنسب الى عزرا أنشاء « الكَنيس » ، وهذا بدأوه في بابل . وهذا ما صنعه عزرا .

٨ – صارت الدرس والعظات تعطى في الكنيس . ومن الكنيس انبثق السنهدرين بعد العودة .

٩ – وعلى الجملة يصور هذا كله هكذا :

في اورشليم حتى السبي البابلي : الدين او التوراة في الهيكل .

في بابل : ١ – جمع الاسفار ولم تكن مجموعة من قبـــل ، وجمع التقاليد الشفوية .

٢ – تهيئة الجيل الجديد للعودة .

في اورشليم : ٣ – العودة على نوبتين الاولى بقيادة زربابل والثـانية بقيادة عزرا .

٤ – بعد العودة ، الكنيس الى جانب الهيكل .

٥ – وسيطرت على الجمـــاعة هيئة عليا او مجلس أعلى اسمه السنهدرين والسنهدرين مستودع اسرار .

٦ – قبل المسيح بنحو قرن كان الجو قد تهيـــأ لدفق جديد فظهرت طلائع ما عرف بعدئذٍ بالتلمود وهو كما زعموا الشريعة الشفوية التي تركهـــا موسى الى جانب التوراة . ومن التلمود القبالة ومن القبالة حكماء صهيون .

١٠ – ورأى عزرا ان اختلاط اليهود بغيرهم من الاقوام في السبي مدعاة الى توهين الروح اليهودية ورابطتها ، وهذا التوهين يفل من العزم على العودة، فحرم عليهم الاختلاط بسواهم في زواج أو قربى او مصاهرة،ودعاهم للتسمي باسماء كلدانية مع الاحتفاظ باسمائهم العبرية . على نحو مـــا رأينا في قصة استير ، فهذا هو اسمها الفارسي او الكلداني ، أمـــا اسمها في العبرية فهو « هدسّة » أي الكوكب او النجم .

١١ – امّا شريعة موسى ، فبعد ظهور التلمود الممثل للشريعة الشفوية ، اصبحت أثراً مقدساً لا أكثر ، وسارت الغرائب والخيال القبالي بالتلمود الى اقصى الحدود . فانهم اذا كانوا الى أيام مؤرخهـــم يوسيفوس [١] لا يجرأون على تغيير التوراة التي كانت بأيديهم ، الا ما نالوه بالتحريف ، ففي التلمود وجدوا اوسع مجال وأخصب تربة ، والسند هنا لا كتابي بل رواية معزوة عزواً ، ولما شرعوا في هذا كان قد انقضى على وفاة موسى لا اقل من ١٢ قرنـــاً ، فتأمل . وقال لهم عزرا : لا سبيل لكم الى العودة الا اذا تمسكتم بشريعتكم وتراثكم وتقاليدكم وكل ما يتألف منه ماضيكم ، ولو تعرضتم للمهالك والنار والعذاب . وراحت هذه الروح تعتلج في صدورهم حتى اليوم . وانظر في قول كاتبهم الروائي « زنكويل » رفيق هرتزل ثم افترق عنه سنه ١٩٠٣ : « ان التاريخ ، وهو في معظمه ذوبان الاقليات في الاكثريات ، لم يسجل بين دفتيه ان شعباً ما ، كتب له البقاء بعد ان غمرته النكبات ، الا اذا كان طريق بقائه واحـــداً من اثنين : فاما التحصن بمكان حريز من الارض واما الاعتصام بدين في الصدور يستبرد في سبيل الحفاظ عليه لهب النار » .

---

(١) يوسيفوس المؤرخ كتب له ان يشهد تخريب الرومان لاورشليم والهيكل نحو سنة ٧٠ ب.م وهو ارّخ هذا التخريب ، وكتب تاريخه مشهور وهو يقول ان التوراة الى زمن كانت ٢٢ سفراً لا أكثر . وفي عصر يوسيفوس بدىء بوضع نسيج التلمود ومات يوسيفوس سنة ١٠٠ ب . م وعاش نحو ٦٣ سنة وقد مرّ ذكره في ص ١٩ و ٢٠ من هذا الجزء .

١٢ – وقال عزرا بضرورة الدين اليهودي لا لكي يتميزوا به دائماً عن الوثنيين وكفى، بل لكي يذكرهم بأنهم ينتمون الى عرق يهودي ودين يهودي. فصارت حياة اليهودي في السبي تنطبع بالطوابع اليهودية «العزراوية»، وكان عزرا دقيقاً في اتباع السنن اليهودية وتطبيقها في بيته ليكون قدوة للآخرين، او ليجعل من مسلكه ونظام معيشته ميسماً يتسم به كل يهودي في السبي.

١٣ – بهذه الطرائق صارت التوراة بعدئذ بنوعيها: المكتوب المدون والشفوي المتناقل، تتسلط على يهود السبي. والشفوي المتناقل تهيأ ليكون اساس المادة التلمودية

١٤ – جاء في سفر عزرا (ص ٧ : ١٠) : « لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليعلّم اسرائيل فريضة وقضاء » ولكي تمهد الطريق من الآن فصاعداً المربيين حتى يجمحوا مع الغلو وشارد الخيال فقد قالوا: تلقى موسى التوراة في سيناء، واعطاها الى يشوع، ويشوع اعطاها الى الشيوخ (وهم الذين يطلق عليهم في التوراة اسم «القضاة» [1] ومدتهم نحو ٤٠٠ سنة والشيوخ اعطوها الى الانبياء، والانبياء اعطوها الى رجال الكنيس اي الكنيس الذي انشأه عزرا، ومن الكنيس جاء السنهدرين وقد مر الكلام عليه.

١٥ – لما تغلبت دولة الفرس على دولة الكلدان البابلية التي منها نبوخذناصر، كان اليهود قد لاذوا بكل مكيدة ليكونوا عيون الفرس على الكلدان، كشأنهم المعهود فيهم في كل دور يقع فيه انتقال الامر والسلطان من دولة الى دولة، فاذا كانوا من رعية الدولة التي ستزول، انبعثوا بطرائقهم ووسائل نسائهم في التقرب من الدولة المتوقع لها الغلبة فيكونوا اعوانها وعيونها ومن آلاتها في ضرب الدولة التي هم من رعاياها، وهكذا فعلوا مع

---

(١) القضاة او الشيوخ خمسة عشر عهدهم بعد عهد يشوع ويشوع بعد موسى منهم شمشون وآخرهم صموئيل النبي الذي على يده انشئت المملكة وبدأت بشاول ثم داود ثم سليمان ثم انقسمت المملكة الى « يهوذا » و « اسرائيل ».

الفرس ، ثم بعد زهاء قرنين رأوا الاسكندر فراحوا يتقربون منه قبل وصوله الى بيت المقدس ، ثم رأوا خلفاء الاسكندر والرومــان وجميع هؤلاء كانوا يقتلون اليهود قتل الافاعي ، ولما فتح العرب جوانب العالم ومراكز حضارته القديمة وافريقيا والاندلس ، كان اليهود يجرون في تقديم عون العيون الى العرب الفاتحين ولا سيما عند فتح اسبانيا على نحو مــا صنعوا مع الفرس لما غزا هؤلاء بابل . وآخر ما شهد العالم من هذه الجبلة اليهودية في العصر الحديث انبثاثهم في اجهزة الدولة العثمانية لما آنسوا انها تتداعى للتفكك ، وامسكوا الخيوط مع رجال الدولة نفسها، ومع المانيا على يد الامبراطور غليوم، ومع بريطانيا، حتى اذا وجدوا رياحهم تهب مع الغــالب تعلقوا به . ولما توغلوا في اجهزة الدولة العثمانية كان حكماء صهيون ، قد نظموا اوضاعهم الحديثة على دستور «البروتوكولات» ليغزوا فلسطين عند اول ضربة قاصمة تحل بالدولة .

١٦ – وفي اورشليم جمعهم عزرا في الهيكــل الذي ما جدد بناؤه على يد الفرس الا ليخرّب بعد عدة قرون على يد الرومان، وقرأ عزرا على الجمع اسفار الشريعة التي جمعها في العراق ، واخذ عليهم العهد الا يختلطوا بسواهم . قيــل انه عاش ١٢٠ سنة ، واختلف في مكان مماته . وسفره في التوراة (مع سفر نحميا واستير) آخر الكتب التاريخية المتعلقة بالعهد القديم ومن الغلو فيه فقد نسبوا اليه انه هو مجدد عسقلان في فلسطــــين ، وعسقلان كانت تعرف ايام عزرا «بني براق» وتجديد عسقلان على يد عزرا من الاسطورة والخيال .

* * *

(٣) نحميـــــا

هو من الأنبياء الكبار كما تقدم. أبوه اسمه حلقيا ونحميا وعزرا فرسا رهان في حلبة العودة ، واعادة بناء الهيكل مع اسوار المدينة ، وبوتقــة اليهود في قالب انتهى الى الصيغة التلمودية فيما بعد . ولا يعرف ما صنعه الواحــد منهما إلا بمعرفة ما صنعه الآخر ايضاً ، لأن أوضاع اليهود لا يصح الحكم عليها من

ظواهرها ، فهي ذات ناحية باطنية مستورة . وكما ان حزقيال ودانيال ومردخاي واستير نراهم جميعاً يقومون بأدوارهم في بلاط ملوك الفرس بعد ذهاب الدولة البابلية ، كذلك نرى هذين الاثنين ، عزرا ونحميا ، كتوأمين برأس واحد ، في اورشليم ، ثم التردد بين اورشليم والعراق لمتابعة المهمة ، وهي أن يعود اهل السبي الى اورشليم . وقد علمنا ما صنعه عزرا الكاهن ، وقد تلاقى الاثنان في اورشليم ، فلنعلم ما صنعه نحميا ، وهما في سبيل واحد، وجميعهم في بابل واورشليم أشبه بالجذوع تمتص من البذور ، واذا كانت الجذوع مرئية فوق الارض ، فالجذور الممدّة بالغذاء مخفية تحت الارض في طبقات التربة . وفي التوراة سفر نحميا يرد بعد سفر عزرا مباشرة ، وقيل ان هذين السفرين كانا بالأصل واحداً ، وبعدهما سفر استير .

وسفر نحميا أخباره بعد التمحيص ذات قيمة كبيرة إذ تمكننا من ان نقف على كيفية العودة ، وهي الرواية ذات الحلقات المترابطة ، فبوقوفنا على أخبار عزرا ونحميا ، نستطيع ان نخرج بصورة مجملة لهذه المرحلة من تاريخ اليهود ، وهذه المرحلة اشتملت على منابت التلمود وجرثومة القبالة . اما من وجهة النظر العربية فعلى قدر ما نحن به معنيون في هذا الكتاب المتعلق بكشف الستار عن مخطط **حكماء صهيون** فاننا نرى في سفر نحميا خبر المقاومة العنيفة التي قام بها سنبلاط الحوروني [1] ، وطوبيا العبد العموني ، وجشم العربي ، لمنع نحميا من اعادة بناء الهيكل والسور وسيأتي الكلام على ذلك في محله من هذا الجزء .

* * *

١ ــ اول ما يعلمنا به نحميا انه كان ساقياً للملك ارتحشستا الفارسي ، وهذا منصب رفيع ، وهو احد المناصب العديدة التي وصل اليها

---

(١) هو زعيم اليهود السامريين الذين انشقوا عن يهوذا وبنيامين ورفضوا كل ما زيد في التوراة على الكتب الخمسة لموسى او المنسوبة اليه وبقيتهم في نابلس الى هذا اليوم وهم حول ١٥٠ نفساً .

اليهود في البلاط الفارسي في مدة قليلة ، وهذا مما يسترعي الانتباه ، ووثبات اليهود، وهم غرباء، الى اعلى مناصب الدولة ، لم يكن شيئاً عارضاً عابراً، ولا وليد المصادفات ، بل نتيجة مخطط محكم : ان يحفظوا سلامتهم وكيانهم فلا ينقرضون كما انقرضت الاسباط السابقة في السبي الاول للمملكة الشمالية ، اسرائيل. وبين السبيين ١٣٥ [١] سنة .

٢ – وبينما يقوم نحميا بعمله في بابل ، جاءه جماعة من اخوانه قادمين من اورشليم فسألهم عن حالهم وحال اخوانهم فقالوا انها غاية في البؤس والشقاء، وظاهرٌ أن هؤلاء الجماعة هم من ضعفة اليهود الذين تخلفوا في المدينة وبعض القرى . فارتمض نحميا ، وراح يبكي ويصلي ويصوم ، وخاطب ربه «اذكر الكلام الذي امرت به موسى عبدك قائلاً ان خنتم فاني افرقكم في الشعوب ، وان رجعتم الي وحفظتم وصاياي وعملتموها ، ان كان المنفيون منكم في اقصاء السموات فمن هناك اجمعهم وآتي بهم الى المكان الذي اخترت لاسكان اسمي فيه » (سفر نحميا الاصحاح الاول) .

٣ – وبعد مدة قليلة ، اسابيع او اشهر ، كان نحميا يسقي الملك وهو أي نحميا مكمد الوجه خلافاً لعادته ، فسأله الملك فقال : « ليحي الملك الى الابد ، كيف لا يكمدّ وجهي والمدينة بيت مقابر آبائي خراب ، وابوابها قد اكلتها النار . فقال لي الملك وماذا طالب انت ؟ فصليت الى اله السماء وقلت للملك اذا سرّ الملك واذا احسن عبدك امامك ترسلني الى يهوذا الى مدينة قبور آبائي فابنيها . فقال لي الملك والملكة جالسة بجانبه – تماماً كما في قصة هامان واستير واحشويروش - الى متى يكون سفرك ومتى ترجع ، فحسن لدى الملك ، وارسلني ، فعينت له زماناً . وقلت للملك ان حسن عند الملك فلتعط لي رسائل الى ولاة عبر النهر لكي يجيزوني حتى اصل الى يهوذا ،

---

(١) يقول المؤلف «هالي» صاحب كتاب «التوراة المختصرة المشروحة » :

في ٧٢١ ق.م كان سبي مملكة اسرائيل . في ٦٠٦ ق.م كان سبي مملكة يهوذا في ٥٣٦ العودة من السبي .

ورسالة الى آساف حارس فردوس الملك لكي يعطيني اخشاباً لسقف ابواب القصر الذي للبيت ولسور المدينة وللبيت الذي ادخل اليه ، فاعطاني الملك حسب يد الهي الصالحة علي (ارميا الاصحاح : ٢) .

٤ — اليس عجباً ان نحميا ينال طلبته كلها عفواً ؟ الاذن بالسفر وتسهيل اسباب السفر ، والاخشاب ومواد البناء ؟ من كان وراء نحميا ؟ انه قد نال اكثر من ذلك ، فلنسمعه يتمم :

فأتيت الى ولاة عبر النهر واعطيتهم رسائل الملك وارسل معي الملك رؤساء جيش وفرساناً « المصدر السابق » .

٥ — ثم ينتقل نحميا فوراً بعد عبارته المتقدمة ليخبرنا بظهور المعارضة له بعيد وصوله الى اورشليم . وهنا هو اكتفى ، او اكتفى جامع السفر ، بمجرد الخبر عن هذه المعارضة . لكننا نسمع تفصيلاً فيما بعد . وجال في اورشليم الخربة ثلاثة ايام ، ومعه حرسه ، ويقول انه لم يطلع احداً على المخطط الذي في ذهنه وصدره . جال في المدينة البالية جولة متنكر راكباً بهيمته . لم يخبر الولاة عن جولانه هذا ، ولا احداً من اليهود . ثم لما فرغ من جولانه جمع وجوه الحكومة — المرزبان فارسي طبعاً ، ووجوه اليهود ، وبسط لهم غايته ، وابرز لهم الرسائل التي في جيبه . لكن سرعان ما هبت مقاومة سنبلاط ، وطوبيا العبد العموني ، وجشم العربي ، وهذه كلمات نحميا : —

« هزأوا بنا واحتقرونا ، وقالوا ما هذا الامر الذي انتم عاملون ؟ أعلى الملك تتمردون ؟ « المصدر السابق » .

٦ . ثم يذكر لنا كيف اشترك اليهود في عمل البناء ، فيذكر نوع العمل ومقداره واسماء من قام بذلك . وتم ارتفاع السور الى نصفه .

٧ — ثم يعود نحميا الى ذكر المقاومة وقد بلغت اشدها ، فتكلم سنبلاط امام اخوته وجيش السامرة وقال : « ماذا يحمل اليهود الضعفاء ؟ هل يتركونهم ؟ هل يذبحون ؟ هل يكملون في يوم ؟ هل يحيون الحجارة من كوم

التراب وهي محروقة ؟ (نحميا الاصحاح ٤) وقال نحميا « وكان طوبيـــا العموني بجانبه فقال ان ما يبنونه اذا صعد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم » المصدر نفسه » .

٨ – ثم استمر نحيا يخبرنا عن حركة المقاومة وقد انضم اليها آخرون فقال : « ولمـــا سمع سنبلاط وطوبيا والعرب والعمونيون والاشدوديون ان اسوار اورشليم قد رممت والثغر ابتدأت تسد ، غضبوا جداً وتآمروا جميعهم معاً ان يأتوا ويحاربوا اورشليم ويعملوا بها ضرراً » . ولما علم نحميا بالاستنفار تهيأ هو واستعد . السحر والقوة في الرسائل التي حملها في جيبه من ارتحشستا . « كقصاصة » وعد بلفور . ثم قال نحميا ان الاعداء لمـــا بلغهم استعدادنا توقفوا عن الهجوم .

٩ – وكانت المجاعة قد ايبست عروق اليهود ، وأكل بعضهم بعضاً بالربا . يتداينون ليقتاتوا بالضرورة . بناتهم عبدات . رجالهم عبيد . فحثهم نحمياً على اسقاط الربا ليعيشوا . واسعفهم بالقمح والزيت . وجمع الكهنة واستحلفهم ان يسهروا على هذا

١٠ – وهنا السر : ان نحميا لما جاء من بلاط ارتحشستا ليبني مدينة قبور اجداده ، ويقوي الضعفة ، كانت له صفة الوالي الرسمي من قبل الملك ، هو الآن يمثل الملك ارتحشستا ، تماماً كما جـاء هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني المندوب السامي الأول على فلسطين أول تموز ١٩٢٠ إلى بيت المقدس ! ممثلا « لصاحب الجلالة البريطانية » هذا في الظاهر ، وفي الواقـع كان من ورائه « حكماء صهيون » الذين بقوتهم الخفية نالوا وعد بلفور كما شاءوا وخططوا ، وشاءوا أيضـــاً في الوقت نفسه أن يختاروا هربرت صموئيل ليكون « امير اسرائيل الأول » .

١١ – ان السنة التي جاء فيها نحميا بهذه المهمة ، كانت ، كما يقول بعض الكتاب سنة ٤٤٥ ق.م. وبقي والياً على اليهودية ١٢ سنة ، وعاد إلى بابل

سنة ٤٣٣ ق.م. وبعد مئة سنة تقريباً ظهر الاسكندر فتغيرت الدواليب كلها في الشرق الأوسط كله .

١٢ — وكانت مائدة نحميا ، كما يقول هو في سفره ، أو كما يقال في سفره عن لسانه ، يجلس اليهـا مئة وخمسون من الولاة وأفراد اليهود فضلاً عـن الطارئين : « وكان مـا يعمل ليوم واحد ، ثوراً وستة خراف مختارة » اما طعام نحميا خاصة : فقال : « وكان يعمل لي طيور ، وفي كل عشرة أيام كل نوع من الخمر بكثرة » .

١٣ ثم عـاد نحميا إلى ذكر المقاومة « سنبلاط وطوبيا وجشم العربي وبقية أعدائنا » . ولما لم يبقَ إلا مصاريع الأبواب ارسل الي سنبلاط وجشم قائلين : « هلم نجتمع معاً في القرى في بقعة اونو [1] . وكانا يفكران أن يعملا بي شراً ، فأرسلت اليهما رسلاً قائلاً اني انا عامل عمـلاً عظيماً فلا أقدر ان انزل ... وأرسلا الي بمثل هذا الكلام اربع مرات ، وجاوبتهما بمثل هـذا الجواب . فأرسل الي سنبلاط بمثل هذا الكلام مرة خامسة مع غلامه برسالة منشورة بيده مكتوب فيها :قد سمع بين الامم ، وجشم يقول ، انك انت واليهود تفكرون ان تتمردوا ، لذلك انت تبـني السور لتكون لهم ملكاً حسب هذه الامور . وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في اورشليم قائلين في يهوذا ملك. والآن يخبر الملك (ملك فارس) بهذا الكلام. فهلم الآن نتشاور معاً فأرسلت اليه لا يكون مثل هذا الكلام الذي تقوله انت ، بل انما انت مختلقه من قلبك » .

١٤ — ان قول سنبلاط زعيم السامريين من أن نحميا أقام أيضـاً أنبياء لينادوا به في اورشليم ، يفيد بوضوح نوع هؤلاء الأنبياء الذين هم أشبه بالانصار الذين في مواسم الانتخابات النيابية في أيامنا هذه يروجون بالدعاية في الشعب امر فلان ، فهم أدوات للاستغلال السياسي .

---

(١) اسم قرية لا تزال الى اليوم في قضاء الرملة واسمها « كفرعانه ».

١٥ وبلغ نحميا عن لسان نوعديه « النبيّة » انه سيقتل وقال أن شمعيا ابن دلايا مستأجر من قبل سنبلاط وطوبيا وهذا حرك النبيّة . فانظر وظيفة هذه النبية ومهمتها (راجع الفقرة السابقة) .

١٦ – ثم رأى نحميا ان يحصي العائدين من السبي ، سبي نبوخذناصر ، وعادوا في القافلة الأولى مع زربابل وفي القافلة الثانية مع عزرا ، فكانوا ، حسب أرقام التوراة ، اربع مئة الف بل اكثر قليـــلا . وعلى ذكر أرقام التوراة في التعداد والاحصاء نقول ان داود بوقته أراد اجراء احصاء عاماً فكان في اسرائيل الشمال التسعة الاسباط ونصف السبط فكان عدّهم ٨٠٠ الف وفي يهوذا الجنوب السبطان ونصف السبط فكان عـــدّهم ٥٠٠ الف (٢صموئيل ٢٤ : ٩) وبقي في العراق عدد ضخم من أهل السبي لم يعودوا الى اورشليم ، وشأن هؤلاء في ايثارهم نعمة البقاء في العراق ، كشأن يهود اميركا وغربي اوروبا اليوم ، وموقفهم من الانتقال الى اسرائيل ، فهؤلاء وهم من حيث العدد الكثرة البالغة من اليهود جميعاً لا يتركون مواطنهم الاميركية الأوروبيـــة ويأتون الى اسرائيل ، وانهم لن يأتوا ، ولن تستطيع اسرائيل بعد اليوم تحقيق اسطورة جلب الملايين .

١٧ – واجتمعوا في الساحـــة ، نحميا الوالي (المندوب السامي) ولقبه الرسمي **الترشاتا** ، وعزرا الكاتب الكاهن ، والكهنـــة ، والشعب ، وصنع منبر لعزرا فارتقاه وقرأ عليهم ما قرأ ، وأخذ عليهم العهـــد (كما جاء في الكلام على عزرا وقد تقدم) .

١٨ – وطلب عزرا ان ينفصل اليهود عن الأمم ، وان تفسخ الزيجات ؛ وخطب خطبة تاريخية من اول قصة ابراهيم ذلك اليوم . « وعصوا وتمردوا عليك ، وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم ، وقتلوا أنبياءك الذين اشهـــدوا عليهم ليردوا اليك وعملوا اهانة عظيمة » .

١٩ – وطلب عزرا ألا يعمل شيء في السبت ، ورأى في السوق معاملات أخذ وعطاء فأبطلها .

٢٠ – وأسكن العشر من الجماعة في اورشليم والتسعة الاعشار الأخرى خارج المدينة في القرى والارياف .

٢١ – وانتهى العمل في ترميم السور في ٥٢ يوماً آخرها ٢٥ أيلول . (نحميا ٦) .

٢٢ – والتشديد في الانفصال عن سائر الاقوام المجاورة جاء في ختام ما صنعه نحميا ، وتناول هذا التشديد العمونيين والمؤآبيين في شرق الاردن، ومع فسخ الزيجات تمت حلقة الانفصال . ووجد ان نساء اشدوديات (اشدود من المدن الخمس التي أنشأها الفلسطينيون في جنوبي فلسطين ، وعجز بنو اسرائيل عن اخذها ، واليوم هي قرية بين يافا وغزة ، والشين تحولت الى سين فيقال اسدود او سدود) وعمونيات ومؤابيات رجالهم يهود لا يتقنون العبرية ، فخاصمهم نحميا ولعنهم وجلد بعضهم ونتف شعورهم ، وقال لقومه: ان سليمان ما جره الى الخطيئة إلا تزوجه النساء الاجنبيات ، فهل نسمح لكم ونسكت ان تعملوا هذا الشر العظيم؟ (سفر نحميا وعزرا) .

٢٣ الى هنا انتهى الخبر المأخوذ من سفر نحميا لكننا نعلم من مواضع أخرى ان نحميا بعد ان قضى في المرزبانية – الولاية – ١٢ سنة عاد الى بابل ، وفي غيابه عاد اليهود فانتكسوا وارتكسوا، فرجع نحميا الى اورشليم ومكث هذه المرة ١٤ سنة . ويقال انه عاد الى بابل سنة ٤١٣ ، قبل ظهور الاسكندر بثمانين سنة .

٢٤ – ولما طلع الاسكندر ، طلع على فارس أولاً فمزقها ، ولما اتجه الى فلسطين ودنا من اورشليم ، خرج اليهود بأفخر ألبستهم يحسنون استقباله، ولما تقاسم خلفاء الاسكندر ملكه ، دخلت اورشليم في عراك رهيب مع السلوقيين في سوريا ، وتتالت الايام السود على اليهود ٣٠ سنة فظهرت في اليهود الحركة « المكابية » (١٦٨ – ٦٣ ق.م) ثم جاءتهم روما المدوخة (١٦٣ ق.م – ٣٩٥ ب.م) ثم دولة الروم الشرقية (٣٩٥ – ٦٣٨ ب.م) ثم الفتح العربي ٦٣٨ ب م.

(٤) دانيــــال

١ – لمــــا سبي دانيال من جملة السبي النبوخذ ناصري ، كان طفلاً لم يبلغ الخامسة بعد . يقول السفر الذي جمع باسمه انه هو مع ثلاثة آخرين من ابنـاء السبي ، وقع عليهم الاختيار ليكونوا « الشباب الناضر ، مع حكمة ومعرفة » في قصر الملك نبوخذ ناصر الكلداني ، وأجريت عليهـــم الارزاق من القصر « من طعام الملك ومن خمر شرابه » على ان يربوا هذه التربية مدة ثلاث سنوات ثم بعدها يقفون امام الملك ، اذ يكونون قد تدربوا على كل امر ورسم وعادة ، ولا سيما تعلم اللغة الكلدانية وهي لغة القصر . وتفصيل هذا في الفصل الاول من السفر . وتمكن اليهود من الوصول الى القصور صناعة دقيقة اتقنوهـــا من اول الامر في تاريخهم كله ، ولا فرق بين الزمن القديم والحديث في اعـتمادهم على الصلات الدقيقة التي ينسجون خيوطها في القصور ، وحول القصور ، ثم يترتب على هذه الخيوط فيما بعد نتائج كبيرة يرمي اليها اليهود ، وعند ذلك تتغير مفترقات طرقهم ، فاما أن يفوزوا ويحققوا المراد ، واما ان يخذلوا ولا يلقون الا الفشل والبوار .

٢ – هؤلاء الاربعة من شباب السبي هم دانيـــال ، وحننيّا ، وميشائيل وعزريا . ويقول السفر ان الملك الكلداني أمر بهذا على ان يكون الشباب المختارون « من بني اسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء » — الترجمــة الاميركية — او «من بني اسرائيل ومن النسل الملكي ومن الامراء » – الترجمة اليسوعية . ويستفاد من السفر ان هـــذا الاختيار لعدد من الشباب لم يكن مقصوراً على هؤلاء الاربعة من بني السبي ، بل كان هناك آخرون ايضاً غير يهود ، يختارون ويخرّجون ليكونوا في خدمة الملك .

٣ – ولعـــل هذا الامر في اختيار عدد من الشباب للخدمة الملكية في القصر ، كانت عادة توافق رغبات الملوك ، وفي رعاياهم بضاعات مختلفة من الشبان والشابات . ومثل هذا نرى في قصة استير ، لما احب احشويروش

الفارسي ، عملاً بنصيحة الناصحين له ، وكان فيهم يهود ، ان يتخلى عن زوجته الملكة الجميلة «وشتي» ، لانها لم تنزل على امره الذي امرها به ، وهو ان تبرز في أحلى زينتها في يوم الوليمة الكبرى ليسر الناس باجتلاء محاسنها والنظر الى فتنة جمالها . وقال الناصحون للملك ان في مملكتك التي تنتظم فيها ١٢٧ ولاية فتيات باهرات ، فاجمع منهن عدداً ثم سمّن اجسامهن بأطايب الاطعمة مدة من الزمن ثم اختر منهن من تشاء . ومن هنا دخلت استير في المباراة ، وفازت وأصبحت الملكة محل « وشتي » المسكينة .

٤ – وقصة دانيال ورفقته الثلاثة لا تعطينا أي تفصيل واف لكيفية وصول دانيال واخوانه الى القصر سوى أن اختيارهم كان بأمر الملك ، ثم تجري القصة بعد ذلك مجرى يشبه ما في قصة استير ونحميا وعزرا . وكان السحر والتنجيم عند الكلدان من أهم وسيلة تفتقها الحيلة او العقل، للنظر في الخفايا ، وكشف المحجوب ، وتفسير الرؤى والاحلام ، وكل ما يتصل بهواجس النفس . وما كان عند بني اسرائيل قبل السبي من جنس هذه الوسيلة التي تشبه السحر والتنجيم ، كان شيئاً آخر : الانبياء على درجاتهم الثلاث – الكبار المتصلون بالملوك وتياراتهم ، و«الاواسط» وهم الذين يقال للواحد منهم «الرائي» ، وهو دون النبي المعترف به ، ثم الطبقة الثالثة هم الكذبة وكانوا يعدون بالمئات . والاواسط كانوا آلات الترويج لمآرب اشخاص أو ملوك او تنفيذ الاتجاهات السياسية أو المختصة بحركة ما يؤازرها نبي أو زعيم . وهؤلاء كما قلنا سابقاً اشبه الناس بالذين نراهم في يومنا هذا يعملون في ترويج المرشح للنيابة ، فيدعون الناس اليه والى انتخابه ويقولون فيه من اقوال الثناء والاطناب ما جاوز الحد . وكل فريق من هؤلاء المروجين في المضمار ، يقابلهم فريق آخر متعلق بمرشح آخر هو ند الاول أو ضده ، وكم تصور الحسنات سيئات ، والسيئات حسنات في بعض المنافسة للفوز بصوت «الناخب» ! يقابل هؤلاء جميعا في بلاط نبوخذ ناصر ما يطلق عليهم اسم السحرة والمنجمين ، وهؤلاء كانوا في كل قصر وصول ملك . وهم «اجهزة

الاعلام» في ايامنا هذه .

٥ – بدأ دانيال اول ما بدأ في القصر هو ورفقته، ان يظهر «يهوديته» وذلك عن طريق رفض الاطعمة المجراة عليه من القصر . قال السفر : « اما دانيال فجعل في قلبه ألا يتنجس باطايب الملك وخمر شرابه» فطلب من رئيس الخصيان ان يعفى هو ورفقته من طعام القصر وشرابه وان يكون لهم بديل ذلك حبوب القطاني (كالعدس والحمص والماش والفول) ، فأجاب رئيس الخصيان انه يخشى اذا هو لبى هذا الطلب ألا تصح اجسامهم فتغدو «انحل من الفتيان اترابكم» – (الترجمة اليسوعية) او «اهزل من الفتيان الذين من جيلكم» – (الترجمة الاميركية)، فيتعرض رئيس الخصيان لغضب الملك وقد يذهب رأسه . وهذه العبارة بالانكليزية هي :

For why should he (the King) see your faces worse liking than the children which are of your sort.

ويستفاد من هذا كله ان رئيس الخصيان بعبارته هذه يشير الى «اترابكم» أو الى «الذين من جيلكم» ، وهو يعني آخرين في القصر هم زملاء وامثال لدانيال ورفقته قد اختيروا بأمر الملك – واستطردنا الى هذا لكي نخلص منه للترجيح ان دانيال مع كونه هو ورفقته من شباب بني السبي قد اختيروا بأمر الملك ، فيبقى هناك – سر كبير من اسرار العمل اليهودي الخفي، وهو استطاعة دانيال ورفقته ان يصلوا الى القصر. فسبب هذا يبقى غامضاً علينا، وهذا «السر» يبقى من أمضى الاسلحة التي يستخدمها اليهود في قضاء مآربهم وتنفيذ مخططاتهم التي لها مظاهر وخواف كما هو المشاهد في كل عصر من عصور تاريخهم . وما الاوضاع الخفية «للقبالة» ، في هذا العصر الذي نعيشه اليوم ، سوى امتداد لهذا «السر» الرهيب .

اما وجود شباب آخرين في القصر «يأكلون من طعام الملك» فهذا واضح من قول دانيال لرئيس الخصيان ان يسمح له بأكل القطاني عشرة ايام ثم

ينظر الى صحة اجسامهم بالمقابلة بينهم وبين «الفتيان يأكلون من طعام الملك» — الترجمة اليسوعية ، او «الفتيان الذين يأكلون من اطايب الملك» — الترجمة الاميركية . فنال دانيال طلبته ، واستطاع ان يتميز هو ورفقته الثلاثة عن سواهم في القصر ، وقد تحقق لهم هذا .

٦ — ومر بنا في الكلام على عزرا ، في الفقرة (١٠) ان عزرا مما دعاهم اليه في السبي ، ان يغيروا اسماءهم العبرية ، ويحتفظوا بها ، ويتخذوا اسماء كلدانية . ولهم مآرب في هذا . وهنا نرى تغيير اسماء دانيال ورفقته جرى هكذا ، وكما يقول السفر ، على يد رئيس الخصيان :

دانيال : صار اسمه بالكلدانية بلطشاصر
حننيّا : « « « شدرخ
مشائيل : « « « ميشخ
عزريا : « « « عبد نغو[1]

٧ — ثم تبدأ فصول الرواية العملية من هنا : حلم نبوخذناصر حلماً مخيفاً، فاستدعي المجوسُ والسحرة والعرافون والكلدانيون ليفسروه له فعجزوا، اذ أراد الملك ان يعرفوا الحلم بعبارته وتعبيره ، دون أن يطلعهم على قصة الحلم . وهذا سر من أسرار القصة ، اذ لا يعقل ان نبوخذناصر أراد من المنجمين والسحرة ومن في صفهم ، ان يكشفوا له لا عن تأويل الحلم ، بل عن صورة الحلم ، فكأنه بهذا يطلب منهم الاطلاع على الغيب ، والغيب غيب ، ماضياً كان أم مستقبلاً . ونرجح ان هذا من خيوط القصة السرية . وجاء دور دانيال فقال له الملك ما قاله للآخرين ، فطلب مهلة يعود بعدها بالتعبير، الكافي : فذهب دانيال واعلم رفقته، فقضوا ليلتهم يتناجون كما يقول السفر ،

---

(١) هذا في الترجمة الاميركية ، أما في الترجمة اليسوعيه فهكذا :
دانيال « بلتنصر
حننيا « شدرك
ميشائيل « ميشك
عزريا « عبد نجو

والتنافس بين دولتي اليونان وبابل على اشده ، وقراءة ما في الجو ليس بالأمر المغلق ، وقلنا ان أنبياء اسرائيل بالأمس هم الذين يروجون «للسياسة» اليوم . وقد قامت القصور فزخرفتها اعشاش التجسس الخفي .

٨ – وجاء دانيال الى نبوخذناصر وسرد له ما في جعبته من تفسير مدروس متقن البداية والنهاية ، والغاية والمرمى : لباب الحلم : تمثال ضخم رأسه من ذهب ، ثم يكون سائر اجزائه من فضة ونحاس وحديد وخزف . ولا عبرة بما يقع للتمثال من مصير ، فيتكسر . اختباط الأوضاع السياسية الدولية في الشرق القريب ، فارس واليونان ومصر وبابل ، ما عدا الدول الصغرى ، اختباط اترع قلب نبوخذناصر بالمخاوف والقلق ، فتحرك عقله الباطن . فسر نبوخذناصر من دانيال ، وقال السفر انه سجد لدانيال ، وأمر باكرامه . لكن هناك ما هو اهم من كل هذا : وهو ان دانيال تمكن من ان يجعل نبوخذناصر يعتقد بصحة آله بني اسرائيل . هنا بيت القصيد كله . وعبارة السفر هي هكذا : « حقاً ان آلهكم آله ، ورب الملوك وكاشف الأسرار اذ استطعت على كشف هذا السر » (دانيال الفصل ٢) وكان نبوخدناصر لما جمع المنجمين وطلب منهم ان يكشفوا له عن صورة الحلم فضلا عن تأويله ، هددهم بالابادة اذا هم عجزوا عن ذلك . فقالوا له أما ان نستكشف صورة الحلم فهذا لا سبيل لنا اليه فالاطلاع على الغيب لا يكون الا عند الآلهة ، لا عند البشر . وهنا النقطة المركزية في القصة : فلما علم دانيال بذلك كله ، اتصل برئيس شرطة الملك ، ارنوخ ، وقال له لا يمضي الملك بالابادة ، وهذا الأمر لا يحله الا رب السماء ، فاذهب الى الملك وقل له اني اخبره صورة الحلم وتعبيره . فدعاه الملك ثم كانت الأجوبة من دانيال على ما اشبع نفس نبوخذناصر بالعقيدة ان دانيال انما تلقى ذلك من ربه عن طريق الرؤيا .

٩ – صورة الحلم : رأى نبوخذناصر تمثالاً عظيماً هائلا ، رأسه من ذهب جيد ، وصدره وذراعاه من فضة ، وبطنه وفخذاه من نحاس ، وساقاه

من حديد وخزف . واذا بحجر ضخم يقطع من مكانه بغير يـــد قطعته ، وينطلق هذا الحجر نحو التمثال فيصيبه في قدميــه فيسحقهما ، واذا بكل ما هو حديد ونحاس وفضة وخزف وذهب يمسي كعصافة البيدر،واما الحجر فينقلب جبلاً كبيراً وجعل يضخم حتى شغل الارض كلها .

تعبيره : ١ – نبوخذناصر ملك ملوك ، مؤيد من آله السموات .

٢ – رأس التمثال الذهب هو نبوخذناصر .

٣ – تقوم مملكة اخرى وثالثة من نحاس تتسلط على كل الارض . ثم تكون مملكة رابعة صلبة كالحديد ، ثم مملكة من خزف وهذه تسحق وتفنى .

٤ – في أيام الملوك هؤلاء، يقيم رب السماء مملكة لن تنقرض وتتسلط على الممالك كلها .

وبعد ان رضع دانيال ، صاحبَ الحلم على هـــذا الصعيد ، تركه يهتدي بنفسه الى المصير الذي يختاره .

١٠ – يقول السفر ان نبوخذناصر بعد ان سجد لدانيـــال ، زاد في اكرامه وسلطه على كل ولاية بابل وجعـــله رئيس الولاة على جميع حكماء بابل ! وطلب دانيال من الملك أن يولي شدرخ وميشخ وعبد نغو على اعمال ولاية بابل،وكان دانيال في باب الملك وبهذا اصبحت بابل في قبضة دانيال ! وبعد مدة اقبلت الدولة الفارسية فمحت الدولة الكلدانية ، وهنا نرى عودة اهل السبي الى اورشليم قد تمت على يد الدولة الفارسية ، فتعلق اليهود بها ، وكانت قصة استير .

١١ – ثم رأى بلشاصر ، بن نبوخذناصر ، حلماً غريبـــاً على غرار حلم ابيه من قبـــل ، وعجز العرافون عن تعبيره ، فقالت الملكة للملك : عليك بدانيال . فلما حضر قال له الملك : « أأنت هو دانيال من بني سبي يهوذا الذي جلبه ابي الملك من يهوذا ؟ قد سمعت عنك ان فيك روح الآلهة وان

فيك نيرة ، وفطنة وحكمة فاضلة » .

١٢ – غير ان هذا الحلم هذه المرة كان في اليقظة ، واروع من سابقه : صنع الملك وليمة لعظماء المملكة ، « وشرب خمراً قدّام الألف » . ولما كان يحتسي كأسه ، خطر له ان يحضر آنية الذهب والفضة التي أخرجها نبوخذناصر ابوه من الهيكل ، ليشرب بها مع والعظماء وزوجاته وسراريه . فاحضرت الآنية وشرب الخمر . رقد رأينا دانيال في المرة الاولى لا يريد ان يتنجس بتناول طعام القصر الملكي ، وكله حتماً اطايب ، فآثر ان يعود الى ما اعتاده من حبوب القطاني ، فكيف يطيق الآن ان يرى آنية الذهب المخرجة نهباً من الهيكل ، تستعمل في بابل وتنجس هذا التنجس ؟

١٣ – ما ابرع هذه المفاجأة ! فاذا باصابع يد انسان ، تمتد وتكتب على الحائط ،حائط القصر من داخل ، والملك بيلشاصر ينظر طرف اليد الكاتبة. فانحلّ وتقوّض ، واصطكت ركبتاه، وصاح يستنجد بالسحرة والمنجمين والعرافين،ولا يُستثنى الكلدانيون،ففشلوا جميعاًوعجزواوخافوا مصيررؤوسهم. لكن لما جاء دور دانيال ، وجاء على الوقت المناسب ،« وعده الملك » انه ان استطاع تفسير هذه الظاهرة الغريبة على الحائط ، فما عدا لباس الارجوان وقلادة الذهب ، فانه يصبح ثالث متسلط على المملكة .

وفي المرة الاولى جُعل على مدينة بابل امالدنيا في عصرها ، وجعل رئيس الحكماء جميعاً !

وفي المرة الثانية الآن ، ثالث متسلط على المملكة ! واية مملكة هذه اليست هي بالاه سبت يهوذا السبي المعلوم ؟

١٤ – وهذا تفسير الكتابة الكلدانية التي ظهرت على الحائط :

١ – « اعطى الله اباك الملك والعظمة والجلال ، يقتل من يشاء ويستحيي من يشاء ، فلما قست روحه وتصلب قلبه انحط عن كرسي ملكه ، وُطرد من بين الناس ، وتساوى قلبه

بالحيوان ، وساكن الحُمُر الوحشية ، حتى علم ان السلطان في مملكة الناس « لله العلي » (اي آله بني اسرائيل !)

٢ – وانت يا بيلشاصر ابنه فملت مثله. بل تعظمت على رب السماء، فاحضرت قدّامك آنية بيته وشربت بهـــا انت وعظماؤك وزوجاتك وسراريك .

٣ – « فاسمع » ! (ثم اورد السفر الكـــلام الكلداني ثم تفسيره ونحن نكتفي بتفسيره) « احصى الله ملكوتك وانهاه . وُزنتَ بالموازين فوجدتَ ناقصاً قُسِمَتْ مملكتك وأُعطيتْ لمـــادي وفارس » .

١٥ – قال السفر ان في تلك الليلة قتل بيلشاصر ، فاخذ المملكة داريوس المادي (وهو ابن ٦٢ سنة) .

١٦ – يقول بعض المؤرخين انه يحتمل ان يكون اليهود قد انشأوا العلاقة بينهم وبين داريوس ، مطلعينه على اسرار قصر بيلشاصر قبل اخراج الآنيـة بوقت قليل . وفارس ارجعت اليهود الى اورشليم بعد ان استولت على بابل.

١٧ – والقصة الى مزيد : رأى داريوس كما يقول السفر ، ان يولي على المملكة ١٢٠ مرزباناً او والياً ، اذ ملكه يمتد من الهند الى الحبشة . وجعل على هؤلاء المرازبة ثلاثة وزراء مراقبين ، واحد الثلاثة دانيال . ومهمة الوزراء المراقبين ضبط المالية حتى لا يقع على خزانة الملك حيف . اصبح دانيال كأنه روتشيلد . وقال السفر ان دانيال فاق زميليه الوزيرين والمرازبة جميعاً فامسى الذروة ، فنفسوا عليه زيادة الفضل فيه ، فراحوا يطلبون علة للايقاع بـــه وزلزلته فلم يجدوها في مجال التبعات التي يمارسها في الادارة والتدبير وحسن الضبط للامور . فقالوا نجدها من جهة شريعة آلهه . هنا مشهد يشبه نوعــاً ما ، ما كان بين هامان ومردخاي من حيث الصراع ، فماذا فعلوا ؟

١٨ – قالوا لداريوس : عش إلى الأبد أيهـــا الملك ! لقد أجمع الوزراء

والمرازبة والمشيرون والولاة والشّحَن، بعد التشاور والمناقشة ، على أن يصدر مرسوم ملكي يوجب على كل من يطلب طلبة حتى ٣٠ يوماً من آله وانسان الا منك يكون قد خالف شريعة مادي وفارس ، فيجازى بأن يطرح في جب الأسود . فصدر المرسوم .

١٩ - فلما علم دانيال بامضاء المرسوم ، كما علم مردخاي بتدبير هامان ، ذهب إلى بيته ، ونوافذ عليته مفتوحة على جهة اورشليم ، فصلى ثلاث مرات في اليوم إلى إلهه ، كما كان يفعل من قبل ، فاجتمع من الرجال من شاهدوه يصلي صلاته اليهودية المعهودة ، فنمي الخبر إلى الملك ، فطرح دانيال في جب الأسود ، ووضع حجر على فم الجب ، وختم بخاتم الملك ، وفي الصباح ذهب الملك وناداه فوجده حياً ، والاسود لم تقترب منه ! وقال دانيال : الهي أرسل ملاكه وسد أفواه الاسود ! ففرح الملك ، وأمر باخراجه ، وأن يؤتى بالرجال الذين اشتكوا على دانيال ، فطرحوا هم وأولادهم ونساؤهم في الجب، فما هووا حتى صاروا في أشداق الاسود . كمصرع هامان تماماً .

٢٠ – جاء الحصيد : ثم كتب داريوس إلى كل الشعوب والامم في مملكته ، بأن الآله الحي هو آله دانيال ، صانع العجائب، وهو الذي نجّى دانيال من جب الاسود . قال السفر بعد هذا : « فنجح دانيال في ملك داريوس وفي ملك كورش الفارسي » .

٢١ – وجاء الدور إلى دانيال نفسه ، يحلم الاحلام ، ويبلغ الملك معناها ومغزاها . وما معناها ومغزاها إلا علو دول وانخفاض دول ، وكل حلم من أحلام دانيال يؤلف مسرحية برأيها ، جميلة ، دقيقة ، محكمة . ثم تفنن في الأحلام وصار يكشف الستار عن معان للارقام الحسابية ، وهو الذي أتى بالمعاني « السبعية » ، الاسبوع وسبعة أسابيع ، وسبعين اسبوعاً . وبنيت على هذه النظرية فيما بعد أشياء ومعتقدات كثيرة عند كثير من الامم واصحاب المذاهب . ثم نراه في أحد مواقفه يستغني عن الأحلام ويخاطب داريوس بلغة أخرى : خطبة سياسية مكشوفة تتناول ايران والاغريق ،

وقال انه انما فعل ذلك لكي يقوّي داريوس ويشدده . ومن جهة اخرى صارت تفسيراته مكشوفة تشبه ما ينشره الفلكيون اليوم في مطلع العام الجديد ، من تنبوءآت في الصحف والمجلات الاسبوعية . والشيء الأخير نستفيده من أقوال دانيال هو انه في الاصحاح الثاني عشر في السفر الذي يحمل اسمه ، اطلق دانيال لخياله العنان ووردت عنده هذه العبارة : « وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض ، يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي » . ثم بعد هذه عبارة أخرى هي عند« القبالة »أساس مذهبهم في رد مادتهم إلى ينبوع قديم : « والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور » ومن هاتين الكلمتين « الفاهمون » و « يضيئون » خرجت بذرة « حكماء صهيون » كما خرجت البذرة الاخرى من عزرا. فيقول «القباليون» انهم هم المقصودون هنا بالفهم والضياء ، وعلى هذا يستقون من عزرا ودانيال ! و « القباليون » يقيمون وزناً كبيراً للرموز والأحلام ، وتفسير الأحلام .

اما قبر دانيال فيقال أن التنقيب الأثري الحديث عثر على مكانه في خوزستان او مدينة شوشان .

* * *

القس وليم هشلر ، كان مدة من الزمن قس السفارة البريطانية في ڤينا ، وهذا الحادث جرى هناك سنة ١٨٩٦ :

كان القس هشلر من معتنقي عقيدة ظهور المسيح على حساب اليهود وطريقتهم ، وراح يتوسع في ذلك وينشر آراءه بمختلف الوسائل حتى صار يعرف معرفة لا بأس بها في مجتمع ڤينا . وسنة ١٨٩١ القى محاضرة حول مصر القديمة ، ومما ذكره في محاضرته هذه قوله : « سألني بعضهم هذا السؤال : هل الآباء الأولون في العهد القديم عاشوا حقيقة الاعمار التي ذكرت بالسنين لكل منهم ؟ وأجيب الآن نعم انهم عاشوا تلك الاعمار الطويلة ، ولكي اتوصل الى هذا فقد بدأت الحساب منذ الطوفان » .

وكان هشلر سنة ١٨٨٤ قبل المحاضرة بسبع سنوات ، قد طبع كراساً عنوانه « عودة اليهود الى فلسطين » وفي ذلك الوقت كان هرتزل في الرابعة والعشرين ، شاباً طويل القامة انيق المظهر واللباس ، صحافياً ، قاصّاً ، في ڤيينا ، وكانت عقيدته في حل معضلة اليهود هي «الاندماج» ، لا الصهيونية .

وسنة ١٨٨٢ نقل هشلر رسالة خاصة من الملكة فكتوريا الى السلطان عبد الحميد ، ولم يذكر مؤلف كتـاب « دراسة منقبتين »خريسوفربن مارك سايكس ، ومن كتابه اخذنا هذا ، اي مزيد يفيد ماذا كان موضوع الرسالة الخاصةمنفكتوريا الامبراطورة الى عبد الحميد الخليفة وربمااحتوتهذهالرسالة رجاءً خاصّاً « انسانياً » يتعلّق بالسماح لمنظمة«عشاق صهيون » في روسيا بالاقامة في فلسطين ، اذ هم في مثل هذا الوقت(١٨٨١) وكانوا صرعوا القيصر اسكندر الثاني ، بدأوا يتوجهون الى فلسطين .

ثم ننتقل الى سنة ١٨٩٦ وفي هـــذه السنة ظهر كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » فاطلع عليه هشلر والتهمه التهاماً ، اذ رأى فيه ما يبرد من لواذع اشواقه الروحية اليهودية. فجاء يزور هرتزل في ڤيينا فزاره ودار بين الاثنين حديث مسهب لخصه هرتزل بعباراته الموجزة على اسلوبه في تدوين مذكراته:

١٠ آذار ١٨٩٦

زارني القس وليم هشلر قس السفارة الانكليزية .

وهو رجل جذاب رقيق العاطفة ، يزدان وجهه بلحية خالطها البياض ، ويبدو بجملة محياه كأنه أحد الآباء الاقدمين . وهو مهتم بمشروعي المتعلق بحل المعضلة اليهودية . وزيادة على هذا فانه يرى في حركتي تحقيقاً للنبوآت ، وهو قد سبق له ان اخبر بهذا منذ سنتين . وقال ان هناك تنبؤاً وقع في ايام عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ تأويله انه بعد انقضاء اثنين واربعين اسبوعاً نبوياً (مجموعه ١٢٦٠ سنة) يتمكن اليهود من العودة الى فلسطين . وبعد تعديل الحساب ، على الطريقة الخاصة ، خرجت منه النتيجة وهي ان تكون سنة

١٨٩٥ – ١٨٩٨ سنة العودة .

هذا ما قاله المؤلف كريستوفر سايكس من دراسته ومن نقله ما نقل من مذكرات هرتزل .

على انه في هذه السنة ، عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الاول في سويسرا ، وكان هذا تحت هيمنة هرتزل . وفي هذا المؤتمر وضعت في الصيغة الحديثة « بروتوكولات حكماء صهيون » .

* * *

انتهى خبر دانيال . وحوادث هذا السفر ، وان كانت تعود بالزمن الى القرن الخامس والسادس ق.م. غير ان التحقيق العلمي الحديث ردّ مسألة جمعها وتدوينها الى سنة ١٩٠ ق.م لما كان اليهود في فلسطين تحت ضربات السلوقيين خلفاء الاسكندر . وكثير من اسفار التوراة الملحمية المعنى ، انما وضع في خلال هذه الفترة ، وفترة الحروب المكابية ، اذ بعد عودتهم من السبي لم يجدوا راحة الا نوبات قليلة ثم تنطفىء حتى يعودوا الى الويل . وهذا السفر لا يخلو من غرابة في كثير من وقائعه وحوادثه .

بعد السبي

وهم تحت الحكم الفارسي حتى فتح الأسكندر

٥٣٦ - ٣٣١ ق.م.

نعيد في اول هذا الفصل ما قلناه في اكثر من موضع سابق ، من ان اليهود (وقد صار يطلق عليهم اسم **اليهود** بعد سليمان وانقسام المملكة الى شطرين : **يهوذا** ومقرها اورشليم ، **واسرائيل** ومقرها السامرة في الشمال على الغالب) لما حلّ بهم السبي الثاني ، كان أهل السبي الأول أي سبي **اسرائيل** الشمالية ، قد فنوا واضمحلوا في أرجاء مملكة أشور وعاصمتها نينوى في شمال العراق (الموصل) . ولما وقع سبي **يهوذا** بعد قرن وثلث قرن تقريباً ، وانتهى أمر اليهود في فلسطين ، إلا بقايا قليلة مؤلفة من المزارعين والضعفة والعجّز ، انصرف يهود السبي الثاني بكل قواهم وأساليبهم لكي يتداركوا أمرهم فلا يدركهم من الأسباب ما يقضي بفنائهم ، وهم يأخذون العبرة من مصير السبي الاول . أما السبي الاول فبطله سرجون الثاني ملك أشور ، وأما السبي الثاني فبطله نبوخذناصر ، ثاني ملك في المملكة البابلية الثانية التي قامت على يد نابوبولاصر فأسقطت دولة نينوى الأشورية وجددت كيان بابل للمرة الثانية .

وبابل مهد الجنس البشري ، وبقيت نحو ألفي سنة وهي سيدة العالم ، ثم بعد ذلك عصرٌ امتدّ نحو الف سنة كان فيه تجاذب الحبال بين بابل وأشور جارتها الشمالية ، ثم كانت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون عادت فيها الى العظمة ، وهذه الثلاثمائة سنة تنتهي ٦٠٧ ق.م. إذ قامت بابل في نهضتها

الثانية فقضت على أشور وبدأت بابل تبسط ظلها على معظم العالم حواليها .

هذا الدور الأخير لبابل لم يطل كثيراً ، ومن عجيب الاتفاقات التاريخية ان دولة بابل الثانية هـذه عاشت ٨٩ سنة تقريباً ، ففي بداية امرها سبت يهوذا ، وفي السنة الاولى لاستيلاء فارس عليها ، قامت فارس بالسماح لليهود فتقاربت مدة بقاء دولة بابل مع مدة السبي .

وبدأت بابل الثانيـــة ، وتسمى الجديدة ، على يد نابوبولاصر (٦٢٥ – ٦٠٤ ق.م.) فقد ظهر سنة ٦٢٥ وحرر بابل من أشور ، ثم قضى على أشور سنة ٦٠٧ . وقبل سنتين من هـــذا الوقت كان ابنه نبوخذناصر قد أصبح القائد الأعلى لجيوش أبيه ، وسنة ٦٠٦ أمسى مشاركاً لأبيـه في الملك ، وفي هذه السنة نفسها بدأ يدوّخ يهوذا ، واستمر يكرر ضرباته لها عشرين سنة ، فسباها اربع مرات والمرة الأخيرة كانت سنة ٥٨٦ ، ويقول المؤرخون انه كان بوسعه ان يقضي على يهوذا بضربة واحدة ، وجحافله تقتلع الممالك وتجرف جرفاً ، غير انه كان يود أخـذ الجزية على اوسع نطاق ممكن قبل ان يخرب ما يريد .

والمرات الأربـع هي هذه :

١ – سنة ٦٠٦ ضرب نبوخذناصر يهوياكين ملك يهوذا ، وهذا ليس بعده من ملك إلا الأخير وهو صدقيـا . فاستولى الملك البابلي على كنوز الهيكل واستاق عدداً كبيراً أسرى فيهم الكثير من العائلة الملكية والأشراف ومن هؤلاء دانيال وكان صغيراً .

٢ – سنة ٥٩٧ جاء نبوخذناصر ثانية واستولى على ما كان باقيـاً مخبئاً من كنوز الهيكل ، وأخذ يهوياكين أسيراً واستاقـــه الى بابل ومعه عشرة آلاف أسير فيهم معظم الشعب الا من لا يقوى على السير .

٣ – سنة ٥٨٦ عاد نبوخذناصر فاحرق المدينة وهدم أسوارهـــا وسمل عيني الملك صدقيا في أريحا واستاقه الى بابل ومعه ٨٣٢ أسيراً . وهذه المرة

بقي جيش نبوخذناصر لا أقل من ١٨ شهراً في محاصرة المدينة .

٤ – سنة ٥٨١ عـاد الجيش الكلداني الى اورشليم الخربة واستاق ٧٤٥ اسيراً واستطاع فريق من اليهود ان يفر الى مصر لاجئاً ومع هؤلاء أرميا ، وأرميا لم يعد من مصر بعد ذلك .

وما بقي علينا ان نقوله عن بابل هو : ان نبوخذناصر (٦٠٦ – ٥٦١) هو أعظم ملوك هذه الدولة التي في عصرها السابق أنجبت المشترع العالمي الأول حمورابي العربي . بل كان نبوخذناصر اعظم ملوك الأرض بوقته . حكم ٤٥ سنة وهو الذي شاد مجد المملكة ، وزين بابل بالعمران الباهر الى حد يقضي بالدهش ، وهذا كله تؤيده مكتشفات الآثار حديثاً منذ القرن الماضي ، فهو موقع السبي . وجاء بعد نبوخذناصر خمسة ملوك آخرهم بلشاصر ، وكان دانيال لا يزال حياً يسعى ويعمـل ، فاتصل ببلشاصر وكانت بينهما الفصول التمثيلية مما اجملناه في ترجمة دانيال .

وكما ان نبوخذناصر جعل يسبي يهوذا في السنة الأولى من ملكه كذلك كورش الفارسي ففي السنة الأولى من ازالته دولة بابل سمح لليهود بالعودة !

أما عدد السبي فهو على كل حال اقل بمجموعه كله من سبي اسرائيل قبل قرن وثلث تقريباً . لكن لما عاد اليهود من بابل ، عادوا عشرات الألوف ، واثروا في بابل اثراء كبيراً ، وبقي منهم هناك بقية كبيرةلم تقبل ان تعود الى اورشليم .وامّا ما ذكرناه في هذه الفقرات من تواريخ وارقام ، فمأخوذ من « موسوعة تاريخ العالم » و « التوراة المختصرة » لهالي .

* * *

والمدة التي قضاها اليهود في منطقة بيت المقدس تحت الحكم الفارسي الى مجيء الاسكندر تقسم الى دورين : الأول منذ ابتداء العودة من السبي الى انتهاء مراحل العودة والفراغ من اعادة بناء الهيكل وأسوار المدينة . وبدأت العودة في اول مراحلها سنة ٥٣٦ ق.م. بقيادة زربّابل احد رجالهم ويقـال

انه من البيت الداودي وملك فارس وقتئذ هو كورش [١] ، وكانت آخر مراحل العودة سنة ٤٣٢ على يد نحميا احد أنبيائهم وقد مرت ترجمته ، فمراحل العودة اقتضت قرنا وبعض سنين .

والقسم الثاني من المدة المذكورة هي بقاء اليهود تحت الحكم الفارسي نحو مئة سنة حتى فتح الاسكندر ، ويبدو تاريخ اليهود في خلال هذه المدة كلها غامضاً خاملا ، يمارس السلطة العليا الوالى الفارسي – المرزبان – ويتولى أمور اليهود محليا الكاهن الأكبر تحت رقابة الوالي ، ومساحة المنطقةاليهودية لا تزيد على بيت المقدس وتمتد شمالاً الى قرب رام الله ، وشرقاً الى نهر الشريعة وجنوباً قرب الخليل وغرباً السهول الساحلية .

* * *

وقد اجمل صاحب كتاب « مختصر التوراة » ، هنري هالي ، هذا كله على هذا الوجه مع التواريخ والحوادث والمراحل والادوار مما ننقله لفائدته للقارىء العربي (ص ٢١٢) من الطبعة العشرين ١٩٥٦ فقال :

* * *

عزرا ــ نحميا ــ استير

العودة من السبي ــ اعادة بناء بيت المقدس

ان هذه الاسفار الثلاثة هي خاتمة الاسفار التاريخية في العهد القديم ، وهي تخبرنا قصة عودة اليهود من بابل ، واعادة بناء الهيكل وبيت المقدس وتجديد الكيان اليهودي وحياتهم القومية في موطنهم الاول ، والمدة التي

---

(١) في الطبري انه تهود على يد مردخاي واستير ويذكره الطبري بلفظ كيرش .

تتناولها هذه الاسفار هي نحو من ١٠٠ سنة ٥٣٦ – ٤٣٢ [١] ق.م. وفي هـذه المدة كان الانبياء الثلاثة : حجي وزكريا وملاخي ، فعاشوا وعملوا في خلالها .

* * *

هناك دوران وكل منهما متميز عن الآخر

من ٥٣٦ – ٥١٦ ق.م. ٢٠ سنة ، وفي هذه المـــدة كانت عودة اليهود بقيادة زربابل فكان هو الوالي ويشوع بن يوصادق الكاهن الاكبر ، فأعيد بناء الهيكل ، وهو محور حياة اليهود القومية . (عزرا اصحاح ٣ – ٦) وفي هذا الوقت كان من الانبياء حجي وزكريا .

٤٥٧ – ٤٣٢ ٢٥ سنة ، وفي هذه المدة كانت عودة نحميا ، فكان هو الوالي ، وعزرا الكاهن الاكبر . فاعيد بناء الأسوار ، والمدينة بحصونها. وفي هذا الوقت كان من الأنبياء ملاخي .

اما سفر عزرا فيحدثنا عن المدتين او الدورين .
اما نحميا فيحدثنا عن الدور الثاني .
اما استير ، فتتوسط الدورين .

العودة في ثلاث نوبات

٥٣٦ ق.م. عودة زربابل ومعـه (٤٢٣٦٠) يهوديـاً و ٧٣٣٧ خادمـاً و٢٠٠ من المغنين و٤٣٥ جملاً ، و ٦٧٢٠ اتاناً، و ٥٤٠٠ قطعة الذهب والفضة (مما اخذه نبوخذناصر) .

(١) قلت : ويتلو هـــذه المدة ، مدة اخرى هي مئة سنة الى الاسكندر ثم تنطوي صفحة الحكم الفارسي وينتقل اليهود الى حكم دول خلفاء الاسكندر .

٤٥٧ ق.م. عودة عزرا ومعه ١٧٥٤ من الرجال و ١٠٠ وزنة من الذهب و ٧٥٠ وزنة من الفضة ، وهـذا يشقل التقدمات والهـدايا من ملك فارس . ولا ذكر ان نساءكن مرافقات في هذه العودة ولا اطفالاً . قطعت المسافة في ٤ اشهر .

٤٤٤ ق.م. عودة نحميا وهـو الوالي ومعه حرس عسكري فقـام بتجديد بناء المدينة وحصونها وذلك على نفقة حكومة فارس .

تواريخ العودة ومراحل تجديد البناء

٥٣٦ ق.م. (٤٩،٨٩٧) عادوا من بابل الى بيت المقدس

٥٣٦ « في الشهر السابع تم بناء المذبح وقدمت القرابين

٥٣٥ « بدىء في بناء الهيكل ثم لم يلبث ان توقف [١]

٥٢٠ « استئناف عمل البناء على يد حجي وزكريا

٥١٦ « اتمام بناء الهيكل

٤٧٨ « استير تصبح ملكة فارس

٤٥٧ « عودة عزرا من بابل الى بيت المقدس

٤٤٤ « نحميا يجدد بناء الاسوار

٤٣٢ « نحميا يعود الى بابل

* * *

٧٢١ ق.م. سبي مملكة «اسرائيل» على يد سرجون الى بلاد اشور

٦٠٦ « سبي مملكة « يهوذا » الى بابل

٥٣٦ « فارس تسمح لليهود بالعودة

---

(١) هذا ما سنعنى ببيانه عما قريب ، وفيه قصة الامير « جشم العربي » وممارضة الاقوام المحيطة بمنطقة القدس لليهود في اعادة البناء .

٧ ــ اعداء اليهود بعد العودة من السبي

سنبلّط الحوروني وطوبيا العبد العمّوني وجُشَم العربي

والدور الذي قاموا به لمنع اليهود من تجديد بناء الهيكل واورشليم

بعد ان احطنا علماً بكل ما تقدم ، علينا الآن ان ننتقل في الكلام الى ناحية خطيرة في تاريخ اليهود من حيث محاولتهم اعادة بناء الهيكل والمدينة مع اسوارها في ظل الحكم الفارسي ، وفارس وقتها تشبه في العظمة واتساع الرقعة الامبراطورية البريطانية التي صنعت لليهود في القرن العشرين ما صنعت فارس قبل ٢٥ قرناً ، بل زادت على ذلك ما هو اسوأ بكثير من الناحية العربية ، فكأن الخمسة والعشرين قرناً هذه،وهي امتداد متواصل للحضارة ، قد ردت الضمير البريطاني خمسين قرناً الى الوراء .

* * *

وكان هؤلاء الثلاثة ، زعماء الحركة المقاوِمة ومعهم احلاف آخرون ، واخبار هذه المقاومة وردت في سفري عزرا ونحميا بالتفصيل الذي اراده واضعو الاسفار وجامعوها . لكن ، قبل الدخول في الكلام على حركة المقاومة ، علينا ان نعلم من هم هؤلاء الثلاثة ، ومن يمثلون في الحركة وسبب العداء بينهم وبين اليهود، ومن انضاف الى الحركة من اقوام آخرين في فلسطين الساحلية ، وشرق الاردن ، فضلاً عن فلسطين الشمالية حيث السامرة،وهناك كانت مملكة اسرائيل سابقاً ، بحيث ان الحركة كانت مطوقة لليهود ، وحدود المنطقة اليهودية ، ضيقة تمتد من الشمال الى قرب رام الله ،

نحو ١٥ ك.م.، ومن الشرق حتى نهر الشريعة، ومن الجنوب إلى قرب الخليل، ومن الغرب إلى السواحل او سفوح الجبال المطلة عليها. ونتناول كل واحد من الثلاثة على حدة.

(١) سنبلط الحوروني اليهودي
زعيم السامريين اعداء اليهود

هو زعيم يهود السامرة المناوئين لسبطي يهوذا وبنيامين اللذين منهما كانت تتألف مملكة «يهوذا» الجنوبية، وباقي الاسباط العشرة كانت تتألف منها مملكة «اسرائيل» في الشمال. وكانت الحروب بين المملكتين تكاد لا تنقطع واحياناً تتحالف هذه او تلك مع ملك سوريا او اشور لكي تتمكن من خضد شوكة ضرتها.

وكيف بقي عنصر من السامريين بعد سبي سرجون لمملكة السامرة ؟

فلما سبى سرجون ملك اشور مملكة اسرائيل او السامرة سنة ٧٢١ ق.م وساق السكان الى بلاد اشور وممتلكاتها، فرّق المسبيين في انحاء مختلفة، ولا سيما في الخابور وشمالي ايران، واتى بأقوام وجماعات من بابل وسوريا وأسكنها مساكن المسبيين وهذه الجماعات وثنية. لكن بقيت في السامرة بقايا قليلة من اليهود الاصليين، لم يستقها سرجون في السبي كما ساق غيرها، والسبب ضعف تلك البقايا وقلة شأنها وهي في السامرة والارياف، فلما جاءت الجماعات الجديدة واختلطت بتلك البقايا بطبيعة الحال، صارت تلك الجماعات الوثنية تنتقل الى الدين اليهودي او الموسوي ومع الوقت امتزج العنصران معاً حتى صارا شيئاً واحداً، ولهم نزعاتهم التي لا تماشي نزعات مملكة يهوذا التي عاشت نحواً من ١٤٠ سنة بعد سبي السامرة. بعد الرجوع من السبي جمعت اسفار التوراة، وصارت الى وقت المؤرخ اليهودي يوسيفوس (القرن الاول للمسيح) ٢٢ سفراً، منها كتب موسى الخمسة والباقي انبياء وتواريخ واخبار. فهؤلاء السامريون لم يقبلوا إلا اسفار موسى الخمسة، ورفضوا كل ما عداها،

وتمسكوا بهذا حتى اليوم . فازدادت الشقة بين الفريقين ، وبعد سبي يهوذا ، انتعشت حـــال السامريين فنظموا أمورهم واستقلوا دينياً بكيانهم ، وأراد اليهود ان يخرجوا السامريين من حظيرة « اليهوديــة » فلم يستطيعوا ، وجعل السامريون كلما عيّرهم اليهود بأنهم من أصول غريبة يجيبون بأنهم هم من سبط يوسف ، وان التوراة هي الكتب الخمسة لموسى ولا كتب غيرها ، فيرد هؤلاء بأنهم هم عترة اليهود وهم سبط يهوذا وبنيامين ! والتوراة هي اكثر من كتب موسى !

* * *

وهنا بيت القصيد : فلما عاد يهود « يهوذا » من السبي بقيادة زربابل ، لاعادة بناء الهيكل والمدينة ، هب زعيم السامريين يعترض على ذلك، وتحالف معه في هـذه الحركة زعماء آخرون ، منهم طوبيا العبد العموني ، و « جشم العربي » والفلسطينيون الذين كانت بقاياهم في السواحل ومركزهم اشـدود ، وعرب شرق الاردن ، والعمونيون والمؤآبيون ، الى عناصر اخرى ، بحيث لا تذكر التوراة أحداً من اهل الجيرة كان راضياً عن حركة زربابل . وهذا طوق محكم حول المنطقة اليهودية آخذ بمخنّقها ، والدولة الفارسية – البريطانية في القرن العشرين – حامية اليهود على ما سنرى في هذا المساق من الكلام .

* * *

والقارىء العربي اليوم على الجملة ، ومن العادة انه قليل الاطلاع على تاريخ اليهود ، والتوراة ، لا بد انه وهو يجتلي هذه الاسماء الثلاثة ، يسترعي انتباهه ذكر « جُشَم العربي » بهذا اللفظ والوصف ، وانه احد زعماء حركة المقاومة لليهود . وقد عنينا بكل هذا البحث ، وغايتنــــا منه ان نبين بأدلة التاريخ وبالتوراة ، ان العرب في ذلك الوقت ، كانوا :

١ – ببعض القبائل يقيمون في السامرة اذ اتى بهم سرجون الاشوري في خبر يختلف عن خبر اتيانه بالجماعات الاخرى ليحلوا محل المسبيين ، وهـذا سنأتي عليه عما قريب .

٢ – محيطين بفلسطين من الجنوب والشرق وبعض الشمال ، فاذا كان الطوق الاول المحيط بالمنطقة اليهودية يتألف من مختلف الاقوام ، الذين منهم بنو عمومة العرب في الدم كالادوميين والمؤآبيين والعمونيين ، فالطوق الثاني الذي يليه هو طوق العنصر العربي الخـــالد المالىء للجزيرة وبادية الشام والعراق ، وهذا العنصر ابتلع مع الايام العناصر كلها التي كانت في سيناء وشرقي سيناء ، وجنوب الاردن وشرق الاردن . ولا عبرة هنا بالاسماء التي تعيش زمناً ، ثم تتغير ، فيكون المسمون قد اندمجوا بمادة الارومة الاصلية – وهنا الارومة هي مادة العرب التي لا تفنى .

٣ – وما فعلته سنن الكون قبل ٢٥ قرناً من تعريض المنطقـة اليهودية تحت الظلال الفارسية للاختناق والجفاف ، تفعله هذه السنن اليوم ، وهي سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل .

و « جشم العربي » سنعلمه انه من عرب شمال الحجاز وكان أمير قومه وله سيف وسلطان .

* * *

سنبلط الحوروني

نعود الى سنبلّـط الحوروني والسامريين . وراح اليهود العائدون من السبي ينظرون شزراً الى السامريين ، ويكيدون لهم ، وكان بين الفريقين صلات زواج ، فحرّم كهنة اليهود الزواج من السامريات واوجبوا ان تطلق السامريات المتزوجات من اليهود وهذا ما قـــام به عزرا ونحميا خاصة . فلنسمع نحميا نفسه يقول في آخر سفره : « وفي تلك الايام ايضاً رأيت يهوداً قد تزوجوا نساء اشدوديات (فلسطينيات) وعمونيات ومؤآبيات وكان نصف كلام اولادهم بلغة اشدود ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية ، بل بلسان شعب وشعب . فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالاً ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله ان لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم ... وكان

واحد من بني يهوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم صهراً لسنبلط الحوروني فطردته من عندي » ، وهذا بعدئذ انضم الى حلف سنبلط في مقاومة نحميا . وذكر عزرا في آخر سفره اسماء اكثر من مئة عائلة نساؤها غير يهوديات . فالانشقاق بين اليهود والسامريين وقع في أيام نحميا . ويذكر بعض الكتاب ان هذا وقع سنة ٤٣٧ ق.م .

والى ذلك الوقت ، لم يكن للسامريين هيكل . فقابلوا حركة الكيد من اليهود العائدين من السبي بانشاء هيكل لهم على جبل جرزيم (نابلس) واعتبروه بمثابة « جبل الطور » ، وبقوا على الاسفار الخمسة ، وتحول هذا الى عداء مرّ استمر القرون مما لا حاجة لنا الى متابعته في هذا الموطن ، وعلى الجملة راح السامريون يعينون كل فاتح بعد ذلك يدوّخ البلاد ويريد ضرب اليهود ، من الاسكندر الى الرومان وغيرهما ، وكان السامريون يقيمون في انحاء مختلفة في فلسطين بعد الفتح الاسلامي ، ثم تقلصوا حتى باتوا اليوم لا يزيدون على عائلة وموطنهم نابلس .

وكان سنبلط زعيمهم الاكبر يوم عاد اليهود من السبي يريدون تجديد بناء الهيكل والمدينة واسوارها . وذكر « قاموس الكتاب المقدس » (بيروت ١٩٦٤) في موجز ترجمته (لسنبلّط) : « رقد جاء في اوراق البردي التي اكتشفت في الجزيرة في اسوان انه كان حاكماً للسامرة قبل عام ٤٠٧ق.م. » .

* * *

(٢) طوبيا العبد العموني
احد الاركان الثلاثة في مقاومة حركة نحميا

هو احد الزعماء السامريين ، مثل سنبلط ، ومن وزنه ، الذين اعتصبوا حلفاً وقادوا حركة المقاومة لنحميا في اعادة بناء اورشليم والهيكل. والثالث في الحلف هو جُشَم العربي – بهذا اللفظ في السفر – واذ اوجزنا خبر سنبلط،

فلنعلم ما نستطيع علمه من امر طوبيا ، ثم نتناول جشم .

كان احد ابناء يوياداع بن الياشيب الكاهن الاكبر لليهود في اورشليم صهراً لسنبلط السامري ، والعداء مستحكم بين السامريين في السامرة ، واليهود في اورشليم ،والمسافة بينهما نحو ٧٥ كيلومتراً .

فقام نحميا وطرد حفيد الياشيب من الجماعة اليهودية جزاء له على مصاهرته لسنبلط . فانتقل هذا من القدس الى السامرة ، وانضم الى سنبلط في حركة المقاومة .

لكن كانت هناك علاقة قوية بين طوبيا والياشيب الكاهن ابي يوياداع ، نمت واستحكمت عراها في غيبة نحميا الى مملكة فارس ، فهيأ الياشيب مخدعاً خاصاً لطوبيا ينزل فيه عندما يكون هذا في بيت المقدس ، وهذا المخدع هو في داخل بناء الهيكل ، وكان مستعملاً سابقاً لغرض آخر ، وهو ان يحفظ فيه ما يتعلق بالهيكل من تقدمات وآنية ولبان ، وانصبة الكهنة اللاويين من العشور المفروضة لهم . وكان الياشيب هو متولي المحافظة على هذه الأشياء كلها بصفته الكاهن الاكبر ، فاخرجها ، كما يبـــدو من المخدع ، ليجعله نزلاً لطوبيا عند الحاجة .

فلما عاد نحميا من فارس ساءه ما صنع الياشيب ، فألقى بأمتعة طوبيا الى خارج واعلن سخطه . ويتضح من هذا ان الياشيب لما صنع ما صنع ، وهو الكاهن الاكبر ، لم يكن مقتنعاً بتطرف نحميا في مقاطعته السامريين في الزواج ، الى الحد الذي يريده نحميا . وتطرّف نحميا أدى الى الانفصال وترسيخه . فانظر الى نوع العلاقة بين اليهود العائدين من السبي ، وقد وصفنا اطوارهم ، وبين هؤلاء السامريين في الشمال ، ورغم المناوأة بين الفريقين من حيث اصل الارومة من جهة السامريين ، ومن حيث اعتبار كل فريق لاسفار التوراة اعتباراً يختلف عن الآخر ، فقد كان بين الفريقين مصاهرات ، وعلى هذا نقم عزرا ونحميا .

هؤلاء الثلاثة : سنبلط ، وطوبيا ، وجشم ، يؤخذ من سرد اسمائهم على هذا الترتيب في سفر نحميا الذي فيه كل هذا الموضوع ، ان نفوذ كل منهم كان مندمجاً بنفوذ زميله .

* * *

(٣) جُشَم العربي

نوجزه في هذا المساق :

١ – هو في الترجمة الاميركية« َجشَم » ، بفتح اوله ، وفي اليسوعية « جاشم » ، ونرى ان الصحيح الذي لا ريب فيه هو « ُجشَم » وهو عندنا في العربية اليوم من الاعلام الممنوعة من الصرف، ويذكر شاهداً في كتب النحو.

وهذا الممنوع من الصرف قال النحاة فيه انه معدول عن صيغة اخرى كزُحَل عن زاحل ، وزُمَر عن زامر ، ولما كان للممنوع من الصرف علتان توجبان ذلك ، وهي العَلَمية ، وهذا هو الاصل ، وعلة اخرى فرعية ، ولما جاؤوا الى جشم وزمر وعمر وقثم ، قالوا العلة الفرعية هنا هي كونه محولاً عن صيغة اخرى ، هي زامر وعامر وقاثم وجاشم الى آخر الامثلة ، وانتهوا في الاعتبار عند هذا الحد في العلة الفرعية ، وهذا ما سموه «العدل» وهو مصدر فعل «عدل» ، وعدل عن الامر او الطريق حاد عنه .

وقضية جشم تقتضينا زيادة التوضيح ، فهي على جانب كبير من الدقة والطرافة ، واي شيء ادق، لعمري ، واطرف ، من ان نجتلي قدر المستطاع حقيقة امير عربي اصله من شمالي الحجاز ، آباؤه هنا في السامرة منذ نحو قرنين ، فرسخ في السامرة وامتدت جذوره ، وجشم اليوم نراه احد اركان الحلف لمقاومة اعادة بناء الهيكل والاسوار .

* * *

٢ – ولنحل اولاً مسألة «العدل» و«المعدول» والممنوع من الصرف، فالاسماء المعدولة عندنا في كتب الصرف والنحو محصورة معدودة وهي نحو ١٥ اسماً، وذكرنا بعضها في الفقرة المتقدمة، وهذه البقية: جُمَح، وقُزَح، ودُلَف، وعُصَم، وثُعَل، وحُجى، وبُلَع، ومُضَر، وهُبَل، وهُدَل. كلها على وزن فُعَل.

وقالوا: «ان العدل قسمان: تحقيقي، وهو ما كان خروجه عن اصل محقق يدل عليه دليل غير منع الصرف، وذلك في الصفات كأحاد وأُخَر، وتقديري، وهو ما كان خروجه عن اصل مقدر مفروض يكون الداعي الى تقديره وفرضه منع الصرف لا غير، ولا يكون هذا الا في الاعلام الخمسة عشر التي جاءت ممنوعة ولم يوجد فيها سبب ظاهر الا العلمية، فاعتبر فيها العدل تصحيحاً لمنعها، ولما توقف اعتبار العدل على وجود اصل، ولم يكن فيها دليل على وجوده، قدر لكل واحد اصل عدل عنه الى الصورة الحاضرة (بحث المطالب ص ١٥٩)

* * *

وقال ابن هشام الانصاري المصري المتوفي سنة ٧٦١ هـ في كتابه «شرح شذور الذهب»: «ومثال العدل من العلمية: عُمَر وزُفَر وزُحَل وجُمَح ودُلَف، فانها معدولة عن عامر وزافر وزاحل وجامح ودالف، وطريق معرفة ذلك ان يتلقى من افواههم (افواه العرب) ممنوع الصرف، وليس فيه مع العلمية علة ظاهرة» (طبعة ١٩٥٣ ص ٤٥١)

* * *

٣ – ونرى ان هذا العدل انما جرى على اسماء علم انتهت الى العربية المضرية من لهجة عربية سابقة، وهنا قد يرجع الاسم الى اصل في لغة العمالقة او مدين او قيدار، او أي شعب عربي كان بين العراق وسيناء وشمال الجزيرة. ولذلك جعل علماء اللغة السبيل الى معرفته «السماع» كما قال ابن هشام الانصاري. واذا جئنا نفكر في ان عمر معدولة عن عامر، فلا

نجد منطقاً يسلم بأن « عـامراً » اسم منصرف متمكن امكن ، كما يقول الصرفيون والنحاة ، لمـّا عدلنا به الى «عمر» امتنع هذا عن الصرف، ولماذا ؟

٤– والدليل على ان «السماع» هو السبيل الصحيح الى معرفته، قلة عدد الاسماء العلمية المعدولة .

٥ – اما ان يكون قد انتهى الينا اسماء عربية اخرى من الشعوب العربية القديمة المذكورة في التوراة ، فشيء وافر ، وهذا بعضه او معظمه :

مِبْسام ، مِسْماع ، تَيْما ، قِدْمة ، بَسْمة . (سفر التكوين فصل ٢٥)

شَمَّة ، مِزَّة (التكوين فصل ٢٦)

صَفْو ، عَماليق ، عَلْوان ، عَلْوة ، حَمْدان ،تَيْمان. (المصدر نفسه)

سَمْلة (بنت مسريقة) مهطبئيل بنت مَطْرِد بنت «ماء ذهب» (في ملوك ادوم) والشاهد هنا مطرد وماء ذهب (المصدر نفسه)

آوِي، راقِم، صور، حور، رابع،وهي اسماء ملوك مدين. (سفرالعدد ٣٠)

زَبَح (في اليسوعية «زاباح»).. وصلمنّاع ، ملكامدين،غراب، ذئب، اميرا مِدْين (في اليسوعية عوريبوزيب).

٦ – قال الدكتور جواد علي في كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » (ص ٣١٦ ج ٣) : « ووصلت الينا اسماء ثمودية كثيرة مثل اوس ، وسعد ، وعفير ، ووائل، وبارح ، وعياش ، واياس ، وقيس بن وائل وغيرها. »

وقال الدكتور جواد علي ايضاً ص ٣١٤ :« وقد عثر على كتابات ثمودية يرجع تاريخ عدد منها الى القرن السابع قبل الميلاد ، وهناك كتابات يظن انها اقدم عهداً منها غير ان اكثر ما عثر عليه من كتابات ثمودية يعود تاريخه الى ما بعد الميلاد » .

٧ – فنرى ان «جشم»العربي، وقد حفظته التوراة بهذا اللفظ ، ولا عبرة بأن الترجمة الاميركية جعلته «جَشَم» و«اليسوعية» «جاشم»، اذ هو هكذا «جُشَم» منذ القرون الخوالي ، وهو في السامرة في القرن الخامس قبل الميلاد، احد الاسماء العربية الاصل التي عاشت الى اليوم . وهذا هو خبره قدر ما استطعنا جمعه وترتيبه .

* * *

٨ ــ « جُشم العربي »

زعيم العرب في السامرة في اواسط القرن الخامس ق . م

كيف وجد العنصر العربي في السامرة في تلك العصور ؟ ومن اين جـــاء «جُشَم» ، ووصفته التوراة « بالعربي » فلم تقل العماليقي، كما قالت في هامان ، ولا المدياني ، ولا الاسماعيلي ، ولا القيداري ولا من « بني المشرق » ، وهو تعبير آخر في « العهد القديم » عن العرب الذين كانوا وراء ممالك ادوم وعمون ومؤآب (شرق الاردن) نعم ، لما جمعت اسفار التوراة ، وهذا بعد السبي لا قبله ، كانت كلمة (عرب) قـــد رسخت في معناها ومدلولها وشمولها ، وغطت على التعابير السابقة ، وصارت تستعمل في التوراة بالمعنى الذي هـو قريب من استعمالنـا اليوم . وذكر العرب في « العهد القديم » وارد مراراً ، واما في التلمود فوارد ايضاً ، غير ان التلمود بديء بوضعه بعد هـــذا الوقت بعد قرون . وامـا نعت « جشم » « بالعربي » في سفر « نحميا » ، لم يكن من واضع السفر تبرعا او استحساناً ، بل مجاراة للواقع ، اذ جشم كان يلقب بالعربي ، اذ وجوده في السامرة ، او شرق الاردن ، ونحن نرجح في السامرة للاسباب القريبة الورود ، كان مع قبائل عربيـة هو في ذلك العصر كان اميرها المطاع . ولندخل في القصة التاريخية :

جاء في قرميدة من القرميد المكتشف في العراق في الزمن الحديث مما يتعلق بفتوحات الملك سرجون الثاني ، ملك اشور ، مـــا يلي : « ان قبائل ثمود وعباديد مرسمان وخيابا من قبائل العرب سكان البادية الذين لم يصل خبرهم الى حكيم ولم يدفعوا الجزية لاحد قبلي، كل هذه الامم غلبتها باسم الهي اشور، ونقلت بقاياها الى سامريا »[1] .

---

(١) زيدان ـ تاريخ « العرب قبل الاسلام » ص ٩٢ وغلازر ص ١١٢ و ٣١٧ .

والسبب في وصول سرجون الثاني الى اعالي الحجاز او شمالي الجزيرة هو ان عرب هذه البلاد كانوا قد غزوا السامرة ونهبوها قبل ذلك وكانت السامرة في حماية الاشوريين فعزم سرجون على الانتقام . على ان السامرة ، ويهوذا ، كانتا معرضتين لتغزوهما الشعوب المجاورة المختلفة مرة بعد اخرى ، وما تاريخهما الا هذا حتى السبي الثاني منذ انقسام المملكة بعد سليمان في القرن التاسع ق.م اذ المملكة اليهودية الصغيرة هي ، مجردة عن كل وصف من اوصاف الغلو الذي ينفخ في ابواقه اليهود وفريق من الكتاب التوراتيين ، كناية عن فخذ دويلة تتحكم فيها دولتا الواديين الكبيرين : وادي الفرات من الشرق ، ووادي النيل من الغرب ، كما كان يتحكم فيها فريق ثالث لكن الى حد أقل ، هو ملوك سوريا الآراميين . وبين هذه القوى الثلاث كانت « يهوذا » و « اسرائيل » تأخذان بالمداهنة والملق والرياء تارة ، والعصيان والتمرد طوراً ، لدى كل دولة من هذه الدول الثلاث ثم تحل بها الضربة . ولم يتسم تاريخ اليهود بغير هذا على طول المدى . وهذا واضح لا يحتاج الى دليل . فالغزو الذي قامت به القبائل العربية القوية الشكيمة ، في اعالي الحجاز ، للسامرة اليهودية ، في اثناء الثلث الاول من القرن الثامن ق.م لم يكن غزو دولة كدولتي الفرات والنيل ، لكنه عظيم الخطر اذ يدلنا على ما كانت عليه تلك القبائل من الصولة والمنعة حتى تقوم بذلك الغزو ، والسامرة في حماية ملوك اشور .

وسرجون الثاني مدته من ٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م. واما سبي مملكة اسرائيل الشمالية او السامرة فقد كان في اول سني ملكه ٧٢١ ق.م. وبعد هذا بنحو سبع سنين او ٧١٥ ق.م. قام سرجون باكتساح بلاد العرب مجتازاً البوادي حتى يصل الى اماكن لم يصلها احد قبله . قال زيدان : « وذكر في جملة القبائل التي اخضعها او الملوك الذين ضرب عليهم الجزية : ثمود ويثعمر السبأي وشمسية ملكة العرب » — هذا على حدود مصر وسينا — وهذا نص القرميدة كما قرأوها ، فبعد ان ذكر فتوحه في الشام ومصر وبلاد العرب قال :

« ووضعت الجزية على فرعون ملك مصر وشمسية ملكة العرب (عربي)

ويثعمر السبأي (او يثعمر السبأيين) واخـذت حاصلات الذهب من جباهم والخيول والجمال » [١] .

وليست هذه المرة الوحيدة لغزو الاشوريين بلاد العرب او القبائل التي في اطراف الجزيرة فقد تكرر ذلك مراراً بين سنة ٩٠٠ – ٥٦٢ ق.م. وقـد قام بذلك تغـلات بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧) ثم سرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥) ثم سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١) ثم اسرحدون (٦٨١ – ٦٦٨) ثم اشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٠٥) ثم نبوخذناصر (٦٠٥ – ٥٦٢) ق.م. (عند العرب بختنصر) وعلى يديه كان سبي مملكة يهوذا ، وبعد ذهاب دولتي اشور وبابل قامت دولة الفرس ، ثم الاسكندر .

وكان نقل القبائل او جانب من الشعب او السكان من موطنهم الى مهجر جديد عادة عند الدول القديمة الظافرة في حرب او محبة الانتقام والقصاص . ونقل سرجون تلك القبائل العربية الى السامرة كان من هذا النوع .

واما اين كانت تقـيم تلك القبائل العربية قبل نقلها الى السامرة ، فهناك رأيان فإمّا في اعالي الحجاز القريبة من منطقة العقبة ، وهذا ما ذكره زيدان وذهب اليه ، وإمّا قرب خليج العقبة وهذا يجعلها اقرب مكاناً الى السامرة قال الدكتور جواد علي صاحب « تاريخ العرب قبل الاسلام » [٢] : « ويرى

---

(١) المصدر نفسه . و « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور علي الجزء الثاني ص ٣١٢ - ٣١٧ .

(٢) « تاريخ العرب قبل الاسلام » لزيدان في جزء واحد ، صدر في العقد الاول من هـذا القرن،وكان اول مؤلف بحث في هذا الموضوع بحثاً علمياً منظماً مستنداً الى اقوال ثقات المؤرخين، وما كشفت عنه اعمال التنقيب والنقوش الكتابية في جزيرة العرب والشام والعراق ، فله منزلته الكبيرة الباقية لا ريب في هذا وبقي نصف قرن وهو اوثق مرجع . أما كتاب الدكتور جواد علي فيحمل العنوان نفسه « تاريخ العرب قبل الاسلام » انما جاء فتحاً جديداً جامعاً ، وافقاً مترعاً جعل كل وارد للحوض منه يستقي وله تابعاً ، وهذا المؤلف موسوعة في نحو عشرة اجزاء ضخمة ، زاخرة بمختلف النصوص والرسوم والنقوش والكتابات بحيث يمكن ان يقال انه لم تبق مادة تتعلق بتاريخ العرب كله قبل الاسلام الا جمعت ونخلت ووزنت في نفسها،وقوبلت بنظائرها وما يثبتها او يضعفها للجلاء والتصفية . وهذا الكتاب الفريد هو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، وصدر الجزء الاول منه سنة ١٩٥١ .

«موسل» ان هذه القبائل الاربع المذكورة في اخبار سرجون الثاني التي تعود الى سنة ٧١٥ قبل الميلاد ، وهي قبائل مَدْيَنية (مديانية) — بالترجمة الاميركية واما الترجمة اليسوعية فذكرتها مِدْينية نسبة الى مِدْيَن كما جاءت في القرآن الكريم — تدخل في ضمن مديان المذكورة في التوراة، وفي جملتها قبيلة ثمود. وأذا صح هذا الرأي، تكون الحملة التي قام بها سرجون الثاني قد وجهت الى قبائل كانت تقيم في العربية الحجرية المقابلة لخليج العقبة، وربما وصلت الى حدود تيما، وبناء على ذلك اضطر « يثع امر » السبئي الى دفع الجزية الى الاشوريين ، ولم يكن « يثع امر » هذا غير كبير على « ديدان » وقد امر سرجون بنقل عدد من رجال القبائل الى منطقة السامرة عقاباً لهم وقد كانت سياسة الترحيل الاجبارية من الخطط المتبعة عند الاشوريين وعند غيرهم من الحكومات »[١] .

* * *

وفي اي جانب من هذين الرأيين كانت الصحة او معظمها ، في معرفة المجال الذي كانت تقيم فيه تلك القبائل، أهو أعالي الحجاز ام ما هو اقرب منه الى السامرة قرب العقبة ، فان « جشم العربي » ، على ما نستنتج هو سليل هؤلاء العرب في السامرة وفي ايام نحميا كان جشم اميراً على عرب السامرة ، اي بعد نقل قومه بنحو ٢٧٠ سنة .

وهذا ما يذهب اليه فريق من العلماء . قال الدكتور جواد علي : —

« ويخبر سفر نحميا ان «سنبلط الحوروني» وطوبيا العبد العموني « وجشم العربي» قد احتقروا اليهود حينما حاولوا بناء سور القدس واغتاظوا من ذلك ، وان سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيين والاشدوديين غضبوا جدا وقرروا ان يحاربوا اورشليم ، وان سنبلط وجشم خاصة حاولا ابطال بناء السور ، لانهما خافا من تمرد اليهود ومن عودة ملكهم . فيظهر من سفر نحميا ان هؤلاء المذكورين كونوا جبهة حاولت منع نحميا من اعادة بناء سور القدس (اورشليم) وتحكيمه ، وذلك لانهم وجدوا في احكام المدينة خطراً يتهددهم

(١) الدكتور جواد علي الجزء الثالث ص ٣١٨ .

واحياء لمملكة يهوذا التي قضى عليها البابليون . وهذا مما يدل على ان العرب وحلفاءَهم قــد استعادوا نفوذهم في فلسطين ، وانهم كانوا على ابواب القدس . ويظهر من هذا السفر ايضاً ان عدداً قليلاً من العبرانيين حاولوا الرجوع بعد السبي الى اورشليم على الرغم من سماح الفرس لهم بالعودة ومن الحاح الانبياء عليهم في طلب الرجوع » . (جواد علي ٣٦٢)

اما بشأن « ُجشَم » العربي ، فقد قال جواد علي متمماً ما تقدم:

« واسم ُجشَم من الاسماء المعروفة [١] ، ويرى بعض العلماء احتمال كونه من العرب الذين اجلاهم سرجون من ديارهم ونفــاهم الى السامرة ، او انه من مشايـخ الاعراب الذين كانوا يقطنون جنوب يهوذا ، ولهذا اشترك في الحلف الذي عقد لمنع نحميا من بناء سور اورشليم » .

* * *

وأورد « قاموس الكتاب المقدس[٢]» ترجمة « ُجشَم» على ما في نحميا ، وانما جاء بكشف جديد يدل على ان « جشم » كان ملكاً على قبيلة قيدار : و « قد اكتشف مؤخراً نقوش في الجهة الشمالية الشرقية من مصر على وعاء فضي ويذكر ان جشم كان ملكاً على قبيلة قيدار [٣] » .

---

(١) قال الفيروز آبادي في « القاموس المحيط » في مادة « جشم » الاسم على وزن ُفعَل ان في العرب احياء متعددة باسم «جشم» وهي من مضر ومن اليمن ومن تغلب ، وفي ثقيف وفي هوازن.

(٢) هذا الكتاب القيم حديث الوضع قام عليه « نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين » كما جاء في صفحة الوسمة . وهيئة تحريره : الدكتور بطرس عبد الملك ، والدكتور جون الكساندر طمسن ، والاستاذ ابراهيم مطر. صدر الجزء الاول منه في بيروت سنة ١٩٦٤ يشتمل على المواد من حرف « الف » الى « سين » وقدم له الدكتور فيليب حتي الاستاذ الشرقي في جامعة برنستون . وهو على غرار « قاموس الكتاب المقدس » للدكتور جورج بوست الذي ظهر في بيروت بين ١٨٩٤ – ١٩٠١ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس مادة « جشم» واورد كاتب هذه الترجمة : القس ابراهيم عبدالله « جشم » بفتح الجيم ، وقد سبق لنــا ابداء الملاحظة على هــذا . فهي « ُجشم » والامر واضح .

وهذا كشف خطير في بابـــه ، وليت ملخص ترجمة جشم في قاموس الكتاب المقدس أعطانا تفصيلاً اكثر ، اذا كان لديه ذلك ، ممـــا يتعلق بهذا الوعاء .

ومن هذا يؤخذ على ايجازه ان جشم كان أكبر من شيخ قبيلة ، وهـــذا الكشف يذكره بانه كان ملك قبيلة قيدار ، وقيدار لها خبر فصله الدكتور جواد علي في الجزء الثاني من كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ونأخذ عنه بإيجاز واقتضاب :

« قيدار » الولد الثاني من اولاد اسماعيل بن ابراهيم .

« قيدار » التوراة هو في التـــاريخ العربي (الطبري والمسعودي وابن خلدون) « قيذار » و « قيذر » و « قيدر » و « قاذر » قبيلة عربية ورد اسمها في النصوص الاشورية والمؤلفات الكلاسيكية (لمؤرخين رومان ويونان) فذكر بلينوس انها كانت تقيم على مقربة من النبط ، وقد حاربهم اشور بنبال (٧٦٨ — ٦٢٥ ق . م) وكان ملك قيدار في ذلك العهد الملك « أو أيطع » بن خزاعيل . وجاء ذكر قيدار في سفر حزقيال حيث جمع بينهم وبين العرب : « العرب وكل رؤساء قيدار » . ويظهر من الكتابات الاشورية ومن التوراة والكتب الكلاسيكية ان القيداريين كانوا شعباً قوياً ، تغلب عليهم البـداوة ، ويعيشون في الخيـام عيشة الاعراب . وقـد وصفت خيامهم في التوراة بانها خيـام سود ... وكانوا يعتنون بتربيـة المواشي .. وكان من القيـداريين حضر يسكنون المدن ، ومنهم من يقيم في منـاطق صخرية ، وقد اطلقت التوراة على المخيمات والأماكن التي اقاموا فيها كلمـة « حصور » وتعني هذه الكلمة ما تعنيه كلمة « حيرتا » في الارامية و« الحيرة » في العربية ... وقد يرجع تاريخهم الى ما قبل حملة اشور بنبال ، وقد يصل الى الالف الثانية قبل الميلاد . ويظهر انهم كانوا يهاجمون مع قبائل عربية اخرى حدود مملكة اشور والقوافل الاشورية لذلك جردت عليهم اشور تلك

الحملة ، وقد شهدوا نهاية حكومة اسرائيل وعاشوا الى ما بعد ذلك[١].

ونحصر الاستنتاج ان « جشم العربي » كانت له قوة ومنزلة توزنان وزناً كبيراً ، زمن نحميا اليهودي العائد من السبي يريد اعادة بناء أسوار اورشليم وزمن سنبلط الزعيم السامري اليهودي خصم نحميا ، بالوجوه التالية :

١ – ان يكون جشم وارثاً إرثاً سلالياً زعامة العرب في السامرة منذ نقل سرجون الاشوري تلك القبائل العربيـــة الى السامرة قبل الآن بنحو ٢٧٠ سنة .

٢ – ان يكون جدوده قـد علوا الى زعامة العرب في السامرة في اثناء هذه المدة حتى انتهت اليه الزعامة زمن نحميا وسنبلط .

٣ – اما ان نعتبره ملك قيدار ، كما جاء في الآنية المكتشفة في مصر ، فهذا مما يزيد معلوماتنا عنه على ما جاء في التوراة . فاذا صح هذا ، فيكون لجشم زعامة عربية تشمل السامرة وشرق الاردن .

٤ – ونعت « بالعربي » لأن مجموعة القبائل التي نقلها سرجون الى السامرة انما صارت تتميز بصفتها القومية الجنسية العربية العامة اكثر من امتدادها ان تعرف بأسماء قبائلية فرعية خاصة متفرقة . واذا كان الاسم القبائلي لم يتغير لفظـه بين عرب السامرة أنفسهم وهم على كل حال ليسوا بالكثرة الكاثرة ، فهم في نظر نحميا « عرب » وكان العرب خصومه .

٥ – ومهما يكن من أمر ، فاننا نعتبر جشم زعيماً عربياً له وزنه وعلو شأنه ، ازآء نحميا في اواسط القرن الخامس قبل المسيح . ولننتقل بعد هذا الى خبر معارضة الحلف لنحميا .

---

(١) الدكتور جواد علي الجزء الاول ص ٢٩٠ ملخصاً .

٩ ـ مقاومة السامرة لليهود بعد العودة

من السبي على يد حلف كبير

هذا الحلف ، كما عرفنا ، مؤلف من سنبلط الحوروني (الحوروني نسبة الى قرية كانت تعرف « ببيت حورون » في السامرة وهي اليوم « بيت عور التحتا » و « بيت عور الفوقا » وطوبيا العبد العموني ، وجشم العربي ، قد مر ذكرهم جميعاً ، والعمونيين في شرق الاردن ، والاشدوديين في سهول فلسطين الساحلية الجنوبية ، لتطويق اليهود في المنطقة التي كانوا يقيمون فيها ، ويمنعوهم من اعادة بناء الهيكل والاسوار ، وكل هذا هدمه وخربه واحرقه نبوخذ ناصر كما رأينا .

* * *

بين عودة زربابل ، وهو اول قافلة عادت من السبي في زمن كورش (كيرش عند العرب) الفارسي سنة ٥٣٦ ق.م. وعودة نحميا ، وهو ثالث قافلة وهي الاخيرة سنة ٤٤٤ ق.م. ـ ٩٢ سنة .

في خلال هذه المدة اجتاز اليهود الخطر المذهل الذي كان ينذرهم بالمحو والفناء ، جملة وتفصيلاً ، وهو ان يفنوا في مملكة بابل الكلدانية بهذا السبي الثاني كما فني بنو قومهم من قبل وهم يهود اسرائيل الشمالية ، وكان ذلك السبي على يد الملك سرجون الاشوري الثاني .

فالسبي الاول سنة ٧٢١ ق.م. جرف الاسباط العشرة التي كانت تقيم في السامرة وبعض اجزاء شرق الاردن ، واما كيف تلاشت هذه الاسباط تلاشياً تاماً بالسبي الاول ، وكيف وزعت في مملكة بابل ، حتى انطفأت اخبارها

بالمرة من الوجود ، فذلك كله لم تحفظ لنا اخباره في تواريخ بابل واشور وفارس ، حتى لم يستطع اليهود انفسهم ان يحفظوا شيئاً منه . والسبي الثاني ليهوذا شمل السبطين ، الباقيين من الاثني عشر سبطاً ، وهما يهوذا وبنيامين .

وقصة اليهود بعد ذلك محصورة بهذين السبطين ، ولولا يقظتهم العجيبة في السبي الثاني ومدته ٥٠ — ٧٠ سنة ، على يد « انبيائهم » واستير ومردخاي ولولا مساندة دولة فارس لهم ، لاضمحلوا من سفر الوجود ، ولما كان تاريخ العالم تعثر بهم مرة اخرى في عدة ادوار ، وهم ينسجون ، حتى الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر ، خيوطها السرية المشتقة من روح « التلمود » ، و « التلمود » مخطط الافساد البشري ، حتى انتظموا بالتالي « بالقبالة » السرية ، ومن « القبالة » خرج المخطط الحديث بشكله القديم بروحه وغايته وهدفه ، وهو « بروتوكولات حكماء صهيون » .

* * *

المقاومة لزربابل وعزرا ونحميا ، لكي لا يتمكنوا من تجديد الهيكل والمدينة واسوارها ، تقسم الى قسمين .

فالاول ، هو مقاومة زربابل ؛ فأدى ذلك الى وقف العمل بأمر ملك فارس وبقي متوقفاً نحواً من ١٥ سنة حتى استؤنف سنة ٥٢٠ ق.م. بذهاب ملك ومجيء ملك في فارس ، واكمل البناء في مدى ٤ سنوات بعد ذلك ، اي سنة ٥١٦ وهذا الهيكل ينسب الى زربابل بعد ان بقي خراباً نحو سبعين سنة . وبقي قائماً حتى جاء هيرودس الكبير ، الادومي الاصل ، والمعدود نصف عربي [١] ، فجدده وزاد فيه استرضاء لليهود لدى الرومان ، وبقي

---

(١) ابوه ادومي جاء من ناحية بئر السبع. وامه ابنة احد امراء العرب الانباط. الادوميون ، من نسل عيسو كما تقول التوراة ، وهم ابناء عمومة العرب . قال الدكتور علي جواد : « وقد ذهب مونتكومري الى ان الادوميين كانوا عرباً من حيث « الرس » وكانت عواطفهم مع العرب كذلك » (تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٣٥٧ ج ٢) . مواطنهم من وادي عربة فشرقاً ، بين البحر الميت والعقبة ، ومما هو اليوم الطفيلة . والشوبك ، ومعان، ووادي موسى، في المملكة ←

هيرودس يعمل في تزيينه اكثر من ٤٠ سنة ، حتى جاء الرومان بسخطهم ونارهم على اليهود فدمروه والمدينة كلها سنة ٧٠ ب.م. وهذا آخر خراب حلّ به . وبعد هذا الوقت باكثر من ستة قرون بقليل بدأ عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي يبني مسجد الصخرة ثم المسجد الاقصى قائمين الى ما شاء الله ، وكل هذا حيث كان الهيكل وساحته . والقسم الآخر هو مقاومة عزرا ونحميا على يد « الحلف » واستغرقت المقاومة الثانية نحو ربع قرن .

* * *

وأخبار المقاومة نأخذها بمعظمها من سفري عزرا ونحميا ، ومع ان كلا من هذين السفرين ينسب الى صاحبه ، وعزرا متقدم قليلاً في الوقت على نحميا ، على انه يؤخذ من سياق الكلام والحوادث في كل منها ، ان بعض الكلام رتب

← الاردنية كان من ادوم سابقاً. والى شمال ادوم مباشرة بلاد مؤآب، والى الجنوب مباشرة مدين التي تمتد الى تبوك وشمال الحجاز ، وكان الادوميون اعداء بني اسرائيل واليهود مدى الدهر كله كالعرب تماماً ، وهم كالعمالقة حاربوا موسى يمنعونه من اجتياز بلادهم . ولهم ذكر في سجلات الفراعنة ، وكانت ايام قوتهم من القرن « ١٣ — ٦ » ق.م. اي سبعة قرون متمادية . وكان لهم ملوك وبنو اسرائيل في عبودية مصر . ومرة بعد قيام الملكية الاسرائيلية ذهب احد امراء ادوم واسمه « هدد » الى فرعون ، واستنصر به لكي يخاصم سليمان بن داود . ولما دمر نبوخذناصر بيت المقدس والهيكل اقام الادوميون مهرجان فرح . وفي القرن الخامس ق.م. بدأ الانباط يزحمونهم ويزاحمونهم في مواطنهم شرقي وادي عربة . وكان السبي الثاني قد وقع فانتقل بعضهم او معظمهم الى القسم الغربي المتاوح لبلادهم (١) ، وهو ارض يهوذا الجنوبية ، فورثوها واقاموا فيها . لكن لما جاء المكابيون اليهود في القرن الثاني ق.م. تناولوهم بالقهر والمذلة وحملوهم على الختان وارادوا تهويدهم . وبعد هذا بقليل كان منهم هيرودس الكبير ، اقامه الرومان ملكاً على اليهود ، فلا هو يهودي محض، ولا هو بريء من اليهودية، اما جملة اليهود فقد بقوا ينظرون اليه والى خلفائه من بعده الادوميين بازدراء . فلما جعل ملكاً (٣٧ — ٤) ب.م. راح يتقرب من اليهود محاولاً حملهم على الاذعان للرومان ، ومن هنا قام بتجديد الهيكل وبقي يعمل في هذا اكثر من اربعين سنة حتى جعله مترفاً بالمحاسن كلها . وهو المذكور في الانجيل اذ في عصره ولد السيد المسيح والقصة مبسوطة هناك . وهو باني قيصرية (قيسارية) جنوبي حيفا ، وسبسطية (قرب نابلس) واختل عقله آخر حياته والهرادسة كلهم ينسبون اليه حتى خراب الهيكل الاخير .

---

(١) ما هو جنوبي « الخليل » وشرقه حتى وادي عربة .

وزيد بوقت لاحق ، فعزرا يتكلم عن ايامه وايام زربابل من قبل ، ونحميا يتكلم عن ايامه فقط ، وفي كلا السفرين يكون الكلام احياناً بصيغة المتكلم واحياناً بصيغة الغائب .

* * *

البوادر الاولى للمقاومة قالها عزرا، فأول ما بنوه ايام زربابل هو المذبح ، ولما اجتمع اليهود في بيت المقدس من مختلف النواحي لتقديم الذبائح ، كان « عليهم رعب من شعوب الاراضي » (الترجمة الاميركية) او « مع ما كان عليهم من الذعر من شعوب البلاد » (الترجمة اليسوعية) . والمقصود بشعوب الاراضي او شعوب البلاد جميع الاقوام المحيطة بالمنطقة اليهودية الصغيرة ، وهذه لا تزيد بمساحتها بين رام الله شمالاً والخليل جنوباً على نحو ٤٥ ك.م . ويؤخذ من هذا ان الرأي العام ، ولا سيما في السامرة ، حيث تتمركز القوة المعادية ليهوذا وبنيامين ، اخذ يهتاج منذ عاد زربابل بخططه المسنود من ملك فارس . (عزرا : الفصل ٣) .

ولم يزد عزرا على هذا في ايراد هذه البادرة الاولى من بوادر المقاومة . ثم يعطينا تعبيراً آخر بعد قليل بقوله : « ولما سمع اعداء يهوذا وبنيامين ان بني السبي يبنون هيكلاً للرب ، تقدموا الى زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم نبني معكم، ونعبد الهكم مثلكم ونحن نذبح له من ايام اسرحدون ملك اشور الذي صيرنا الى هنا » (عزرا الفصل ٤) .

ومن هذا يؤخذ مباشرة ، ان قائلي هذا القول هم اهل السامرة الذين نقلهم سرجون يوم السبي من مختلف الاقطار الى هنا ، وتروي التوراة في اخبارهم وأخبار هذا السبي ان الذين أتي بهم الى السامرة كانوا وثنيين يعبدون الاصنام ، فلما استقروا في بيئتهم الجديدة ، رأوا فوجدوا ان من الخير لهم ان يطلبوا من ملك اشور ان يرسل اليهم من يعلمهم عبادة اسرائيل فلبي طلبهم ، ومن هنا دخلوا في اليهودية . وقلنا في الكلام على منشأ الفرقة السامرية انها مؤلفة من عنصرين : الاول بقايا اليهود الضعفة الذين لم يحتملوا مشقة السفر

وقت السبي ، فهؤلاء رسبوا في البلاد ، ثم انضاف اليهم الذين يقولون اليوم لزربابل تعال نبني معك فاننا نعبد الهكم منذ ايام اسرحدون ، واسرحدون مدته ٦٨١ – ٦٦٨ وقبله سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١) وقبله سرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥) الذي كان على يديه السبي . وهذا الكلام من السامريين لزربابل ينبغي ان يكون في حدود ٥٣٥ ق.م. ، وربما في الشهر السابع من السنة اليهودية كما جاء في عزرا (٣ : ٨) فتوسلوا الى زربابل بأنهم على دين واحد هو اله اسرائيل .

فلم يقبل زربابل هذا الكلام فأجاب : « ليس لكم ولنا ان نبني معاً بيتاً لآلهنا ، ولكن نحن نبني للرب إله اسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس » ، وينبغي ان تكون الحال قد تأزمت بين الفريقين .

ويقول عزرا بعد هذا مباشرة « وكان شعب الارض يرخون ايدي شعب يهوذا ويقلقونهم في البناء ، واستأجروا مشيرين ضدهم لابطال مشورتهم جميعهم ايام كورش ملك فارس الى أن ملك داريوس ملك فارس » .

وهذا معناه اشتذاد حركة المقاومة حتى صار العمل في البناء معرضاً لخطر الهجوم عليه ، فضلاً عن الدعاية المنتشرة من حول اليهود تفسد عليهم ما هم بسبيله .

اما داريوس الاول فمدته ٥٢١ – ٤٨٥ ق.م. وبعده جاء مباشرة احشويروش صاحب استير (٤٨٥ – ٤٦٥) ويقول عزرا ان المقاومين كتبوا شكوى الى احشويروش في اول ايامه ولا يذكر عزرا شيئاً من النتيجة لذلك، وفي اول ايام احشويروش لم تكن استير قد صارت ملكة بعد ويذكر عزرا (٤ : ٩) لا اقل من تسعة اجناس من الاقوام والامم الذين اجلاهم سرجون ، اعصوصبوا الآن معاً وارسلوا احتجاجاً الى ملك فارس ، وكان هو اليوم ارتحششتا (٤٦٥ – ٤٢٤) الذي جاء بعد احشويروش .

ويؤخذ من كلام عزرا (الفصل الرابع) ان الاحتجاج الذي رفع الى

ارتحشتا كان على نوبتين :

الاولى – من بشلام وميتردات ، وطبئيل وسائر صحابتهم والكتابة بالآرامية (ثم مترجمة الى الفارسية)

الثانية – من « رحوم » صاحب القضاء « وشمشاي » الكاتب ، باسم تسعة اقوام وسائر الامم التي اجليت الى السامرة، اي قبل هذا التاريخ باكثر من قرنين ونصف .

اما « بشلام » هذا فيقول قاموس الكتاب المقدس انه كان الحاكم على فلسطين من قبل الدولة الفارسية في مدة رجوع اليهود من السبي ، ولما ابتدأ الراجعون من السبي في ترميم هيكلهم ، ارسل كتابة ضدهم الى الملك ارتحشتا عما شرعوا فيه .

وقياساً على هذا ، يحتمل ان يكون متردات وطبئيل وسائر رهطهم المشتركين معهم في الاحتجاج ، هم من كبار موظفي الحكومة . ويظهر ان هؤلاء الموظفين لما ايقنوا بصحة ما يقوله المقاومون لليهود ، رأوا من واجبهم الرسمي ان يكتبوا الى الملك ففعلوا ومما يلفت النظر في خطورة هذا الاحتجاج ، قولهم « وسائر صحابتهم » ولما كان هذا الاحتجاج « تقريراً رسمياً » بلغة اليوم ، فهو يدل على ان الحكومة الفارسية في فلسطين ، كان رأيها كرأي السامريين في ان لليهود مرامي بعيدة اذا تحققت فتحققها يضر بمصلحة فارس .

اما «رحوم صاحب القضاء » ، فظاهرة منزلته العالية ، ومعه الكاتب شمشاي ، او ما نعبّر عنه اليوم بأمين الديوان او رئيسه ، اذ كلمة « كاتب » ليس معناها هنا الذي يكتب الرسائل بل معناها « السكرتير » الامين .

والمهم في احتجاج رحوم وشمشاي انه يمثل الاقوام التي في السامرة وهي تسع عدّا ولا فائدة من ذكرها هنا لانها غريبة على ذهن القارىء ، ما عدا قوله « والاركويين » نسبة الى «أرَك» ، وهي اليوم « وركة » في العراق لا

تزال تجري فيها اعمال تنقيب واسعة عن اقدم الآثار وبقية تلك الأقوام البابليون والعيلاميون .

ومن المفيد المعجب في هذا الموطن من عزرا ان جامع السفر اثبت صورة الاحتجاج الذي نظّمه رحوم وشمشاي، ونجمل محتواه وهو (مخاطباً الملك) :

١ – ان اليهود الذين خرجوا من عندك قد وفدوا الينا الى اورشليم المدينة المتمردة الشقية يبنون ويرممون اسوارها وقد فرغوا من الاساس .

٢ – ليكن معلوماً لدى الملك انه ان بنيت هذه المدينة وتمت أسوارها فان أهلها (اليهود) لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الخفارة المعتادة فيكون الملك قد أضرّ بخزانته .

٣ – ولما كنا قد أكلنا ملح الملك، فلا يليق بنا أن نسكت عن هذه المساءة ، ولذلك كتبنا هذه الشكوى .

٤ – وليبحث الملك في السجلات ، فيجد ان هذه المدينة متمردة مسيئة الى الملوك والأقاليم .

٥ – وهؤلاء اليهود قد أثاروا شغباً في الأيام السابقة ولذلك حلّ بهم بالتالي الخراب .

٦ – واذا مابنيت وأقيمت لها الأسوار فلا يكون للملك نصيب في عبر النهر (سوريا وفلسطين وفينيقيا) .

* * *

وكأن هذا الاحتجاج لو كُتب اليوم ، لما كشف عن جديد من غرائز اليهود . وهذا الاحتجاج منذ خمسة وعشرين قرناً .

* * *

قال عزرا : فلما تليت نسخة رسالة الملك ارتحششتا أمام رحوم وشمشاي

الكاتب وصحابتهما ، بادروا في الذهاب الى اورشليم الى اليهـــود وكفّوهم كفّ اليد بالقوة (بأمر الملك) .

ثم أنهى عزرا هذا الفصل بقوله :

« فتعطل عمل بيت الله الذي في اورشليم وبقي منقطعاً الى السنة الثانية من ملك داريوس » . وهذه المدة نحو من ١٥ سنة داريوس هو « دارا » في التاريخ العربي .

* * *

فلما جاء داريوس بعد الخمس عشرة سنة، وكانت استير قد بذرت بذورها فنمت وأثمرت ، جدد زربابل مساعيه ، والطرق الآن مفتوحة لديه ، فشرع يبني كما في النوبة الاولى ، واذا بلجنـــة تحقيق مؤلفة من :

تتناي – والي عبر النهر وهو فارسي .

شتر بوزناي ورفاقهما – (من كبار ممثلي الأقوام التسعة) يحضرون الى اورشليم ويجرون تحقيقاً هذا ايجاز محتواه :

١ – ليكن معلوماً اننا ذهبنا الى بلاد يهوذا ... واذا به يبنى بحجـارة عظيمة ، ويوضع خشب في الحيطان .

٢ – هذا العمل يعمل بسرعة .

٣ – سألنا الشيوخ : من أمركم ببناء هذا البيت وتكميل هذه الأسوار ؟

٤ – فأجابوا : بناه ملك عظيم لاسرائيل ، ثم وقع آباؤنا في المعـاصي فسلّط عليهم نبوخذناصر ملك بابل الكلداني فهـدم الهيكل وسبى الشعب الى بابل .

٥ – في السنة الاولى لكورش اصدر أمره ببناء البيت ورد اليه الآنية من ذهب وفضة مما اخذه نبوخذناصر .

٦ – كلف كورش شيشبصر بنقل الآنية الى اورشليم وجعله والياً على

الاقليم ، ووضع حجر الاساس وشرع في البناء ولما يكمل .

٧ – الرجاء ان يفتش في السجلات هل هناك ما يثبت صدور الامر من كورش ببناء البيت ، وليرسل الملك الينا مراده .

* * *

لم يذكر زربابل شيئاً من السبب في توقف العمل في البناء وكان قد مضى على ذلك ١٥ سنة . ففتش في السجلات فوجدوا الامر من كورش بالبناء .
فصدر الامر من داريوس :

« أنا داريوس قد امرت فليفعل عاجلاً » .

قال عزرا : « وكمل هذ البيت في اليوم الثالث من شهر آذار في السنة السادسة من ملك داريوس (عزرا ٦ – ١٢) وهذا يوافق ٤١٦ ق.م .

* * *

والاحتجاجات الى ملكي الفرس صارت ثلاثة ، واحداً الى احشويروش صاحب استير ، واثنين الى ارتحششتا وينبغي ان يكون هذا في خلال بضعة اشهر . والى الآن لا ذكر لسنبلط ولا لطوبيا ولا لجشم العربي . فاخبارهم عند نحميا عما قريب .وهذا جواب ارتحششتا :

فانه وجه جوابه الى موقعي الاحتجاج والى الذين كتب باسمهم وبعد التحية والسلام ، كا تفتح الرسائل في عصرنا هذا ، قال ما نجمله مع المحافظة على تركيب الكلام الاصلي ما أمكن :

١ – ان الرسالة التي بعثتم بها الينا قد قرئت بين يدينا جهراً .

٢ – وقد امرتُ فبحث فوجد ان هذه المدينة في قديم الدهر قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة .

٣ – وقد كان على اورشليم ملوك اقوياء تسلطوا على جميع عبر النهر ، ورُفع اليهم الخراج والجزية والخفارة .

٤ – والآن اخرجوا امراً بتوقيف اولئك الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر امر مني .

٥ – واحذروا ان تتهاونوا في تنفيذ هذا لئلا يتفاقم الفساد لأذى الملوك (عزرا الفصل ٤) .

* * *

ولما كمل البناء ، جمع عزرا الشعب في اورشليم ، وأنذربأنمن يتخلف عن الحضور يخرج من جماعة « السبي » ، فقام فيهم عزرا وجعــل يحرضهم الا يختلطوا« بالأجنبيات» في الزواج، وتليت اسماء من زوجاتهم غير يهوديات ، فكان عدد هؤلاء فوق المئة فحرم عليهم ذلك وطلب منهم القَسَم ، هذا هو القسم الاول من المقاومة ونستخلص من ذلك :

١ – ان الولاة الفرس في فلسطين كانوا هم انفسهم يرون رأي اهل السامرة في وجوب ابطال ما يعمله اهــل السبي العائدون ، من اعادة بناء الهيكل والمدينة بأسوارها .

٢ – كانت الجالية الفارسية على هذا الرأي ايضاً .

٣ – كان مستند الاحتجاج، ما لليهود فيماضي أيامهم من فتن ومكايــد ازآء الدول والملوك،وما كان هذا المستند الا ما هو مسجل في التواريخالقديمة.

٤ – لما امر داريوس بما امر ، كانت دولة « حكماء صهيون » قد ارسلت قواربها في النهر .

وانما الى الكشف عن هذه الخفايا نرمي في وضع هذه الصفحات .

* * *

والآن ، الى المقاومة على يد «الحلف» .

* * *

الحلف الذي قاوم نحميا

وبرز فيـــه جشم العربي

لما جاء نحميا الى بيت المقدس سنة ٤٤٤ عائداً من السبي ، كان زميله عزرا قد سبقه الى هناك ومضى عليه في بيت المقدس ١٣ سنة. وكان نحميا هو ساقي الملك ارتحششتا ، وهذا منصب عالٍ خطير في بلاط الملك الفارسي يقوم به يهودي مثل نحميا . وقد استوفينا هذه الناحية في ترجمة نحميا ، قـــدر الامكان ، فلتراجع ، ويقول «هالي» صاحب مختصر التوراة(٢١٦) ان المأثور عند اليهود ان عزرا هو واضع الاسفار الاربعة « اخبار الايام » الاول والثاني وعزرا ونحميا . ولما جاء بيت المقدس ، جاء وفي جيبه مرسوم الملك يجيز له بناء السور وتحصين المدينة . ومع هذا يقول «هالي» ان اليهود بقوا في موطنهم بعد العودة مئة سنة تقريباً ، وخلال هذه المدة لم يستطيعوا التقدم الا قليلاً ، وجل ما استطاعوه هو بناء الهيكل لكنه جاء هيكلاً ضئيلاً للغاية، والسبب انهم كانوا كلما اقبلوا يعملون في السور ، داهمهم جيرانهم الذين هم أشد بأساً فعرقلوهم بالقوة والقهر ، أو استطاع هؤلاء الجيران ايصال صوتهم الى البلاط فيحصلون من الملك على أمر بتوقيف العمل » (المصدر نفسه ٢١٦) .

ويقول هالي : « لما كان ارتحششتا ملك فارس من ٤٦٥ — ٤٢٥ق.م. هو ابن احشويروش ، فأمسى بمثابـــة الابن الربيب لاستير الملكة اليهودية واستير اصبحت الملكة بعـد البدء بالعودة بنحو ٦٠ سنة او بعـــد الفراغ من بنـــاء الهيكل بنحو ٤٠ سنة . وهـذا الوضع ينبغي ان ينيل اليهود النفوذ الواسع في البلاد الفارسي ، ويحتمل ان استير كانت لا تزال في قيـد الحياة،وشخصيةً واسعة النفوذ لما عاد عزرا ونحميا الى بيت المقـدس » . ثم يقول هالي اخيراً : « ونعتقد انه يجب علينا شكر استـــير على ما أبداه ارتحششتا من حسن الشعور نحو اليهود وعنايته بأن يرى سور المدينة قـد تمَّ بناؤه » ! هذا ما يقوله المؤلف هالي . ونقول ان القضيـــة في ما يجب من

الشكر لأستير على ما صنع ارتحششتا ، هي القضية عينها التي توجب الشكر لأستير على ما صنعت لأرتحششتا .

* * *

يقول نحميا في السفر المنسوب اليه :

« ولما سمع سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني ساءهما مساءة عظيمة»، أي لما سمعا بقدمه من فارس ومعه مرسوم الملك ، الى الولاة ، ورسالة الى آساف حارس غابة الملك ان يعطيه أخشاباً لسقف أبواب القصر ولسور المدينة .

وهذه أول مرة يشير فيها نحميا الى سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني في أوائل سفره في الفصل الثاني منه .

وفي هذا الفصل نفسه بعد ان يصف ثلاثة أيامه الاولى في بيت المقدس وتفقده المدينة والسور والوادي ، وقام بهذا البناء سراً دون أن يخبر الكهنة والولاة الفرس المسؤولين ، يقول انه جمع قومه وأطلعهم على مخططه ، وطلب منهم ان يكونوا متعاونين في العمل يداً واحدة . وهو ولا شك يعلم جيداً الصعاب التي لاقاها زربابل من قبل ، قبل اليوم ب٩٢ سنة،وهذا زميله عزرا هو في بيت المقدس الآن منذ ١٣ سنة يلقى الصعاب ، لكن المقاومة اليوم لها شكل جديد ، وعناصرها هي أقوى عناصر في الاقليم كله (عبر النهر) بتعبير التوراة .

واذا بنحميا في الفصل الثاني يعود فيقول : « ولما سمع سنبلط الحوروني ، وطوبيا العبد العموني وجشم العربي ، هزأوا بنا واحتقرونا وقالوا ما هذا الامر الذي انتم عاملون ؟ أعلى الملك تتمردون ؟ »

هنا يرد ذكر جشم العربي لأول مرة مع زميليه سنبلط وطوبيا .

ويمضي نحميا في وصف السير بالعمل حتى وصل الى الفصل الرابع فاذا به

يفتتحه هكذا :

« ولما سمع سنبلط أننا آخـذون في بناء السور ، غضب واغتاظ كثيراً ، وهزأ باليهود ، وتكلم أمام اخوته وجيش السامرة وقال : ماذا يعمل اليهود الضعفاء ، هل يُتركون ؟ هل يذبحون ؟ هل يكملون في يوم ؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة ؟ »

وعلينا أن نلاحظ شدة النبرة الغضبية في كل كلمة من كلمات سنبلط وهو يقول هذا الكلام أمام رفقته وجيش السامرة ، وهذا يؤخذ إيذاناً بأن جيش السامرة سيتحرك . ثم تراه يصوّر اليهود على حقيقتهم وهو الضعف . ثم عاد يستصرخ : هل يترك هؤلاء يمضون في عملهم ؟ ثم وضعهم موضعهم من الجبن فقال : هل يذبحون ؟ أي هل اليهود رجال حتى يذبحوا عدوهم ، هم أجبن من ذلك . ثم استرعى انتباهه السرعة في العمل فقال : هل يكملون هذا العمل في يوم ، فلن يكملوه . ثم وزن المسألة كلها ، وبيت المقدس لا تزال خراباً ، فقال : هل يحيون الحجارة من كوم التراب؟ وهي هنا من وقت نبوخذناصر تحدّث بالويل .

* * *

ولما كان سنبلط يلقي هذا الكلام المحرّض ، على مسمع من رفقته والجيش السامري ، كان بجانبه طوبيا العموني فقال طوبيا :

« ان مـــا يبنونه اذا صعد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم » . وكانت غاية نحميا ومن قبله ، ان يحصنوا المدينة تحصيناً عسكرياً تحت ستار الهيكل والدفاع عنه .

هذا كله ورد في الاعداد الستة الاولى من الاصحاح الرابع . ثم نرى نحميا ينفجر فجأة ليقول بعد هذا مباشرة :

« ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والاشدوديون ان اسوار اورشليم قد رممت والثُغَر ابتدأت تسدّ غضبوا جدا،وتآمروا جميعهم معاً ان

يأتوا ويحاربوا اورشليم ويعملوا بها ضرراً » .

هنا يذكر نحميا « الاعداء » فريقاً فريقاً ، وكانت الحركة على ما يظهر قد اتسعت حتى انتهت الى شرق الاردن ، والى الفلسطينيين الذين في السهول الساحلية ومركزهم اشدود . ولعل نحميا يقصد « بالعرب » لا جشم وحده بل عرب السامرة وعرب الاردن من الشرق .

فاستعد نحميا وأقام الحراس ، واما سواد اليهود فاخذهم الرعب وقالوا « قد ضعفت قوة الحمالين ، والتراب كثير ، ونحن لا نقدر ان نبني السور » .

وبلغ نحميا ان « الاعداء » سيبغتونهم ويأخذون اورشليم على حين غرة ، فازداد الخوف والهلع .

وكان اليهود الساكنون في السامرة جيرةً للسامريين ، يقومون باعمال التجسس ويأتون الى نحميا بكل شيء يطلعون على صفة الحال في السامرة ، والسامرة هي مركز الحركة ، كما رأينا . فعاد نحميا الى الاستعداد العسكري وهو يقول: «فأوقفتُ الشعب من اسفل الموضع وراء السور، وعلى القمم، اوقفتهم حسب عشائرهم بسيوفهم ورماحهم وقسيهم ». وقال نحميا بعد ذلك محرضا على الدفاع: «وحاربوا من اجل اخوتكم وبنيكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم». وكان العمل على السور قد توقف كله استعداداً للدفاع المباغت . ويظهر ان اعمال التجسس التي كان يقوم بها اليهود الذين في السامرة ، وهم جيران السامريين او في قرى متشابكة الحدود ، كانت اعمالاً فظيعة ، شأن اليهود المعهود فيهم هذا على الدوام .

ولسبب ما ، لم يقع الهجوم المباغت . فعاد نحميا فجعل عمل البناء يستأنف ، وانما ابقى حَمَلة السلاح على سلاحهم وفي مراكزهم ، وامرهم بأنهم اذا سمعوا صوت البوق من ناحية فعليهم بالكرّة الى هناك ! وجعل الحراسة بالتناوب ليل نهار . وقال نحميا عن نفسه : « ولم اكن انا ولا اخوتي ولا غلماني ولا الحراس الذين ورائي نخلع ثيابنا . كان كل واحد يذهب بسلاحه

الى الماء » (عزرا الاصحاح ٤) .

* * *

واخذت الازمة المعيشية بخنق اليهود فصاحوا بوجه نحميا :
بنونا وبناتنا كثيرون فأين القمح لنأكل ونحيا ؟
حقولنا وكرومنا وبيوتنا هي في الرهن مقابل القمح لندرأ المجاعة .
خراج الملك (الفارسي) استقرضناه ورهنا حقولنا وكرومنا .
وها نحن نجعل بنينا وبناتنا عبيداً .
ليس لنا شيء فحقولنا امست لغيرنا .

وفي ابّان هذه الازمة، كان الربا هو العلق اليهودي يستنزف ويمتص الدم اليهودي ، فدعاهم نحميا وقال لهم :

«نحن افتدينا اخواننا اليهود الذين بيعوا للامم ، وافتديناهم قدر طاقتنا، واما انتم فتبيعون اخوانكم فيباعون لنا » . وطلب منهم اسقاط الربا والدين، وردّ رهون الحقول والزيتون والبيوت الى اهلها. واعطاهم القمح والقروض من الفضة ، والخمر والزيت (نحميا الفصل ٥)

ثم قال نحميا انه صار الآن والياً ، ومكث في الولاية ١٢ سنة فما هي تلك السلطة الخفية التي جلبت اليه منصب الولاية ؟ وهنا يحدثنا نحميا ما ذكرناه في ترجمته ، من ان مائدته كان عليها ١٥٠ من اليهود وموظفي الحكومة الفارسية ، فضلا عن القادمين طوارىء .

* * *

ولعل القارىء لاحظ ان نحميا يفتتح عبارته عند ذكر «الاعداء» بقوله« ولما سمع ... » وها هو يفتتح الفصل السادس بقوله : —

« ولما سمع سنبلط وطوبيا وجشم العربي وبقية اعدائنا اني قد بنيت السور ، ولم تبق فيه ثغرة--على اني لم اكن الى ذلك الوقت قد اقمت مصاريع

الأبواب ، ارسل سنبلط وجشم إليّ قائلين : هلمّ نجتمع معاً في القرى في بقعة «اونو» وكانا يفكران ان يعملا بي شراً » .

فلم يستجب نحميا لهذا الطلب .

وكرراه عليه خمس مرات ، فظل يرفض الاستجابة .

والمرة الخامسة أنفذ اليه سنبلط رسالة خاصة نقلها غلام سنبلط بيده . وفي هذه الرسالة يقول سنبلط لنحميا : « ان الامم تقول انك وقومك اليهود تفكرون ان تتمردوا ، وتحصين المدينة بسورها القصد منه ان تصنعوا منكم ملكاً ، والدليل على هذا انطلاق الأنبياء بهذه الدعاية وقد أقمت أنبياء لينادوا بك في اورشليم قائلين في يهوذا ملك » فتعال نبحث ونتشاور .

هذا هو محتوى الرسالة الخاصة من سنبلط الى نحميا . فلم يستجب نحميا . غير ان الرسالة فيها شيء آخر ، فقد ذكر نحميا في أولها ان الامم تقول هذا ، وهذا يقوله ايضاً جشم ، وظاهر ان قصد سنبلط من هذا ، ان يستند بالاضافة الى جيش السامرة ، الى قوة جشم ، ولذلك قال له : « قد سمع بين الامم وجشم يقول انك انت واليهود » الى آخر الرسالة .

وعلينا أن نلاحظ هنا عدة نقاط :

١ – هذا دليل على ما لجشم من القوة ، فذكره هنا سنبلط بهذا المعنى دون ان يذكر طوبيا . وسواء أكانت قوة جشم في السامرة ، منفردة أم مندمجة بجيش السامرة ، ام هي في شرق الاردن فمن الناحية العسكرية كان جشم قوة عربية يعتدّ بها . وهذا واضح .

٢ – اما « اونو » التي عينها سنبلط مكاناً للاجتماع ، فهي اليوم قرية للشرق من يافا على نحو مسافة ١٠ كلم. واسمها الحالي (كفرعانة) ، ونأخذ من هذا ان هذه المنطقة كانت في ذلك الحين خارج المنطقة اليهودية في الحكم الفارسي .

٣ - والمهم في قول جشم ان نحميا أطلق « أنبيـــاء » يبثون في سواد اليهود الدعاية ان اورشليم سترى ملكاً جديداً في يهوذا بعد السبي ، أما نوع هؤلاء « الأنبياء » فهم ، كما قلنا عند الكلام عليهم ، طبقة تستأجر للدعايـة السياسية ، او ما هو بمعنى بعض الصحف في أيامنا هذه. فهؤلاء هم « عملاء » لمن يستأجرهم ، والمستأجِر هنا هو نحميا. واما استناد هذه الدعاية الى ان اليهود سيرون ملكاً جديداً ، ففيه غرضان : اولاً هو هــذا الذي يقوله جشم ، والآخر، تحريك مطامع اليهود ، وهم في شدق الأزمة الخانقـــة ، واشمال نوازعهم . ومن هنا نبتت الملاحم اليهودية الاسطورية ، وزادت وضخمت في عصر المكابيين بعد قرنين من الزمن ومن هذا نبت التلمود .

* * *

وكثرت المخاوف على نحميا ، وقد أبى الاجتماع في « اونو » والآن يحدثنا عن أمر آخر يتعلق بهذا. فيقول انه ذهب الى بيت شمعيا بن دلايا بن مهطبئيل احد الانبياء ، فوجد الباب مقفلاً ، فأجابه شمعيا بأن يجتمعا معـــاً داخل الهيكل وتغلق الأبواب لأن القوم آتون لقتله في تلك الليلة ، فلم يقبل نحميا الالتجاء الى الهيكل ، ثم هو يقول انه تحقق بعدئذ ان شمعيا لما تنبأ بما تنبأ به من مقتله ، انما فعل ذلك اذ كان مستأجراً من قبل طوبيا وسنبلط . ولا يذكر نحميا هنا ان جشم من مستأجري شمعيا . وهناك « نبية » اسمهـــا « نوعادية » فعلت مثل شمعيا ايضاً ، وقال نحميا انها مستأجرة ، كشمعيا . وهنا في هــذا الموطن ، لا نرى شمعيا ونوعادية إلا ناصحين لنحميا . فالمدة التي قضاها نحميا في الترميم والبناء هي ٥٢ يوماً ، كانت كلها رعباً على اليهود في اورشليم . ويصف نحميـــا نفسه كيف اشتدت به الأزمة بين الضيق الاقتصادي ، وعلق الربا ، والمخـــاوف من السامرة وغيرها، حتى اضطر الى جعل فريقٍ يبنون وفريقٍ على السلاح والحراس في كل مكان .

* * *

وبقوة خفية منسابة من البلاط الفارسي ، كالقوة التي كانت تنساب الى فلسطين من لندن أيام الانتداب، تمّ بناء السور في وسط هذه المخاوف المستمرة.

يقول نحميا انه فرغ من بناء السور في ٢٥ ايلول وفي ٥٢ يوماً وقد مرّ هذا في ترجمته (نحميا الفصل ٦) .

وكانت صفة نحميا الاخرى انه « الوالي » وهو بالفارسية « الترشاتا » ، وهذا يشبه « المندوب السامي » بمصطلح الانتداب .

وذكرنا في ترجمة نحميا اموراً اخرى ، تغنينا عن تكرارها هنا .

* * *

ومرة اخرى عاد الهيكل والسور، فخربا .

الى ما شاء الله .

١٠ ـ الفرق اليهودية

١ - الصدّوقيون
٢ - الفرّيسيون
٣ - الأسينيّون او المغتسلون
٤ - الهيروديون
٥ - الجليليون

قبيل العهد المسيحي وبعده

مر بنا في الكلام على عزرا ما يتعلق بالشريعة الشفوية الى جانب الشريعة المكتوبة من موسى ، وصورة ذلك : تلقى موسى التوراة في سيناء فاعطاها الى يشوع ، ويشوع اعطاها الى « الشيوخ » (هم المعروفون « بالقضاة » وعصرهم بعد يشوع الى قيام الملكية في القرن الحادي عشر ق.م. ، وهم خمسة عشر قاضياً آخرهم صموئيل الذي هو أسّس الملكية مبتدئاً بشاول) والشيوخ اعطوها الى « الأنبياء » .

الانبياء بدأوا يظهرون في ايام الملكية ولعلّ اقدمهم ايليـــا (الياس) وعاموس ، ثم راحوا يتلون بعضهم بعضاً ، او يتعاصر اثنان او ثلاثة منهم في وقت واحد ، من كبارهم وصغارهم ، وتقع فترات ، لا نبي فيها ولا نبوة ويمتد عهد الانبياء الى ايام السبي البابلي ، وهذه مدة نحو خمسة قرون ، فعهد « القضاة » غير عهد الانبياء ، الاول قبل الملكية ، والآخر بعد الملكية ، والانبياء اعطوا التوراة الشفوية الى رجال الكنيس بعد خراب الهيكل الاول في القرن السادس ق.م. واصل منشأ الكنيس وواضع اسمه عزرا ، وقد سبق الكلام الوافي على عزرا .

وبذور التلمود كانت ، كما رأينا على يد عزرا ورفقائه في مدة السبي الثاني او السبي البابلي . والمشكلة في تاريخ اليهود ان هناك بعد عزرا مدة حوالي قرنين ونصف قرن ، غامضة ، مغلفة بالضباب ، وحقائقها المحسوسة تبدو هنا على شيء من الظهور ، وتبدو هناك مستخفية ،مبعثرة في دهاليز من العقد . وعلى الجملة فان مدة الغموض هذه تكاد تنتقل بدارس تاريخ اليهود من عهد عزرا ونحميا ، الى عهد المكابيين توّاً ، القرن الثاني والاول قبل الميلاد .

وبعد عزرا نرى ما يسمّونه « السوفريم » ، وهذه اللفظة هي في ترجمة التوراة العربية « الكتبة » واول من لُقب بالكاتب هو عزرا ، فقيل عزرا الكاتب كما قيل عزرا الكاهن . وصار هؤلاء المعروفون بالكتبة ، طبقةً متميّزة ، يضمّون « العلماء » المفسّرين للشريعة ، وهم يزعمون عن طريق وصفهم والاشارة الى غايتهم ، انهم يطلبون « الروية في الحكم ، وتكثير عدد التلامذة والتابعين ، واقامة السياج حول التوراة » . وقالوا : امّا الرويّة في الحكم ، فلكي يؤمن الاخذ من ينبوع التوراة ، وامّا تكثير سواد التلاميذ فلكي يكون منهم خَلَفٌ بعد سلف يتابعون حَمْل التوراة ، وامّا اقامة السياج حول التوراة ، فمعناه العمل باحكامها .

وبعبارة موجزة : أن من هذه الهيئة التي قالت بلسانها هذا القول ، انبثق التلمود الذي طار فوق التوراة في الغلوّ كل مطار .

ويختلف كتّاب اليهود اليوم في تعيين آخر عهد هذه الهيئة ، لكن آخر عهدها كان على كل حال بعد ايام عزرا بعدة قرون ، وفي خلال العهد المكابي، ويظهر انهم امتدوا الى ما بعد العهد المسيحي . فالكتبة كانوا في ايام المسيح ، واخبارهم في الانجيل مستفيضة ، وبقوا الى ما بعد ذلك . ويقال لهم في الانجيل « الناموسيون » او « اصحاب الناموس » اي الشريعة ، وكلمة « ناموس » يونانية لا عبرية . وكان هؤلاء الكتبة يحاجّون المسيح بالباطل ، ويدّعون ان لهم وحدهم تفسير الناموس اي الشريعة . واذا كانت كلمة « كاتب » زمن عزرا تعني المفكر غير الناسخ ، فمع الأيام صار معناها ما هو

طبيعيّ ان يكون مفادها : نسخ الكتب المقدسة .

وليس المراد هنا الكلام على ما نشأ من فِرَق يهودية بعد العودة من السبي الى وقت ظهور المسيح ، فذلك خارج عن المقصود من هذا الباب ، انما نريد من القول شيئاً مجملاً يفي بحاجتنا المطلوبة الى مساق الموضوع .

وهذه الفِرَق هي التي كان لها النفوذ ، وتردّد ذكرها في الانجيل ، وكانت بتأثيرها جسراً عبرت من فوقه اشياء الى ما بعد ايام المسيح بزمن طويل .

* * *

١ – **الصدّوقيون** : ولعل نسبتهم هذه هي الى رائدهم الاول « صدوق » او « صادق » . وارجح الاقوال في تعيين وقت ظهور هذه الفرقة ، هو عهد خلفاء الاسكندر ، وكان اليهود قد أمسوا تحت حكم بطالسة مصر تارةً ، والسلوقيين في سوريا طوراً ، وذاق اليهود من هؤلاء جميعاً العذاب الذي يستحقون . ومما يلفت النظر من امر هذه الفرقة ، اتجاهاتها وعقائدها ، وهي مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة ومن العنصر اليهودي الذي يميل الى مسالمة الرومان :

١ً – الصدّوقيون يرفضون كل ما يأتي به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحي المدوّن في اسفار التوراة . ولهم في مجلس السنهدرين ممثّلون اقلّ من عشرين عضواً (من أصل ٧٠ عضواً) .

٢ً – هم يقتصرون من التوراة على اسفار موسى الخمسة . وهم في هذه الناحية يقفون مع « السامريين » على صعيد واحد ، اذ كلاهما لا يقبل من التوارة الا الاسفار الموسوية الخمسة ، لا غير .

٣ً – هم ينكرون البعث والنشور والقيامة . وقالوا انما هي الحياة الدنيا وكفى . وخلود النفس امسى عندهم باطلاً . ولا يعتقدون بالملائكة . وقالوا ان الانسان خالق لعمله باختياره . وفي تحليل معتقداتهم هذه ، يتضح انهم

بنوا شيئاً كثيراً من ذلك على فلسفة ابيقور اليوناني الذي جعل اللذة رأس النعيم للانسان وقاعدة الاخلاق ، ثم تطوّحت هـــذه الفلسفة حتى دخلت الشهوات البدنية في المسألة . والصدّوقيون ادركهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور في القرن الاول بعد المسيح . وهم كانوا قلة في العدد ، لكن كانت لهم الثروة المادية واليسر ، والبروز في المجتمع . ومن الصدّوقيين بعد تسعة قرون تقريباً،نبلت فرقة القرّائين في بغداد العباسية، والقرّاؤون لا يقولون بالتلمود. ومنهم في « اسرائيل » اليوم – الجزء المحتل من فلسطين - جماعة اشتهرت بالتزمّت حول الطقوس والسبت ، ومن وقت الى آخر تنقـــل الصحف من اخبارهم ما به زيادة كشف عن أمورهم السياسية والاعتقادية .

(٢) **الفرّيسيّون** : هم يناقضون الصدّوقيين ، ولهم الكثرة في العدد وفي مقاعد السنهدرين ، وجمهرة العلماء من سوادهم ، ومعظم « الكتبة » ينتمون اليهم . يقبلون بالاضافة الى التوراة ، الاشياء الخارجـة عن الوحي ، ولذلك غزرت عندهم الاساطير . يتباهون بانهم حفظه شريعـــة موسى ، وغالوا في ذلك تقيداً وتزمتاً ، حتى انغمسوا في المظاهر الكاذبـــة في السلوك اليومي وقيامهم وقعودهم وكل ما يصنعون. فالقشور استغرقتهم حتى اعمت بصائرهم. وهؤلاء هم الذين عانى من امرهم السيد المسيح ما عانى ، وخبره معهم مفصل في الاناجيل ، فوصفهم بالمرائين وكـرّر ذلك فيهم . وشبههم بالقبور المكلّسة من خارج . لكن معاناته من الصدّوقيين لم تكن أقل مما عانى من هؤلاء.

واسم «الفرّيسيين» يدل على طبيعة امرهم وعقائدهم ، فهم لمغالاتهـــم في كواذب المظاهر ، جعلوا أنفسهم كأنهم جماعه مفروزة عن عامـــة الجمهور اليهودي او الشعب . وجذر الكلمة «فرز» بالعربية ومن شاء الاستزادة من اخبار هاتين الفرقتين ، ثم جماعة «المشّارين» في حياة السيد المسيح ، فليقرأ الانجيل . فان بولس الرسول كان من فرقة الفرّيسين قبل ان يشرق عليه الايمان المسيحي .

* * *

وهناك فِرَقٌ اخرى تأتي في المنزلة والشأن بعد الفرقتين المذكورتين .

٣ – **الأسينيون** او «المغتسلون»،وقد اجملنا خبرهم في موضع آخر من هذا الكتاب ، هم فرقة يهودية لا تصطف مع الفرقتين المذكورتين ، اعتزلت المدن واقام اتباعها رجالاً لا نساء بينهم ، قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور ، ومحاجىء الصخور ، واتخذوا لهم نظاماً نسكياً خاصاً دقيقاً ، قائماً على الصرامة والطاعة . كانوا بضعة آلاف وانقرضوا في القرن الاول المسيحي ، وقت تدمير الرومان للقدس . ومن الخصائص في نظامهم انهم يرفضون القَسَم وتقديم الذبائح والقرابين.وقد ذكرهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاصرهم. ويقال انه اقام بينهم وعاشرهم ثم فارقهم وكان لهم صبغة اشتراكية .

٤ – **الهيرودّيون** : نسبة الى هيرودوس ملك اليهود ، ادومي الاصل لا يهودي وقد اجملنا ما يتعلق بأمره في موضوع سابق ما به الكفاية . وكانت روما هي التي تعيّن الحاكم ، ولذلك نقم عليه اليهود رغم ما صنعه لمراضاتهم من بناء الهيكل بناءً فخماً جاوز فيه الغاية وهو يتقنه ويحسّنه مدة اكثر من اربعين سنة . وهيرودوس «نصف عربي» بدمه من جهة العرق الادومي ، وامه سيدة من عرب الانباط . والهيروديّون كانوا فرقة سياسية لا دينيةتمثل الاتجاه الروماني وتيّار «الاندماج» ، اي على النقيض مما دعا اليه عزرا ونحميا بعيد الرجوع من السبي . وفي عهد هيرودوس ظهر السيد المسيح. والفريسيون كانوا على خصومة مع الهيروديين . و «الهيروديون» لو التقوا اليوم « حكماء صهيون » لنابذوهم

٥ – **الجليليون**:هم اتباعرجل اسمه يهوذا الجليلي (نسبة الى منطقة الجليل) احدث فتنةً في ايام اجراء الاحصاء للمواليد المسمّى في الانجيل «بالاكتتاب» وتبعه قوم وصار ينادي ان ليس لليهود ملك الاّ الله .

* * *

(انتهى الجزء الثالث)

عجاج نويهض

بروتوكولات حكماء صهيون

PROTOCOLS OF THE LEARNED ELDERS OF ZION

الجزء الرابع

يبحث في منشأ السنهدرين قبيل العهد المسيحي ، و منشأ التلمود بينابيعه الخيالية وانه شريعة موسى الشفوية غير المدوَّنة ويقدّم نماذج من اقواله في المسيحية وفي ان البشر ما عدا اليهود بَذْرٌ حيواني ويكشف الغطاء عن «القبالة» الرهيبة و«القهال» و«النحمانية» و«الميمونية» وكتاب« الاشراق » ـ او « الزوهر » ـ ويقدّم تراجم يوسف منده ، ومونتفيوري ، ودزرائيلي ؛ ويختتم بوصف موجز لحركة نقل « الكتاب المقدس » الى العربية في بيروت في القرن الماضي

١ ـ مجمع السنهدرين ينبوع التلمود

« السنهدرين » [١] بمعناه العام ، هو « السينودس » او المجمع الديني الاعلى عند اليهود ، او هو ما يشبه السينودس في المجامع المسيحية . والـكلام عليه يحتــاج الى زيادة تبصرة ووعي من القارىء العربي اليوم ، لِمَا للسنهدرين من بالغ الخطورة الخفية في امر « حكماء صهيون » في ايامنا هذه ، بل يصح ان تكون لفظة « حكماء صهيون » و « السنهدرين » مترادفتين لمدلول واحد .

اصل الفكرة وظلالها ، واشواقها ، بنبضها الروحي الاول كل هذا يعود الى عزرا ونحميا . لكن ظهور السنهدرين باسمٍ اصلـُهُ يوناني ، كان في اثناء الحروب المكابية ، او قبيلهــا ، واليهود كما قلنا بين شقي الرحى: البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا . ومرّ بنا ان من عادة اليهود انهم عندما تشتد بهم النكبات والجوائح ، وتعمل على محوهم او استئصالهم ، يجنحون بكل قواهم الى الاعتضاد بروح الملاحم لتقوية الروح المعنوية في سوادهم ورجالهم ، فتنبع عندهم الاساطير والغرائب وتحشى بالأقاصيص، ويخلقون لها الصور والاشباح. وبعد رجوعهم من السبي اشتدت فيهم هذه النزعة دوراً بعد دور ، ولا سيما في اثناء الحروب المكابية . كما اشتدت امورهم بين ان تدور على ظاهر وباطن، وبادٍ وخفيّ ، ومعلن ومستور ، لكي يتقوا عدوهم المحيط بهـــم ، وعدوهم لا ينتهي ، اذ هم بشكاستهم لا ينتهون .

---

(١) وتلفظ « السنهدريم » و « السنحدرين » وأصل الكلمة يوناني بمعنى المقعد او المجلس ، ولمــا كان هذا « السنود » او المجمع الاعلى قد ظهر في ايام خلفاء الاسكندر ، البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا ، فقد هوّد اليهود التلفـّظ بهذا الاسم حتى بات يلوح كأن اصل الكلمة عبري وليس الامر كذلك .

وانمـا نشير الى هذه الحقيقة في هذا الموضع ، لأن السنهدرين كان من اول امره مطويـاً على هذه الصفة الخادعة وأمره حير الرومان ، وهـذا « السنهدرين » هو الذي حاكم السيد المسيح ، المحاكمة المبسوطة في الانجيل . والمعلوم ان السنهدرين في بيت المقدس الغي سنة ٥٧ ق.م. كما ذكر هذا مؤرخهم يوسيفوس ، إذ اراد الرومان إزالته وتصفية آثاره ، لكن هـذا المجمع تمكن بعد ذلك من ان يستمر بكيانه ووجوده استمراراً خفياً ، واذا كان له رسم ظاهر للعيان ، فذلك مما يجوز احتماله في نظر الرومان لتجرد الهيئة في الظاهر من المعاني السياسية ، بينما المعاني السياسية هي لب اللباب في السنهدرين بقيت قابعةً مستمرّة. ومن السنهدرين انطلقت التيّارات العجيبة، وبذور المنظمات السرية الـتي تطلع على اوصافها في « بروتوكولات حكماء صهيون » .

* * *

هذا هو معنى السنهدرين امس واليوم . بالأمس هو المجمع الديني الأكبر ، والسياسة في باطنه تدبّ في اوكارهـا واعشاشها ، دبّاً خفياً ، واليوم هو نفسه لم يتغير منه شيء ، فأمـا الناحية الدينية فليس يهمنا هنا امرها سوى كونها آلة السياسة ، وأما الناحية الخطيرة فهي الحقيقة السياسية : هو معقد الرابطة اليهودية في العـالم أجمع ، هو الرابط الخفيّ الذي يسيطر على « البروتوكولات » وتنفيذها . « السنهدرين » معناه اليوم امتداداً من القرون الماضية ، ولا سيّما من القرن السابع عشر ، عند الكتّاب والمعلّقين السياسيين الباحثين في شؤون اليهود ، الهيئة اليهودية السرية العليا ، لا يعلم اين مكانها ، ولا من هم رجالها ، ونوجز امره اليوم بما يلي :

١ – الكتّاب اليهود ، يحاولون ان يجعلوا بدايـة وجود السنهدرين على الاقل بعد الرجوع من السبي ، ومنهم من يعين البداية في خلال السبي . وهناك هيئتان باتتا بارزتين بعد الرجوع من السبي : نظـام الهيئة العليا عند اليهود – اي السنهدرين – ونظـام الكنيس ، وهذا يعزى اساسه كله الى عزرا

ونحميا . اما الكنيس فبروزه ظاهر ، واما السنهدرين ، فيظهر ويتوارى ، يضعف ثم يقوى ، ومن السنهدرين خرجت بذور التلمود ، ثم « القبالة »

٢ – يقول أ. كوهين صاحب كتاب « التلمود لكل مريد » ، ان بعد السبي ظهر الكتبة ، وقد مرّ وصفهم ، ثم السنهدرين ، وكوهين هذا يعرّف السنهدرين ، بقوله : « هو هيئة اخرى عُهِد اليها في رعاية شؤون اليهود في بلاد « اليهودية » »[١] . ويقول كوهين أيضاً انه قد تعاقب على رياسة هذا المجمع خمسة ازواج من الرؤساء ، اذ كانت الرياسة تعطى لاثنين اثنين ، لا لواحد واحد ، والاثنان يعملان معاً ، وآخر رياسة لهلّيل وشمّاي ، وهذان كانا في عصر السيد المسيح ، ومن هذا يستنتج ان السنهدرين لم يعش في بيت المقدس اكثر من قرن . ونقول ان مراد المؤلف كوهين بهذا هو الكيان المعترف به من الرومان ، ثم بعد ذلك اتّشح الخفاء .

٣ – وكان يقال لاحد الاثنين في الرياسة «ناسي » بمعنى « رئيس » ويقال لندّه الآخر « اب بيت دين » ، اي رئيس المحكمة ، والاول له حق التقدم والصدارة. واما اطلاق هذا اللقب «ناسي» على كبراء آخرين من اليهود بعد انقضاء امر السنهدرين في بيت المقدس ، فقد حصر ذلك في عدد قليل[٢] . ثم يقول كوهين في امر السنهدرين : « لكن الدراسة التاريخية الحديثة تقول ان السنهدرين هيئة مؤلفة من الكهنة والعلمانيين ، ثم انقسم المجمع على نفسه في

---

(١) اليهودية هنا معناها جغرافي ، المنطقة المحيطة بالقدس وهذا هو اسمها زمن السيد المسيح .

(٢) من هؤلاء العظماء عند اليهود الذين نالوا لقب « ناسي » اي الرئيس ، « يوسف منده » وقد برز في السياسة العثمانية في القرن السادس عشر وكان عنصراً مهماً في النزاع الدموي على العرش بين سليم وبايزيد ابني سليمان ، ويوسف هذا اصله من يهود البرتقال ، ولما طُرد اليهود من اسبانيا جاء الى السلطان وتقرب منه ونال حظوته ، ومثّل يوسف ادواره تمثيلاً عجيباً ، ظاهره النصح للسلطان ، وباطنه تأريث نار الحرب بينه وبين من يريد يوسف الانتقام منهم بسبب الطرد من اسبانيا . وقصة « يوسف ناسي » هذا تعطينا اوضح نموذج من التصلب الخفي بالروح اليهودية ، وهو كان يرمي في كل خدماته للسلطان واحد اولاده ، ان تعطى له فلسطين لينقل اليها اليهود المطرودين من اسبانيا . ومن اجل كشف الغطاء عن هذا النموذج ، فقد جمعنا ليوسف منده ترجمة وافية هي الفصل الحادي عشر من هذا الجزء الرابع .

الرأي فصار قائماً على حزبين . اما الكهنة فذهبوا مذهباً فيه مسايرة الفكر الهيليني ، ولو كان ذلك على حساب الاخلاص التام للتوراة . واما العلمانيون فذهبوا مذهباً يناقض مذهب الكتبة ، وهؤلاء من نسل عزرا الكاتب ، وتمسكوا بالتوراة اي تمسّك ، وكان زعماؤهم الربيّون هم الذين عرفوا « بالاحامس » (المغالين المتعصبين) غير ان هذا الانقسام ارتفع من بينهم لمّا وقعت الثورة المكابية ، ولما انتهت الثورة عادوا الى الانقسام انقساماً اشدّ واحدّ ، ولا سيما لما جلس يوحنا هركانوس [1] المكابي (١٣٥ – ١٠٥ق م.) ملكاً .

٤ – هذا الانقسام ظل يطّرد ويتسع حتى أدى بالتالي الى ظهور الحزبين اليهوديين الكبيرين وهما الصدوقيون والفريسيون . والفريسيون مع العشّارين هم الذين قاوموا المسيح وورد ذكرهم في الأناجيل . ثم يقول كوهين في صدد هذين الحزبين : « ومن جملة الفروق بينهما فرق كان له شأن خطير في تاريخ اليهودية : قدم الفريسيون الى الشعب اوامر واحكاماً ونواهي توارثوها عن اسلافهم ، لكنها ليست مكتوبة ولا مدوّنة في شريعة موسى . فرفض الصدوقيون ذلك وقالوا : ما واجب علينا ان نراعي إلا ما ورد في النص المدوّن ، ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة من الآباء والأجداد. فكان هذا مثار خلاف شديد بين الفريقين. (راجع الفصل العاشر من الجزء الثالث حيث تناولنا الكلام بايجاز على الفرق اليهودية) .

٥ – وتابع كوهين كلامه فقال: «وهذا النزاع حول صحة التوراة الشفوية، حمل المدافعين عن ذلك على ان يدرسوها ثانيةً دراسة مدققة . فوجدوا ان التوراة السماعية الشفوية كانت جزءاً متمماً للتوراة المكتوبة ، فهما من مخرج

---

(١) توالى على الحركة المكابية ١٢ رجلاً ، خمسة زعماء غير « ملوك » ، لقّبهم اليهود « بالأحبار » ، وسبعة لقبوا أنفسهم بالملوك ، وهركانوس هذا هو آخر الزعماء ، ثم بعده الملوك الذين انتهى امرهم سنة ٣٧ ق.م. وأولهم جميعاً متاتياس والباقون اولاده واحفاده . والمدة كلها للعهد المكابي (١٦٧ – ٣٧ ق.م. أي ١٣٠ سنة) . ويقال للمكابيين « آل حشموناي »

واحـــد . ومن هذا الصراع الآن فتح الباب على مصراعيه أمام التلمـــود ليظهر وينمو » .

٦ – هذا الكلام الذي يقوله أ. كوهين في الفقرة السابقة جد واضح في بابه . فالفريسيون الذين لم يعجبهم إلا غلوّهم في أخيلتهم ، لم يذعنوا حتى للمسيح وهو يحاجّهم بالحسنى ، لما جاء المسيح بعد مدة . وهنا مسألة : اذا كان هذا كله قد وقع قبل ظهور المسيح، فلماذا لم يرد ذكر التلمود في الأناجيل وفي كتب العهد الجـــديد ؟ ان التلمود اذا كانت بذوره الاولى كانت هنا ، ومناخه الروحي من ايام السبي ، فتكامله المبني على شريعة شفوية متناقلة من عهد موسى ، كما زعم الفريسيون ، لم يتم في نوبة واحدة او قرن واحد ، بل اقتضى ذلك خمسة قرون او ستة كما سنرى . وبعد خراب بيت المقدس سنة ٧٠ب.م. انتقل علماء اليهود الاحبار من الفريسيين الى «يبنة» او «يَبْنا» (قرية قرب يافا) ثم الى طبرية ثم الى العراق . كل هذا وهم يتابعون العمل ويتوسعون – سيأتي تفصيل ذلك عما قريب في البحث التالي – ويبنون على الروايات الشفوية . فلما كانوا لم يزالوا في الطريق في اول عهد المسيحية ، لم تكن كلمة تلمود قد أخذت استقرارها بعد ، لذلك لم يرد ذكره لا في الحوار بين المسيح والفريسيين ولا في الأناجيل فيما بعد . وفضلاً عن هذا ، فقد كان شأنه يتعلق بفريق من اليهـــود لا بهم جميعاً ، وكان الحوار يدور حول « الناموس » و « الأنبياء » ، او ما يعبر عنه كله بالشريعة « الموسوية » .

ويسأل ايضاً : إذاً ، ينتظر ان يكون قد ورد ذكر التلمود في القرآن الكريم او الحديث الشريف ، والرسالة الاسلامية متأخرة عن أختها المسيحية بضعة قرون . وهنا ايضاً لا ذكر للتلمود في الاناجيل ولا في القرآن الكريم ولا الأحاديث النبويـــة ، فنقول ان اليهود اعتبروا التلمـود كتابهم الجامع للتوراة الشفوية ، والتوراة الشفوية كانوا حريصين على الاستئثار بها لأنفسهم ، لا يطلعون منها الى غيرهم إلا ما يرون فيه مؤيداً لخيالهم او نزعتهم . ولعلهم كانوا اذا تعاطوا التلمود تعلما وتعليمـــاً ، لم ينشروه في

الايدي نشر التوراة ، ومنشأ التلمود ومنشأ الكتب الدينية «الابوكريفا» متقارب ومعنى الابوكريفا الكتب المخفية او المستورة ، وهي لا شيء فيها يوجب الستر والتخفية وان كانت غير مصدقة كلها من حيث محتواها ، وغير مأخوذ بها عند جميع المسيحيين في ذلك الوقت واليوم . اذاً ، لم يكن التلمود وقت الرسالة الاسلامية في أوائل القرن السابع الميلادي ، شيئاً يريد اليهود نشره وهم ما كانوا يطلعون احداً من غير اليهود على التلمود الا ما يتناقلون من أقاصيصه واساطيره شفوياً وأما تكامله بالجمع والوضع والشرح والتبويب فذلك لم ينجز حقاً الا قبيل العهد الاسلامي .

وكلمة «تلمود» معناها «التعليم» وهذه الكلمة لم تقرر الا بعد ان سبقها كلمتان كانتا الاساس لكلمة « تلمود » . وهاتان الكلمتان هما « المشْنَا » و«الجمَّارا» ومتعلّق المشنا الشريعة الشفوية المتوارثة من موسى ، و «الجمَّارا» شرح للمشنا . فكان يقال اولا « تعليم مشنا» ، اي تعليم التوراة الشفوية ، هذا هو العمل الاول ، فلما احتاجوا بعد هذا الى شرح المشنا كانت الجمَّارا ، او التكملة فكان هذا العمل الثاني ، وبعدئذٍ اطلقوا على مجموع الاثنين« المشنا» والجمارا ، من جهة التعليم ، كلمة «تلمود توراة» اي تعليم التوراة ، ثم اجتزأوا بكلمة تلمود ، فاستقر هذا الاسم ولم يتغير بعد . هذا ما استطعنا جمعه من التفصيل من مصادره ، في الكشف عن اصل منشأ الكلمة ، ولعل القارىء العربي لهذا الكتاب يتلقى هذا التفصيل بالوعي اذ لهذا الأمر التلمودي من النتائج الخطيرة ، شيء كثير .

* * *

واليك اموراً اخرى لنتمم الكلام على ان السنهدرين منبع التلمود ، وان بذور التلمود الاولى ومناخه الروحي الاول ، كل ذلك يعود الى زمن عزرا ونحميا ، كما تقدم القول غير مرة .

قال كوهين المؤلف لكتاب « التلمود لكل مريد» ، ان يوسيفوس المؤرخ

اليهودي المشهور ، ذكر ان الوالي الروماني على سوريا غابينوس ، الغى اوضاع اليهود سنة ٥٧ ق م. ثم قسم البلاد الى خمس مناطق ، واقام في كل منطقة هيئة سنهدرينية محلية صغيرة ، واورشليم كانت العاصمة لولايتها، وهنا الهيئة السنهدرينية تعتبر الاولى . وفي التلمود «السنهدرين الاعلى» وهذا تمييزاً للاعلى عن الهيئات المحلية .

ويستفاد من كلام كوهين ان هيئة السنهدرين « لتزمّتها الشديد » كانت تجلس في بهو بناؤه من حجر، والحجارة أُتي بها من مقالع لم يعمل فيها ازميل حديد . ويذكر كوهين وهو يريد اضفاء هالة من الاشراق على الاوضاع اليهودية ، ان كان هناك ايضاً سنهدرين سياسي وكانوا يجتمعون في مبنى الهيكل ، ثم يقول : « وجميع المراجع التي تشير الى السنهدرين تعطينا تفصيلاً كافياً عن صلاحياته والمكانة التي كانت له، وصلاحياته كانت تضيق وتتسع من وقت الى آخر حسب مراد الرومان . من جملة ذلك ما صنعه غابينوس من قسمة البلاد الى خمس مناطق،وهذه الصلاحيات كانت تافهة في عهد هيرودوس وارخيلوس ، لكنها اتسعت بعد موتهما ، وصار مقود الحكومة بايدي السنهدرين ، تقريباً .

* * *

ونقول : القارىء العربي يجد هنا نقطتين مهمتين ، الاولى ان المؤلف كوهين ، وكتابه محيط بموضوعه ، يصرح بان كان هناك سنهدرين سياسي ، وهذا ما عنينا بان نؤكده للقارىء ، والناحية السياسية هذه في السنهدرين هي الخفيّة لا الظاهرة ، ولم تكن لتعمل جهاراً قط ، اذ لو عملت لضربها الرومان لان غاية السنهدرين ، كما يطلب اليهود ، المحافظة على الشريعة الموسوية ، والرومان وسّعوا عليهم في هذا ولم يبخلوا عليهم بشيء ، لكن ان يعمل السنهدرين في السياسة خفيةً ، فهذا هو التنزّي الصريح على السلطة

(١٠)

الرومانية . واذا كان السنهدرين هذه صفته ايام الرومان في بيت المقدس، فما احرى ان تظل هذه الصفة ملازمة له ، بعد ان تشتت اليهود في العالم بعد تخريب القدس سنة ٧٠ ب م. وهم يرون ان لا حياة لهم وهم شتات في الشعوب والامم ، الا بالتمسك باليهودية ، والتمسك باليهودية هو التمسك بالسنهدرين . والسنهدرين معناه اليوم، كما قلنا، عند الكتّاب المعنيين بشؤون اليهود ، الهيئة السرية السياسية الخفية ، لكن غلب تعبير « حكماء صهيون » بعد ظهور البروتوكولات منذ ما يقرب من سبعين سنة .

والنقطة الاخرى الجديرة بالملاحظة من قول كوهين هي ان صلاحيات السنهدرين كانت ضعيفة او ضيقة في عهد هيرودوس وارخيلوس ، ثم اتسعت بعد موتهما . والمراد قوله من ناحيتنا في هذا الموضع ان اوضاع اليهود من الآن الى تخريب بيت المقدس ، لم تبرح كاوية ً لليهود وهي مدة تقرب من سبعين سنة . ومعنى ان نطاق صلاحيات السنهدرين قد ضاق، ان بطشات الرومان باليهود اخذت تزداد ، وهذا معناه من الناحية الاخرى اليهودية ، ازدياد النشاط السياسي الخفي ّ داخل اجهزة السنهدرين . وبالتالي طفح الكيل فدمر الرومان اورشليم تدميراً شراً من تدمير نبوخذناصر قبل نحو ستة قرون . ولما حاكم السنهدرين المسيح كان نفوذه عاتياً .

وهيرودس الكبير مات في السنة الاولى للميلاد .

* * *

وتناول كوهين ما كان للسنهدرين من صلاحيات في الامور الجزائية او العقوبات ، فقال : « كان المجمع – السنهدرين – يطبق قانون الجزاء والعقوبات وله سلطة نافذة على الشرطة ، ومن هنا سلطته في القاء القبض والسجن . وكان ينظر في القضايا التي عقابها دون الاعدام « اذ بقيت السلطة التي تقضي بالموت او الاعدام بيد الرومان» . ثم يقول كوهين : « اما سيسيل جون كادو ، مؤلف « حياة المسيح » ١٩٤٨ فقال في ص ٢٣ « كان السنهدرين يتألف من نحو ٧٠ عضواً – من الكهنة والكتبة ، وفي الحكم الروماني لم يكن للسنهدرين

سلطة الحكم بالاعدام . ومعلوماتنا قليلة عن كيفية تأليفه وتعيين اعضائه . ومع انه قد وضعت له في الازمنة اللاحقة انظمة مفصلة ، تبين وتحدد عمله ، ونطاق ادارته ، ففي زمن المسيح كان كل هذا غامضاً ، وكان الاحامس هم الجناح الايسر اليساري من الفريسيين ، وهؤلاء الاحامس دائماً مستعدون للثورة ضد روما ، متهيئون لسفك الدماء » .

وقلنا ان وقت صلب السيد المسيح كان السنهدرين موجوداً ، واسمه في الانجيل « المجمع » ، او مجمع الكهنة والكتبة ، ورئيساه بالازدواج هما قيافا وحنانيا ، وهما أثارا الجمهور بواسطة اولئك « الاحامس » - الغوغاء — وهؤلاء اشبه بعصابات في المدينة . ولم يكن من صلاحيات السنهدرين الحكم بالقتل كما سبق ايضاحه ، لذلك كانوا يلحّون على الوالي بيلاطس البنطي بان يسلمهم المسيح ليقتلوه ، فالتسليم هو الموافقة على القتل ، وكأنه حكم بالقتل وهم تولوا التنفيذ . والتفاصيل المتعلقة بصلب السيد المسيح تعطينا صورة مصغرة للخلق اليهودي السنهدريني ، هو الخلق الذي تراه في كل قضية على المحك ، خلقاً يهودياً انانياً يدور على محوره ، لا يتغير بجوهره ، وان تغير بعرضه . وهذا كله اجتمع بالتلمود ، وأخذ التلمود يسير في الخفاء ، ولم يُلقِ عصا التسيار بعد ، وانما تهيأ للوثوب « بالبروتوكولات » .

* * *

حسب التقليد اليهودي ، ان اول سنهدرين كان في عهد موسى ، وهم السبعون رجلاً الذين دعاهم موسى ليعملوا معه لتسكين بني اسرائيل لمّا قاموا يتذمرون ويطلبون العودة الى مصر حيث « قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً ، والقثاء والبطيخ والكرّاث والثوم والبصل » — (سفر العدد ١١ : ٤–٢٩) وبنى التلمود و « القبّاليون » عقائد دينية على الارقام منها عدد (٧٠) هذا . فالذين ترجموا التوراة من علماء اليهود في الاسكندرية « الترجمة السبعينية » كانوا ٧٠ عالماً ، ولا عبرة بأن زاد العدد اثنين ، اذ الزيادة لها معناها في التأويل عند اليهود . ولما جاء السنهدرين ، ومجيئه كان

بعد انجاز الترجمة السبعينية ، جعلوا عدد اعضائه (٧٠) والحادي والسبعين جعلوه الرئيس . ومن قَبْل ، لما فرّق الله الامم والشعوب في بابل جعلهم ٧٠ شعباً ولغة،الى غير هذا من ضروب التأويل المصطنع وهذا الفن المتعلق بالارقام انما اتقنه دانيال في العراق وقت السبي ، ومنه هذه البذور كلها ، وهي شيء واسع جداً ، ويكفينا هنا الاشارة الى هذا لتعلقه بغرائب التلمود ، والتلمود نتاج المناخ السنهدريني .

* * *

ان التشتيت الذي فرّق اليهود اوسع تفرقة في العالم ، هو الذي انزله بهم الرومان سنة ٧٠ ب.م ، وأما تخريب نبوخذناصر قبل ستة قرون لم تكن نتيجته سوى بعث الروح اليهودية وقت السبي والاستيقاظ العجيب على يد « انبيائهم » الذين اوجزنا ترجماتهم ، كي لا يفنى اليهود ، وهم سبطان ونصف السبط في بابل العراق ، كما فني اخوانهم الاسباط التسعة ونصف السبط قبل اكثر من قرن بقليل . ومنذ تشتيت الرومان ، والسنهدرين الخفيّ يتبع جماعات اليهود في كل بلاد ، ومنذ الثورة الفرنسية صار لهم سنهدرين عالمي له السلطة العليا على الحركة اليهودية في العالم كله . هم « حكماء صهيون » ودستورهم هو « البروتوكولات » .

(٢) التلمود

« المِشنـا » : هي تفسير شريعة شفوية معزوّة الى موسى

« الجمّارا » : هي شرح المشنا

« التلمود » : هو الاسم الجامع للمشنا والجمّارا معاً

•

قال أ. كوهين في مقدمة كتابه « التلمود لكل مريد » : « ولما جاءت وسائل جديدة لتفسير التوراة ، وامست دراستها وتفسيرها امراً مختصاً بالعلماء ، سمي هؤلاء « بالتنائيم » ، أي المعلمين ، وسمي عملهم « بالمشنا » . والذي ترك اكبر أثر في هذا الباب هو هليّل . مولده في بابل ، وحسب الرواية السماعية هو من نسل داود عن طريق امه . هاجر الى فلسطين وبقي ٤٠ سنة وهو الحبر الذي لا ينازع . ويمثّل هليّل وجهة نظر الفريسيين . وقال كوهين ان تفسيرات هليّل كانت بحيث تتناسب والحاجات المستجدة مع الايام . ونحن نقول وهذا معناه الاسترسال في التأويل توسعة للتوراة الشفوية . وبقي الصدوقيون في حيزهم منابذين . وقال كوهين : « كان هليّل مؤسس مدرسة التنائيم ، يعاصره ندّه شمّاي ، وهذا انشأ ايضاً مدرسة أخرى ، وخلال العقود السبعة الاولى من القرن الأول المسيحي ، كانت هاتان المدرستان هما السائدتين بتياراتهما على عقول عامة الجمهور اليهودي تحت الظلّ الفرّيسي . ولكن كانت مدرسة هليّل متسامحة في التفسير ، ومدرسة شمّاي متزمتة . وسجل التلمود لا اقل من (٣٠٠) نقطة خلاف

بينهما ، وفي النهاية انتصر مذهب هليّل . وكان هليّل واسع الحفظ عن ظهر قلب على طريقة علماء الشرق ، وهو يعد الجامع الاول لمادة المشنا ، وحفظت اقواله الشفوية وهذا كله اصبح النسخة الاولى للمشنا . ونقول : من كلمات هليّل ، ما كان ينادي به اليهود خارج فلسطين في عصره وهو هذا الشعار : « من لم يساعد نفسه فلا نصير له » . وفي سنة ١٨٨٢ لما انشئت الجمعية اليهودية السرية في روسيا اثر اغتيال الارهابيين اليهود ، للقيصر ، واسمها المجتزأ « بيلو » (مقتطعة من عبارة معناها : هيا يا بيت يعقوب اقبل علينا فنقبل عليك) اذاعت هذه الجمعية منشوراً سرياً خطيراً على يهود العالم تدعوهم فيه للالتفاف حول فروع الجمعية التي مركزها الظاهر الآستانة ، وافتتحت المنشور بعبارة هليّل هذه . وفحوى المنشور « نريد وطناً في بلادنا » اما مركز الجمعية الاكبر فهو القدس كما يذكر المنشور [1] .

* * *

يقول كوهين : « ان الشخصية التي تلي هليل وشماي هي يوحنان بن زكّاي ، اصغر تلاميذ هليل . كان اكبر وعاء علم عند الفريسيين لما دمّر تيطس الهيكل . ولما أيقن بن زكّاي بالهلكة مطبقةً على بني قومه ، نصحهم بالتسليم ، فأبوا ، وهو كان يرى ان بقاء الدين اليهودي أهم من الاستقلال القومي . فلجأ الى وسيلة تحفظ الشعب من الدمار اذا ما انهارت قوة اليهود وُهدم الهيكل . وتقول القصة ان بن زكاي رام ان يصطنع طريقةً تحمل اليهود على الخروج من المدينة ، فاذا خرجوا منها وهي محاصرة صعب عليهم أن يرجعوا ، وعليها الحرس الشرس من اليهود المعبر عنهم « بالاحامس »

---

(١) هذا المنشور خطير في بابه ، اذ هو قبل ظهور كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » باربع عشرة سنة . واما ان بيت المقدس كانت هي المركز الاكبر للجمعية ، فهذا في الخفاء لا في العلن ، الا ان تكون الجمعية قد تمكنت واصطنعت الذل وادعت انها خيرية لاسعاف الفقراء ، وهذا هو اسلوب حكماء صهيون في منظماتهم في البلاد التي لا يعملون فيها الا خفية ، وهذا المنشور ذكره سوكولوف في كتابه « تاريخ الصهيونية » .

(وهم الجناح الأيسر من الفريسيين) ، فذاع في اورشليم ان بن زكاي قد مات. فحمل في نعش ومشوا به الى المقبرة ، وكان عليهم ان يجتازوا بالنعش المزيف ، الابواب التي عليها حرس ، والرجل ليس بميت ، وانما أراد بهذه الطريقة الخـدعة . لكن حيلته اكتشفت على الأبواب . قال كوهين : « ولولا ما له من حرمة لعاجله الحرس بطعنة تخترقه وتتركه هامداً ، لما اكتشفوا انه حي متماوت في التابوت ، وعرفوا قصده . فذهب الى القـائد فسباسيان وطلب منه ان ينتقل هو وقومه اليهود الى قريـة « يبنة او يبنا » قرب يافا ، فسمح له ، فأقام في « يبنا » وأنشأ مدرسة صغيرة لم تلبث ان نمت وصارت مركز التعليم اليهودي الفريسي بعد خراب القدس » . وحلت محل القدس من هذه الناحية ، وأنشىء في « يبنا » سنهدرين صغير وأمست يبنا عاصمة علمية لليهود فترة من الزمن . وبعد يبنا انتقل السنهدرين الى طبريا، وبقي هنالك الى القرن الرابع والخامس ، ثم تفرّق علماؤه فذهب فريق كبير منهم الى العراق ، حيث استأنفوا العمل في اكمال التلمـود فانتهى ذلك في القرن السادس ب.م.

هذا ما قاله كوهين في بن زكّاي . أما قصة ذهاب بن زكاي الى القـائد الروماني فذهب وطلب منه ان يسمح له ولقومه بالخروج من المدينة المحاصرة، فلهدف القصـة تكملة حسنة ذكرها « نفيل باربر » الانكـليزي في كتابه : « Nisi Dominus » ص ٢١ ، وصفوتها ان بن زكاي لما ذهب الى القـائد فسباسيان وهو يمثل الفريسيين ، والقائمون بالثورة على الحكم الروماني هم الفريسيون ، وجندهم هم (الأحامس Zealots) من جناحهم الأيسر ، وبّخه القائد بعبارات حادة ، ومما قال له : « ان ثوّاركم أشبه بالأفاعي التي تختبىء في جحورها ، ولا بد ان تستخرج هذه الأفاعي لتسحق وتداس » . وهـذا على ما يبدو زاد بن زكاي اعتقاداً ان اليهود مأخوذون ، اذ كل محاصر مأخوذ ، مهما يطل ليله . وفي هذا الموضع بيّن نفيل باربر ان ثورة الفريسيين على الحكم الروماني كانت بلا مبرر ، وانما تنزّى اليهود على الرومان بالثورة

لأن السلطة الرومانية ما كانت تطلق للفريسيين الحبل على الغارب ليصنعوا ما يشاءون من تضليل الناس وهم وقتئذ كانوا ، وقد مضى نحو ٦٨ سنة على المسيحية ، يعملون على نشر أساطير التوراه الشفوية المزعوم تلقيها من موسى، لما رأوا ان تعاليم المسيح فد كشفت عن زيفهم في تمسكهم بالقشور من التوراة المكتوبة – الناموس والانبياء – وتلك الاساطير التي كانوا يزعمون انها توراة شفوية ، هي المادة التي نسج منها التلمود بعد قليل . فكأنهم جاءوا بالتلمود وأساطيره مقابل التعاليم التي جاء بها السيد المسيح . فتأمل .

* * *

هذا مرجز الكلام على هؤلاء الثلاثة ، بن هليّل ، وشماي ، وبن زكّاي، حوّلوا الاشواق « الاساطيرية » الى « المشنا » . واليهم يعزى وضع هذا الاساس ، امتداداً بالروح اليهودية من أيام عزرا ونحميا ودانيال .

وتتابع الاجيال : ففي القرن الثاني ب م. ظهر اثنان استأنفا العمل الذي وضع أساسه الثلاثة الأولون . هذان الاثنان هما اسماعيل بن اليشع الذي قتل في ايام الامبراطور هدريان (١١٧–١٣٨) واسماعيل هذا هو مؤسس مدرسة ، وقد توسع في قواعد هليل في التأويل حتى صارت هذه القواعد (١٣) بعد ان كانت (٧) وعدّت كتب اسماعيل بن اليشع من اساس المشنا ، والثاني هو عُقَيبة بن يوسف مات في قتال الرومان سنة ١٣٢ وكانت مهمة عقيبة انه أرسى اصول التأويل والتفسير التلمودي على قواعد . وقال ان ليس هناك حرف واحد من التوراة يعدّ من الحشو أو مما لا معنى له . وجعل يعلّم على هذه الطريقة . وقيل انه استطاع ان يردّ التوراة الى ينابيع في حلقات دورية ، ونظم احكامها حتى انتهى الى زمنه هو . ويقال فيه انه هو مهندس اوضاع المشنا ، الاوضاع التي برزت الى الوجود بعد قرن ، ولولا عمل عقيبة هذا – قالوا – لما كان هناك تلمود .

وكان لعقيبة تلاميذ اقتفوا اثره اهمهم مائير ، ومائير هذا كان عمله انه

اعدّ نسخة من المشنا ، وهذه النسخة ارتضاها يهوذا ناسي اساساً لما تمّ بعد ، وذكر عزرا حداد اليهودي العراقي، وصاحب كتاب «رحلة بنيامين» ص١١٠ ان يهوذا هذا كان يقال له « الرباني الاكبر » وهو سابع رؤساء السنهدرين ، والسنهدرين انتقل من يبنا الى طبرية ، وكان في القدس قبل يبنا كما مر بنا في الكلام عن بن زكاي . عاش يهوذا (١٣٥ – ٢٢٠ ب.م)

* * *

وقد جاء في التلمود المحدث بالاضافة بعد الاضافة الى المشنا ، انه لما مات عقيبة ، ولد يهوذا . ويقول كوهين في ترقيع هـذا القول ان هذا من قبيل التضخم المصادم للتاريخ الواضح ، إذ بين موت عقيبة ومولد يهوذا ٣ سنوات ومولد يهوذا سنة ١٣٥ ومات عقيبة سنة ١٣٢ . وما بدأه عقيبة اتمه يهوذا ، فاذا كان الاول المهندس فالثاني هو الباني . يهوذا هو ابن معلم مشهور، سيمون ابن غملائيل الثاني ، من عائلة غنية ولها جاه طويل . درس اليونانية وكان صديق الرومان ، ولقب ايضاً «بالناسي»وبقي على هذه المنزلة ٥٠ سنة . وهو الذي قام بجمع اشتات المجموعات السابقة ، وانتهت اليه نسخـة عقيبة ، فتم الآن «المشروع الكبير» وهو تدوين التوراة الشفوية فصارت المشنا مقابـل التوراة المكتوبة .

وعلى هذه الصورة، باتت المشنا اساس ما سمي بعدئذ بالتلمود .

* * *

وانك لتدهش حقاً إذ تعلم ان اساس المبـاحث في التلمود كله ، قائم على ستة ابواب فطرية ، بدائية، تدل على مجتمع في ابسط اطواره الاولى، وهذه الابواب هي :

(١) الفلاحة (٢) الاعياد والمواسم (٣) النساء ومـا يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وارث ووصية (٤) النواهي والعقوبات (٥) الذبائـح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسم الهيكـل في ذلك (٦) الطهارة . ثم

اخذت الفروع تمتد من هذه الابواب الستة وتزداد الآراء والشروح جيلا فجيلا حتى رست مواد التلمود في (١٢) مجلداً ضخماً. وهذه الابواب فرّعت على ٦٧ مبحثاً في ٥٢٤ فصلا أو حكماً .

هذا هو التلمود ، لكن لم يجاوز بعد دوره الاول ، وكيف جاءت الزيادات بعد ذلك ؟ اذ عاد يتضخم وينمو ويزيد ، وذلك انهم وجدوا ان المشنا على تفصيلها في الاصل الذي وضعوه ، تحتاج الى الشرح هي نفسها ، وسموا شرح المشنا «الجمّار» وهو بمعنى التكملة. وكما ان العلماء او الاحبار الذين وضعوا اصول المشنا سموا «بالتنائيم» وهذا في فلسطين ، فعلماء «التجمير» سموا «بالامورائيم» وهذا في العراق على نحو ما كان في فلسطين . وكل هذا العمل من وضع المشنا والجمارا ، مما تم في فلسطين والعراق ، كان منه بالتالي تلمودان ، الفلسطيني ، واليهود يسمونه « بالاورشليمي » ، والعراقي ، ويسمونه «بالبابلي» . والتجمير او شرح المشنا لم يتناول التلمودين حتى ولا احدهما بشرح كامل يأتي على كل ابوابه . فالفلسطيني او الاورشليمي مجمّر منه ٣٩ باباً ، والعراقي او البابلي ٣٧ باباً. والمعتمد اليوم عند اليهود بالاكثر هو العراقي ، وذلك بسبب لغته في الدرجة الاولى. ولما أشتد ضغط الرومان على «السنهدرين» في طبرية ، هاجر العلماء المسمون بالامورائيم الى العراق ، واستأنفوا هناك عملهم في التجمير او شرح المشنا ، وحسنت حال اليهود في العراق كأيام سبي نبوخذناصر فجعلوا يساونون بقية زملائهم في طبرية بالمال ، وتمت مرحلة شرح الامورائيم العراقيين اواخر القرن الثالث الميلادي . ولم يقفوا عند هذا الحد ، فانهم أنشأوا المدارس ايضاً ، واهتموا بتعليم التلمود فيها . وذكر عزرا حداد صاحب « رحلة بنيامين » ان من مشاهير العلماء العراقيين الذين عملوا في هاتين الناحيتين ، التجمير وانشاء المدارس ، الحبر ابو اريخا (مات ٢٤٧) والحبر مار صموئيل الفلكي (١٦٥ – ٢٥٧) وكان ختام التلمود البابلي سنة ٤٩٩ م على يد حبر بن آشي ، وهذا مات ٤٢٧م وربينة بن هفاء وهذا مات ٤٩٠ وبهما انتهى دور الامورائيم في العراق ، كما يقول عزرا حداد .

ولم يقف العمل بعد ، فخلف الامورائيم ، طبقة جديـــدة من العلماء عرفوا «بالسبورائيم» اي الشارحين ، وراحوا يعلقون على شرح الامورائيم من سنة ٥٠٠- ٥٥٠ م. وبهذا اختتمت صورة التلمود البابلي ، وما بعد هذا الا اضافات مما يشبه الفتاوى . وما جاءت اواخر الدولة الساسانية الفارسية الا والعذاب يحيط بيهود العراق ، واليوم لا مردخاي ولا استير . فلما جاء الفتح الاسلامي ، رتعوا في نعمه واجترئوا في ظله ، حتى اذا مالت الدولة العباسية الى الضعف انتقلوا الى مصر والاندلس ، وهنا ما لقوا الا النعمة والمقام الطيب. وفي ايام بغداد والقاهرة والاندلس لم يكن لليهود مراكز علمية في اوروبا قط ، وانما بدأ ذلك يكون لهم بعـــد ضعف العرب في الأندلس . وفي الدولتين الفاطمية والايوبيـة في مصر شملت اليهود نعمة ضافية : ابو الفرج يعقوب بن كلّس كان وزير المعز لدين الله الفاطمي ، ومنشا بن ابراهيم وزير العزيز ، وابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي ، وابو سعد التستري ، وموسى بن العازار طبيب المعز ، والرئيس صموئيل بن حنَنَيّة ، والرئيس يحيى شالوم وابو المعالي وصهره ابو عمران بن ميمون ونثانيال بن صموئيـــل وكلا هذين الاخرين كانا طبيبي صلاح الدين .

* * *

وقع هذا في الاصل في نطاق محدود ، لكن الزيادات جعلته ينمو حتى بلغ ١٢ مجلداً . وانتهى العمل التلمودي في القرن السادس الميلادي قبل ظهور الاسلام بقليل . لكن بعد القرن السادس لم تنقطع الزيادات والاضافـات ، وقد أمسى اليهود متفرقين في العالم ، وكل فريق من علمائهم في صقع يضيفون ويعلقون ويشرحون ، وبسبب هذه الكثرة تراكمت احكامه ، وابهمت كلماته ، وقتله النسّاخ قبل اختراع الطباعة بالتحشية ثم ادخال التحشية في متن الكلام فاضطربت حاله وأمسى كناية عن دهاليز ودياميس ، وزوايا ملئت بالخفايا ، والغرائب ، ومـــا يجاوز حدود العقل ، في كثير من المواضيع ، وصارت مغالقه والاقوال المختلفة فيه تحول دون الوصول الى جميع نصوصه ومحتوياته

بيسر وسهولة الا طبقة رجال الدين ، وصار يطلق عليهم في الزمن الحديث اسم «الحاخام» للواحد منهم ، وهي بالعبرية «الحكيم» ، فهؤلاء هم حمـلة التلمود ، واقفون على مكنوناته ، كما يقال .

ولما ثقلت هذه الحال، وجدوا ان الاختلاط والتراكم في نصوصه وشروحه كل هذا قد بلغ حداً جعله مغلقـاً ، فعادوا على يد علمائهم فحاولوا تهذيب محتوياته وتنظيم موارده ومسارده ، وهو خضم واسع ، فجعلوا منه نسخة سميت « بالماسورا » وعلى رأيهم ان ما صنعوه هو خير ما يمكن من الغربلة والتنظيم ، وقد تمّ هذا قبل القرن العاشر الميلادي ، واليهود في المشرق لا يزالون ينعمون بجاهم في ظل الدولة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة والاندلس .

على ان موسى بن ميمون ، الفيلسوف اليهودي القرطبي الاندلسي الاصل، وتلميذ ابن رشد ، لما انتقل الى مصر ، واستقر فيها ، قام بعمل كبير في امر التلمود ، فانه اختصره وشرح المشنا شرحاً تلمودياً على مذهبه ، وسمى هذا المختصر « مشنا توراة » ، احياءً للاسم الاول الذي مر بنا ونحن نورد الكلام على منشأ الاسم وعُدّ اختصار موسى بن ميمون هـذا ، آخر ما صنع في سبيل تسهيل التلمود . وكانت العربية هي لسان اليهود في التخاطب وشؤون الحياة العملية ، والعبرية لا تجاوز حد الاعتبارات الدينية ، وامرها مقصور على طبقة من اليهود هم « العلماء » او « الحاخامون » . فوضع ابن ميمون اختصاره وشروحه بالعربية لفظاً وتعبيراً وباللغة الدارجة في مصر ، وجعل الكتابة بالحرف العبري . وعلى هذا جرى ايضـاً في كتابه المشهور « دلالة الحائرين » فهو بالعربية اما الحروف فعبرية .

والتلمود اليوم في اللغة الانكليزية ، باصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته ، يبلغ ٣٦ مجلداً من القطع الوسط . وكل ما يمكن معرفته حتى اليوم من امر التلمود ، عند العرب ، بعد مرور نحو ١٤ قرناً على تكامل وضعه في العراق، كناية عن اوصاف سماعية ، وشذرات خطية قليلة . ولا احسب ان عربياً ما، مسلماً كان ام مسيحياً ، في العالم العربي كله ، قرأ مجلداً واحداً من التلمود ،

الا ان يكون ذلك الواحد دارساً مختصاً في معهد او جامعة . ولعل السبب الاول هو اللغة ، والثاني محاولة اليهود دائماً ابعاده عن اذهان غير اليهود ، والثالث اعتقاد الجمهرة من مفكري العرب ان التلمود بضاعة قديمة بالية ، واذا ما ذكروا ، ذكروا التوراة ، وحتى التوراة قليل من العرب من عُني ويُعنى بالاطلاع عليها ليعلم ما فيها من صور اخلاق اليهود . ومن الغريب ان من العادة عند طلاّب العلم في الجامعات ان يضع الواحد منهم ما يسمى بالاطروحة يطويها على بحث كامل يشهد له بالكفاية في موضوعه فينال الشهادة الجامعية وتكون هذه الاطروحة بمثابة زكاة علمه وصحة بحثه . والى الآن لم نر بعد عربياً في العالم خطر له ان يتصدى للتلمود فيضع فيه اطروحةً ما . فاذا قيل ان هذا مستصعب في الجامعات الاوروبية والاميركية ، وقد يكون هذا صحيحاً الى حدّ ما ، فالامر ليس بعسير في الجامعات الشرقية والعربية . وقد حان الوقت في سنة ١٩٦٦ ان يعلم العربي ان التلمود هو مباءة « حكماء صهيون » ، اليه يرجعون وعنه يصدرون ، ومن روحه اشتقت (البروتوكولات) وصيغت في مقرّرات .

ثم جاء عصر الطباعة الآلية بعد عهود النسخ والمسخ ، فكانت اول طبعة كاملة للتلمودين ، الفلسطيني والعراقي ، سنة ١٥٢٠ – ١٥٢٤ في البندقية . وصدرت طبعات قيل انها طبعت في الخفاء تحتوي مجلداتها العبرية على ابذأ كلام ينال من كرامة السيد المسيح ، والبابوية ، فلما قامت القيامة على اليهود من اجل ذلك ، واحرقت كتبهم ، وفيها التلمود ، بالأحمال تجرّها خيول المركبات ، طُبعت كتب التلمود طبعة اخرى خالية بعض الشيء من الكلام البذيء ، وبقيت الطبعة الاولى الكاملة في حيازة اليهود سراً ، وهذا ما يؤكده المطلعون على خفايا اليهود .

ولغتا التلمودين ، الفلسطيني والعراقي ، مختلفتان، تمثلان لهجتين آراميتين اما « الجمارا » الفلسطينية فلهجتها آرامية غربية (شامية) وتشبه آرامية عزرا او دانيال ، واما الجمارا العراقية فلهجتها آرامية شرقية اقرب الى المندوية (عراقية) هذا ما يقوله العارفون .

(٣) «حتى بناء الهيكل المقدس في بيت المقدس لا يبرر اهمال قراءة التوراة والتلمود»

(الربي الدكتور اسرائيل برود في مقدمته للتلمود)

✶

وضع الحاخام الدكتور برود مقدمة للتلمود في طبعة جديدة منه صدرت سنة ١٩٦٠ بالانكليزية ، وهي مقدمة تتجلى فيها روح التلمود خير تجلّ ، وفي هذا صورة مدهشة لعمل الغرائز اليهودية ، ونقول « الغرائز » ، لا كلمة اخرى غيرها ، لاننا نعني بالغرائز مـا لا يتبدل بحال من العنصر اليهودي الذي يستمد غذاءه من التلمود . والعنوان الذي يراه القارىء في اعلى هـذه الصفحه هو ليس لنا ، بل للحاخام برود واضع المقدمة . وانظر كيف تجري التوراة والتلمود عند الدكتور برود في ركب واحد لخدمـة « اسرائيل » و«اسرائيل» هي مناط الامل للاحياء اليهودى .

هذه الطبعة الجديدة من التلمود بالانكليزية يشرف على اخراجهـا عدد من كبار الربانيين ، بحيث يختص كل ربّاني بمجلد ، والمجـلد الذي نحن بصدده الآن هو الذي يتضمن باب «الذبائح والمقادس» واشرف على ترجمته من العبرية الى الانكليزية الربّي دكتور أ . ابشتين .

وهذه مقاطع من كلام الدكتور برود في المقدمة .

« ان تيسير الوصول الى دراسة التوراة ، حقّ لكل يهودي من اقـدم الازمنة ، وهي دراسة متصلة السير مدى الحياة واهمالها لا تقبل فيه المعاذير والعلل، من فقر مدقع،او غنى مشبع ، ولا يبرر هذا الاهمال شيء حتى بناء

الهيكل المقدس في اورشليم . «فالتوراة والمشنا والتلمود ، ثلاثة اسس لبناء واحد . وبينما نرى معظم الدارسين ، يأخذون بالتوراة والمشنا ، فالذين يدرسون التلمود (١) هم قلة لا يذكرون – قد لا يزيدون على واحد في الالف يتحملون ضنى المطالعه ليل نهار . هذا هو الشأن طول القرون الخالية. والحال باقية على هذا وستبقى على هذه الوتيرة ، لن تتغير . وعدة العقود الاخيرة شهدت انقراض مراكز العلوم الدينية في شرق اوروبا . وكم من علماء احبار مشهورين بالتقوى ذهبوا ضحايا الجزار، ومعهم مئات من تلاميذهم الابرياء المجتهدين » .

* * *

ثم يدخل صاحب المقدمة في ناحية اخرى،وهي انيشير الى خسارة العلماء اليهود الذين ذهبوا في الحرب الثانية على يد هتلر في المانيا والنمسا ، ثم هو يشكر ما عمل يهود اميركا وبريطانيا في سبيل انقاذ المشردين .
ثم ينوّه باسرائيل مباشرة :—

« ولكننا اليوم ، وعلى قدر ما نستطيع ان نرى من خلال الحوادث وتفسير تياراتها ، نقول أنه يتعين على اسرائيل في المقام الأول – هي ومن ورائها الناطقون بالانكليزية من اليهود في العالم – ان تكفل لنا التربة الصالحة والمجال الوافي لامتداد جذور « شجرة الحياة » ورسوخها في التربة بقوة . ذلك بعبارة أخرى ، ان الأقدار قد قضت بان امر الاحتفاظ بالقيم الروحية اليهودية ، واطراد نموها ، على غرار ما عرف في تراثنا وكتبنا ، ومنهج حياتنا ، تقع تبعته على عاتق « اسرائيل » ، ومن في صفها من اليهود الناطقين بالانكليزية، وها اننا نرى أن اسرائيل قد أصبحت اليوم كهفاً اميناً

---

(١) لعل القارىء العربي اصبح الآن ملماً الالمام الكافي بمعنى التلمود والمشنا ، على حد ما يذكره هنا الدكتور برود حتى يعلم الفرق بين تناول معظم الدارسين المشنا ، وبين القلة التي تطالع التلمود ، فالمشنا ، عبارتها فقرات ، فبوسع الدارس ان يدرس منها على قدر طاقته ، واما التلمود فمعناه المشنا والجمارا معاً ، ونسبة المشنا الى الجمارا كنسبة الجزء القليل الى المقدارالكبير ومن هنا صعب على المطالع ان يقرأ التلمود او المشنا والجمارا معاً ، قراءة كاملة .

للتوراة . ويتحتم على « البقية » التي في خارج « الأرض المقدسة » ، من قبيل الواجب الذي لا مرد له ، ان تأخذ بكل مستطاع لترويج دراسة التوراة ، والتشويق إلى هذا وبث الوسائل التي يكون منها التيسير والتسهيل . وانما يعتبر هذا واجباً لا مناص منه ، احتراماً للتوراة ووفاءً بمنزلتها ، ولما فيه من العامل المؤثر في توجيه حياتنا » .

* * *

ثم يقول : « ان الكتب المقدسة وآثار الربانيين ، والتلمود والمشنا ، كل ذلك هو مجالي حضارة لها بالغ التأثير في أنفسنا تأثيراً شمل مظاهر وجودنا اليهودي ، وفسر معاني حياتنا . فالمصادر والينابيع التي كان منها كل هذا ، يجب علينا أن نستوعبها استيعاباً صحيحاً ، وهذا ما ينبغي أن يكون المهمة الاولى لدينا لا تعلوها مهمة أخرى ، عند المعلمين والطلاب والدارسين في كل مكان . وفي هذا الصدد ، وسيراً نحو هذه الغاية ، لا نرى في هذه الترجمة الانكليزية للتلمود الا كل سبب من أسباب التيسير المراد ، والانكليزية اليوم هي لسان نصف مجموع اليهود ، ان لم يكن اكثر من نصفهم ، في العالم ».

ثم يقول بشأن دراسة التلمود :

ومن الناحية الاخرى ، فان طالب دراسة التلمود يجد في هذه الترجمة المعتمدة المتميزة بالصحة والدقة ، خير معوان له في تحقيق ما يصبو اليه ويرغب فيه ، وذلك بما اشتملت عليه هذه الترجمة من حواشٍ شارحة وتعليقات تجلو الغوامض ، الى ايضاح ما ينبغي ايضاحه من الاسماء والمصطلحات » ثم ختم بقوله : « والتلمود » ، رغم ما لحقه من التشويه والتحقير عمداً من اصحاب الغرض والقصد ، هو هو ، احد الكتب التي تحمل ثقافة عالمية ، وله من السعة ما يجعله اشبه بدائرة معارف هي الآن في متناول الدارس اليهودي » .

ولكي يقف القارىء العربي على شيء من روح التلمود ، نقدم اليه بعض نماذج من محتوياته .

* * *

٤ ـ نماذج من محتويات التلمود

ما قاله في العرب ، وامثلة من احكام المشنا والجمارا

ـ المخلوقات نوعان ، علوي وسفلي . العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة . اسرائيل صفوة المخلوقات ، واختاره الله لكي تكون له السيادة العليا على بني البشر جميعاً ، سيادة الانسان على الحيوان المدّجن .

●

ما للعرب من ذكر ووصف في التلمود

ـ ★ العرب ، الامة المحتقرة .

★ لم يتاجروا الا بالجلود وبعض الزيوت النباتية للتداوي بها .

★ من العار الزواج بعربية .

★ العرب يعبدون الاصنام .

★ العرب هم مرتكبو تسعة اعشار الجرائم في العالم .

★ (يقول اليهودي) : اهون عليّ ان يحكمني اسماعيلي (عربي) من ان يحكمني روماني ، واهون عليّ ان يحكمني روماني من ان يحكمني فارسي .

★شاهد يهودي عربيّاً في القرن الثالث الميلادي يذبح شاة فنزع كبدها ليتنبأ عليه .

★ العربي يعبد الغبار الذي يعلق بصندله .

★ في العبرية ١٢ كلمة عربية ممتزجة بعناصر آرامية ونبطية .
(دائرة المعارف اليهودية مادة Arabia)

★ في التقاليد اليهودية المتناقلة من القرون الاولى في المسيحية ان العرب هم كالرومان اعداء اليهود ، ويذكر التلمود خلافاً بين وفدين من « الاسماعيلية » واليهود في مجلس الاسكندر . فقال العرب ان ارض كنعان هي ميراثنا نحن . قال « نفيل باربر » معلقاً على هذا ، وقد اوردها في كتابه ، ان هذه الرواية تدل حتى في العصر التلمودي ، اي قبل القرن الخامس والسادس ميلادياً ، على ان اليهود يغصون بوجود العرب في فلسطين . (والميراث المقصود هنا العمالقة والكنعانيون) .

★ تقول التقاليد اليهودية ان نبوخذناصر لما استاق اليهود الى بابل سبياً تعرض لهم الاسماعيليون (العرب) في الصحراء والبادية . فقدم الاسماعيليون لقوافل المسبيين الطعام لكنه مالح ، فطلب الاسرى الماء فاعطوهم ظروفاً من جلود الماعز ، منتفخة ، وتبدو كأنها مملوءة ماء . فلما وضع الاسرى افواههم عليها ليشربوا ، والعطش يحرقهم ، فاذا بريح ساخن تخرج من الظروف ، فدخل الهواء امعاء الاسرى فقضوا مكانهم .

★ لما كان تيطس يهدم الهيكل الثاني الذي بناه هيرودس ، كان احد قواده العسكريين الاربعة عربياً ، وكان هذا القائد العربي مرّ العداوة لليهود . فراح يحضّ الجيش على الهدم حتى لا يبقى من الهيكل حجر على حجر . ولما رآه اليهود يفعل هذا نقموا عليه ، فاجابهم بانه انما يفعل ذلك من اجل خيرهم ومصلحتهم ، اذ ما دام الهيكل قائماً فالامبراطورية الرومانية « لا تبرح عدوّاً لكم ، لكن

اذا زال الهيكل زالت تلك العداوة » . فقال له اليهود : انت عربي لا نؤمن بنصيحتك .

★ في قصة تتعلق بالرّبي يوحنان بن زكاى (حوالي ٧٥ ب.م.) وقد مرّ ذكره في صفحات قريبة ، ان العرب في ذلك الوقت كانوا يقيمون في عكاء ولهم الخيول لكنه نعتهم نعتاً جد قبيح .

★ اورد « باربر » بالاضافة الى ما تقدم القصة التالية : اخبر عربي يهودياً ان المسيح قد ولد يوم تدمير الهيكل ! وكان اليهودي يحرث حقله ، فمرّ به العربي ، ولما اقترب منه ، فاذا ببقرة اليهودي وهي تحت النير تبرك على الارض من تلقاء نفسها . فسأله العربي من انت ؟ يهوديّ انا ، اجاب اليهودي . فقال العربي : فكّ البقرة من النير والمحراث . ولماذا ؟ لان الهيكل قد هدم . وكيف عرفت هذا ؟ عرفته من بروك البقرة . واذا بالبقرة تبرك ثانية . ثم قال العربي : يا يهودي يا يهودي ! فك البقرة فقد ولد المسيح مخلص اليهود .

ولما علم هذا اليهودي بان الطفل هو في بيت لحم ، باع البقرة والنير والمحراث ، واشترى بالثمن البسة اطفال ، واتى بيت لحم وجعل ينادي مناداة البائع المتجول : واتى ام الطفل والح عليها بان تشتري منه ما تحتاج الى طفلها من البسة . ولما اعتذرت اليه بان لا نقود بيدها ، عرض عليها ان يبيعها ديناً ثم يأتي بعد مدة فيأخذ الثمن . فاشترت . ولما عاد ، قالت له ان ولدها قد مات . ولما سألها وكيف كان ذلك ، اجابت: بعد ان فارقتَ بيتي هبّت عاصفة اخذت الولد من بين يدي وطارت به ! انتهت الاسطورة . قال باربر : وبعد هذه القصة لا ذكر للعرب في التلمود » .

* * *

واما ما للعرب من ذكر في الكتب اليهودية ، ففي ثلاثة انواع :

١ — اسفار « العهد القديم » ، ففيها شذرات متفرقة عن العرب باسمهم

هذا ، او باسم العمالقة ، والاسماعيليين ، وقيدار ،وبني المشرق ، والمدينيين.

٢ - سفر المكابيين الاول والثاني ففيها اخبار الانباط خاصة .

٣ - التلمود ، وقد اوردنا نماذج من محتوياته .

* * *

نماذج من احكام التلمود

التلمود منظمة ابوابه وفصوله هكذا : فاسم الباب أولاً ، ثم الفصل الاول منه ، وهـذا كله بحروف بارزة . ثم اول سطر من اول فقرة كلمة « مشنا » بحروف سوداء ، ثم عبارات الفقرة الـتي تتضمن الحكم . وبعد هذا فاصل ، وبعد الفاصل يرد شرح المشنا ، المسمى « جمارا » فترد كلمة « جمـــارا » في اول السطر بحروف سوداء كما وردت كلمة «مشنا» ثم الشرح ، لمختلف العلماء.

وقد يكون الشرح في عشرين الى ثلاثـين صفحة او اكثر او اقل ، لحـكم واحد هو في عبارة المشنا في اسطر . ومن هنا تضخمت مجـلدات التلمود مع الزمن .

* * *

امثـــلة

(مشنا : اذا قال رجل اني اتعهد بان اقدم قرباناً منطعام مطبوخ بالفرن فليس له ان يأتي به مطبوخاً في غير الفرن ، كموقد الحجارة او « تنور » العرب . واذا قال : اني اتعهد بان آتي بتقدمة مخبوزة ، فليس له ان يأتي ببعضها مخبـــوزاً وببعضها الآخر فطيراً . ربي سيمون يجوّز هذا ، لان كلا النوعين يعودان الى اصل التقدمة) .

(جمارا : شرح مسهب لمختلف الربيين تفسيراً لما تقدم ، وتعليقاً عليه ، وذهاباً به مناحي مختلفة . وهذا الشرح لهذه المسألة المتعلقة بالتقدمة استغرق ٣ صفحات) .

(مشنا : الاسرائيلي الذي يشتري فلوأتان من وثني [١] ، او يبيع فلواً من وثني ، او الاسرائيلي الذي يتشارك مع وثني [٢] (في حيوان) ، او يتفق مع الوثني على تربية الحيوان [٣] ، او الذي يقبل الحيوان لتربيته [٤] ، فهذا لا تنطبق عليه شريعة الحيوان اذا جاء « لان كل بكر هو لي يوم اهلكت كل بكر في ارض مصر قدّستُ لي كل بكر في اسرائيل من الناس والبهائم انهم لي يكونون انا الرب [٥] » ولكن ليس في الامم) .

(جمارا : ما الحاجة الى كل هذه الامثلة في المشنا ؟ وهل من الضروري ايراد هذه الوجوه كلها ما دام النص يتناول الذي يشتري ؟ ولعل السبب هو اعتبار الحيوان طاهراً ، ولكن الذي يبيع من وثني ، وقد رفع يده عن الحيوان سبّب في ان تتعرض الطهارة للزوال فيجب قصاص الاسرائيلي لفعله ذلك) .

ثم يطّرد الشرح على هذا الحكم حتى يشغل ١٥ صفحة .

* * *

وجاء في احد الفصول هذا الكلام في اوله :

(هذا الفصل كله نصوص من المشنا ، يشتمل على وصف الهيكل الثاني المقدس وما حواليه ، وذلك دقيق للغاية تفصيله . ولا ريب ان هذا الوصف قد وضع لما كان الهيكل المقدس لا يزال قائماً ، وكُتب ودوّن باليونانية ، وضم الى المشنا حتى يكون دليلاً ومرشداً عند اعادة بناء الهيكل) .

ثم يأتي شرح الجمارا في ٢٧ صفحة (مجلد ٢ ص ٢٤٠ فصاعداً) .

* * *

---

(١) (هذه الشروح هنا في حاشية الصفحة ليست من متن المشنا ، وانما هي شرح وتعليق) لانه ممنوع على الاسرائيلي ان يبيع حيواناً كبيراً من وثني، لان الوثني «يشغل» الحيوان في السبت.

(٢) كان يشتركان في شراء حيوان ويكون لكل منهما حصة فيه .

(٣) مقابل تربية الحيوان يأخذ نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثني .

(٤) كأن يأخذ الاسرائيلي نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثني .

(٥) سفر العدد ٣ : ١٣ .

(مشنا : انقضاء السبت يكون على هذه الوجوه :

١ – يقف الفقير خارج الباب ، ورب البيت داخل الباب ، فاذا مدّ الفقير يده الى داخل الباب ووضع قطعة متاع في يد رب البيت ، او اذا تناول قطعة متاع من داخل البيت ومضى بها، فالفقير آثم [1] ، ورب البيت لا اثم عليه .

٢ – اذا مدّ رب البيت يده خارج الباب ووضع قطعة متاع في يد الفقير او اذا تناول قطعة متاع من يد الفقير ومضى بها ، فرب البيت آثم ، والفقير لا اثم عليه .

٣ – اذا مد الفقير يده الى داخل الباب وتناول رب البيت منه قطعة متاع او اذا وضع الفقير قطعة متاع داخل الباب وتناول قطعة متاع اخرى ومضى بها ، فلا اثم على كليهما .

٤ – اذا مدّ رب البيت يده الى خارج الباب وتناول الفقير قطعة متاع منه ، او اذا وضع الفقير قطعة متاع فنقلها رب البيت الى داخل ، فلا اثم على احد منهما .

ثم يتلو شرح الجمارا في ٣١ صفحة

***

(مشنا : لا يخرج الخياط (من بيته او محل عمله) وبيده ابرة الخياطة قبيل الغروب (مساء الجمعة) ولا يخرج الكاتب ومعه الدواة ، ولا يبسط الواحد رداءه ، ولا يقرأ على ضوء قنديل) .

وفي الشرح قال فيما يتعلق بالقنديل ان السبب هو خشية ان يتضاءل الضوء فيعالج الفتيل ليصحّ انسياب الزيت او امتصاصه ، وهذا يدخل في العمل الممنوع في السبت .

***

(١) (الحاشية في الاصل) انه دنس السبت .

لمحتويات التلمود صفتان « هلاكا » و « هجّادا »

او « العقل » و « القلب »

من عجائب التلمود في الحوادث المتخيّلة ، والارقام ، والصور البعيدة من التصور ، ما يخرج عن حدود العقل الانساني ، دع عنـك ضروب التطوح في كل ناحية ، اذ الرواية السماعية من عهد موسى قد وسعت كل هذا . اما صفة « الهلاكا » فيعني بها الامور التي تتعلق بجهة الشريعة ومذاهب الرأي والفقه فيها . واما « الهجّادا » فمعناها القصة او الرواية او الحكاية ، فهي ما هبّ ودبّ من اقاصيص القصّاص ، منفلتين من التقيد باحكام شريعـــة موسى ، ويحصر استنادهم في ذلك بان هذه الامور والاقوال مرويّة منقولة بالسماع من عهد موسى . ولكن تُضْفي هالة عامة على كل هـــذا ، نوعي « الهلاكا » و « الهجادا » قالوا ان « الهلاكا » طريق العقل ، و « الهجادا » طريـــق القلب . وهذا معناه عندهم ان الاولى رأي وتدبر ونظر ، والثانية عاطفة وميل وهوى ، وفي النهاية وضعوا الصفتين هكذا :

هلاكا = تابعة من العقل

هجادا = تابعة من القلب

* * *

٥ـ التلمود وجهاً لوجه مع العرب والامم وهذه هي أقواله:

ومع المسيحية والاسلام، اما الاخلاق الانسانية فتشيح بوجهها عن كلماته

●

ما قاله التلمود في (٨٠) نموذجاً

« لا يعدّ المرء ناضجاً في السياسية او الكتابة مـا لم يدرس القضية الصهيونية » .

هذه الكلمات هي للعلامة بولس حنا مسعد ، صاحب كتاب « همجية التعاليم الصهيونية» وقد وضعه سنة ١٩٣٨ ومما قال في مقدمته : « للمسيحي انجيله يبشر به العالم،وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب. اما الاسرائيلي فله كتابان : كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل بـه ، وآخر مجهول عند العالم يدعى التلمود ، يفضله على الاول ، ويدرسه خفيـة ، وهو اساس كل مصيبة . ان النصارى يؤمنون بان الله هو ابو الجميع . والمسلمين يعترفون بان الله رب العالمين .

« اما الصهيونيون فلا يريدون ان يكون الآله الا لهم وحدهم . زد على ذلك ان التلمود ينص على ان جميع خيرات الارض ملك لبني اسرائيل ، وان النصارى والمسلمين وعبدة الاوثان ، خلقوا عبيداً لهم.هم (اليهود) متحدرون من الله كما يتحدر الابن من ابيه ، وشعوب الارض مشتقة من الارواح النجسة، ولم يعطوا صورة الانسانية الا اكراماً لبني اسرائيل. على هـذا المنوال تعاليم

هذا الكتاب الموبوء ، وقد اتخذ له مبدأ : الغاية تبرر الوسيلة ، فلا عجب اذا قامت عليه قيامة المخلصين لبلادهم ، وطهروا حكوماتهم من اتباعه الصهيونيين..

«والآن بعد ان اخفق اسرائيل في سائر انحاء العالم وعاد بصفقة المغبون ، رجع يفكر في احتلال فلسطين ، البلد المقدس ، مدّعياً ان الله وهبها له . فلا غرو بذلك ، فالذين يدّعون ملكية المعمورة ، الا يجرأون على المناداة بامتلاك بقعة صغيرة كفلسطين ! »

وقال المؤلف في نهاية المقدمة :

« تلك صورةٌ مصغرة أو جزءٌ من ألف مما حواه كتابنا هذا ونحن لم نرجم بالغيب ، ولم نقل كلمة واحدة الاّ اسندناها الى مرجعها الاصلي . وبما ان العثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية ، نظراً لما حذفه المتأخرون من الاقوال ، واستعاضوا عنها بدوائر هندسية او بصفحات بيضاء منقّطة ، فاننا اعتمدنا في ادراج النصوص ، وترجمتها ، على كتاب الاستاذ اغوست روهلنج » .

* * *

واختتم العلامة بولس حنا مسعد مقدمة كتابه بقوله : —

« إلى القارىء العربي العزيز ، هذا الكتاب المعبر عن عقيدة اسرائل كما هي في التلمود بلا زيادة ولا نقصان ، والموضّح التعاليم الركيكة التي يتناقلها الابناء عن الآباء ، والشارح الخرافات المضحكة التي يقدسها ذلك الشعب المبغوض ، ولا غاية لنا من وراء ذلك الا نشر العلم الحقيقي الذي آلينا على نفسنا خدمته بكل ما في صدرنا من قوة وعزم وحماسة ونشاط » .

* * *

واطلعت مجلة « المقتطف » —شيخة المجلات العربية— على هذا الكتاب بعد طبعه باثنتي عشرة سنة ، فكتبت ، بعد ان اوردت بعض محتوياته تقول :

« ولكي تطلع على سائر امثال هذا التجديف الذي لا تحتمله نفس بشرية ، يجب ان تطلع على هذا الكتاب – كتاب الخوري بولس حنا مسعد – الذي نحن بصدده ، فـــترى اقوالاً لا تخطر في بال المجانين والمخرفين والسكارى والارذال ، والذين فقدوا الصواب والعقل والادب والحيـاء بتاتاً » . انتهى قول مجلة « المقتطف » في عدد فبراير ١٩٥٠ .

وهذا ما نشرته « المقتطف » من اقوال التلمود ، غير ناقلة الكلام بعينه لشدة كفره وبذاءته ، بل تسوق الكلام بالوصف مكتفية بذلك :

« اليهود يصفون التلمود فوق التوراة ، والحاخام فوق الله (استغفر الله) والله يقرأ وهو واقف على قدميه . وما يقوله الحاخام يفعله الله. ان تعاليم ألَّلاهوتيين في التلمود لهي اطيب من كلام الشريعة والخطايا المقترفة ضد التلمود لهي اعظم من المقترفة ضد التوراة » .

« يقسم (الله) النهـــار الى ١٢ ساعة ، ففي الساعات الثلاث الاولى ، يجلس الله ويدرس الشريعة ، وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعوب ، وفي الساعات الثلاث الثالثة يغذي العالم ، وفي الساعات الثلاث الاخيرة يلعب مع ملك الاسماك،وملك الاسماك هذا طوله ثلاثماية قدم يدخل في فمه فلا يتضايق».

* * *

كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» صغير الحجم واقع في (١١٥) صفحة يقرأ في ساعتين من الوقت . غير ان القارىء لا يلبث ان يشعر بالحاجـة في نفسه الى قراءة الكتاب مرة ثانية وثالثة ، والسبب في ذلـك انه في القراءة الاولى يستعظم ان يكون هذا الكلام في كتاب ديني ينتمي الى اي فريق من البشر ! وفي القراءة الثانية لعله يبتدىء يتأمل مطرقاً وقد تتفاعل عدة امور في نفسه . فاذا اقفل الكتيب وطرحه امامه على سريره او منضدتـه ، او مكتبته ، ليعود اليه مرة اخرى ، وقع نظره على العبارة الـتي احب المؤلف ان يوجز بها الباب مقاصده فقال تحت وسمة الكتاب :

« لا يعدّ المرء ناضجاً في السياسة او الكتابة

ما لم يدرس القضية الصهيونية »

واذا كان القاريء العربي حيّاً ، فيعلم ان المراد بالصهيونية التلمود، اذ هي منه ، ومن التلمود خرج ويخرج كل شيء يدخل في مخطط اليهود الذي يريدون به تحقيق احلامهم من اقامة دولة دينية داودية سليمانية اوتوقراطية ، عاتية مستبدة ، تحكم العالم . من روح التلمود خرجت البروتوكولات .

* * *

وكان العلامة بولس حنا مسعد حريصاً على ان يذكر المرجع لكل عبارة نقلها ، فأثبت في نهاية كل فصل من فصول الكتاب جدول المراجع بذكر الكتاب المقتبس منه مع رقم الصفحة باللغات الاجنبية ، ولا نرى أهل البحث العلماء يدقّقون اكثر من هذا . وفصول كتاب « **همجية التعاليم الصهيونية** » ١٩ فصلاً مختصراً ، وعـــدد المقتبسات المثبتة المراجع بلغ (٢٦٣) مقتبساً . وعناوين الفصول المذكورة هي : المذهب التلمودي – كلمة التلمود – الوهيـة التلمود – آله التلمود – الملائكـة – قصة الشياطين – الأسرار التلموديـة – النفوس -- النعيم والجحيم – قريب اليهودي – التملك – الخداع – الأشيـاء الملتقطة – الربا – الاشخاص – المرأة – اليمين – الحرم – الخلاصة .

* * *

ونكتفي هنا بنقل عبارات وفقَر من كتاب «**همجية التعاليم الصهيونية**» بعد ان وضعنا بين يدي القارىء هذا التفصيل ، لنزيده علماً بمحتويات العقائد التلمودية ، دون حاجة الى ذكر المصادر والمراجع في الكتب الأجنبيـة التي يستغرق ذكرها مجالاً فسيحاً ، فهي في كتاب العـلاّمة بولس حنا مسعد لمن يريد الرجوع اليها .

المقتبسات :

١) « أما تهذيب الربانيين (الحاخاميين) الذين هم رؤساء اسرائيل فأساسه ومرجعه التلمود . لذلك قد افتتحت مدارس كثيرة لقراءة التلمود في جميع انحاء اوروبا تحت ادارة الربانيين، لتتيح لجميع أبناء اسرائيل الالمام بتعاليمه. حتى ان في برلين نفسها كانت توجد منذ خمس وثلاثين سنة جمعية من هذا النوع تجمع أعضاءها كل مساء لقراة الكتب المقدسة . وبهذه الوسيلة يجد ، مثلا ، التجار اليهود الذين لا يعرفون شيئاً عن التلمود، اخواناً لهم اسرائيليين يفقهونهم بمعلوماتهم التلمودية. وهنا نتساءل : لم هذه الدروس ؟ ألم تكن الغاية منها وضعها موضع معمل في الحياة اليومية ... حتى ان منهم من يقول : نعترف جهاراً بسمو التلمود اكثر من كتاب الشريعة الموسوية » (ص ١١) .

٢) « ان الدكتور كورنر يلصق بالشريعة القديمة حوادث تجعلها أحط من التلمود ، فضلاً عن اننا نجد ألوفاً من الأدلة التلمودية التي تناقض على طول الخط أحكام التوراة . فاليهودي الذي يسرق المسيحي ، او يفضح امرأة اجنبية ، لا يعاقبه المجمع ، لأن التلمود يسمح له بذلك. ومع هذا فان اليهود يتبجحون بأنهم يحافظون على التوراة بحفظهم التلمود » . (ص ١١ و ١٢) .
قلت : المجمع اليهودي هنا هو السنهدرين السري .

٣) « ان الرباني « راشي » يثبت هذه التعاليم بمثل ما أورده التلمود . رأى الرباني كرمة متهدّلة بالعناقيد الناضجة فقال لخادمه : اذا كانت هذه الكرمة لغريب فاقطف منها ، واذا كانت ليهودي فلا تمسها » (ص ٦٣) .

٤) « ان الوصية القائلة « لا تسرق » معناها عند النسر ابن ميمون : لا تسرق اليهودي. اما غير اليهودي فيسمح دون ما وجل بسرقته » (ص٦٣) .

٥) قال العالم « بفافركن » فيهذا الصدد : ان ممتلكات النصراني بالنظر الى اليهودي ، هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار . وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون هو مالكها الاصيل » (ص ٦٥) .

٦) « يقول التلمود بشدة : « كما ان ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء اسرائيل يجب ان يعيشوا من خيرات امم الأرض دون ان يحتملوا عناء العمل » (ص ٦٥) .

٧) « وفي المجمع اليهودي المنعقد في بولونيا سنة ١٦٣١ قرروا بالاجماع ان العبارات التي تهين الاغيار يجب حذفها، والاستعاضة عنها اما بدوائر هندسية، واما بتركها بيضاء ، وان التعاليم القائلة مثلاً بان المسيحيين هم سافلو الاخلاق لا يستحقون المحبة او العدل ... لا يصحّ نشرها الا شفوياً في مدارسهم (اليهود) » . (ص ١٤و١٥) .

٨) « في كل عصر عدّ اليهود عموماً، ما عدا بعض المشاقين (كالقرائين) ، التلمودَ إلهيا ، كالتوراة . ولكن اذا فحصنا الحقائق بمنظار الروية وجدناهم يضعونه فوق التوراة نفسها » (ص ١٦) .

٩) « ان التوراة كالمياه ، والميشنا كالخمر ، والجيمارا كالخمر المعطّر. فالعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر ، وخمر معطر . والغني لا يدع واحدة منها تفوته. ولهذا السبب فان العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة والمشنا والجيمارا. فالشريعة كالملح ، والميشنا كالبهار ، والجيمارا كالتوابل . اما العالم فانه لن يعيش بدون الملح والبهار والتوابل» (ص١٦) .

١٠) « ان الذين يدرسون التوراة يحتمل ان يكون عملهم فضيلة . اما الذين يدرسون الميشنا فانهم يمارسون الفضيلة ويثابون عليها ، الا ان الذين يدرسون الجيمار فانهم يكتسبون اعظم فضيلة واسماها» (ص١٦ و١٧)

١١) « يقول التلمود : من يحتقر كلمات الربانيين يستحق الموت» (ص١٧)

١٢) «ان تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي اطيب من كلام الشريعة (ص١٧)

١٣) « اذا كان احدكم يملك نسخة من التوراة والمشنا ولا يملك نسخة كاملة من التلمود فلا يجوز لكم ان تتعاطوا معه» (ص١٧)

١٤) «ويعلّم التلمود بهذه الالفاظ: ان الله قد انزل الشريعة على جبل سيناء كما وردت في التوراة . اما في الميشنا والجيمارا فقد جـــاءت بصورة القصص والأمثال ، وذلك لان الله اراد ان يعطي التلمود متجسداً بصوته الحي. حتى اذا اخضعت الشعوب لابناء اسرائيل تبقى الفوارق قائمة بين اسرائيل وعبدة الاوثان» (ص١٨) .

١٥) « لو اراد الله ان يكتب التلمود برمته على الورق ، لما وسعته الارض صحفاً مكتوبة» (الصفحة ١٨) .

١٦) ان الرباني مناحيم يطلعنا بالاتفـــاق مع كثير من العلماء على ان الله يأخذ رأي الربانيين العائشين على الارض في المشاكل التي تنشأ في السماء»(ص١٩)

١٧) « جاء في كتاب يهودي سنة ١٥٩٠ : ان كلمات الربانيين لأشـد عذوبةً من كلمات الانبياء ... وذلـــك لأن كلمات الربانيين هي كلمات الله الحية.. إذا قال لـــك الرباني ان يدك اليمنى هي اليسرى وان اليسرى هي اليمنى ، فلا يجوز لك ان تنبذ كلامه . فكم يلزمك ان تحترمه اذا قال لك ان اليمنى هي اليمنى ، واليسرى هي اليسرى» (ص١٩)

١٨) « اذا اتى صوت من السماء يبقى بغير قيمة حتى يحققه الرباني، وان الله اذا عضد ربانياً في مجادلة ، فانه يعضـد خصمه في المجادلة نفسها لتكون الغلبة الكبرى للرباني » (ص٢١)

١٩) « ان الله تعالى قد تاب عن تركه بني اسرائيل يرتطمون في الشقاء ، كمن يتوب عن اسم شخصي ، فلذلك انه يهمر كل يوم دمعتين سخيتين في البحر، تسببان قرقعة شديدة تسمع من اقصى العالم الى اقصاه، وفي كثير من الاحيان تنزل قواتها الهزات العنيفة بالمسكونة» (ص٢٧) .

٢٠) « والتلمود يقول في غير محل ان الله عندما يقسم في كل مرة بدون مبرر معقول ، فمن اللازم ان يحل قسمه بقسم آخر نظيره ، وهذا يثبته ان احد الحكماء في اسرائيل قد سمع يوماً الله يصرخ : يا لشقائي ! من ينقذني من

قسمي هذا ؟ » (ص٢٧)

٢١) « ان الله قد اقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة الكذب لكي يلقي السلام والوئام بين ابراهيم وسارة. وهذا هو المسوّغ الذي يخوّل بني اسرائيل الكذب لاعادة السلام الى نصابه» . (ص٢٨)

٢٢) « ان واحداً وعشرين الفاً (من الملائكة) يحرسون الاعشاب لأن على الارض واحداً وعشرين الف نوع من العشب» (ص ٣٠)

٢٣) « ان عمل الملائكة الرئيسي سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم في الليل . اما في النهار فانهم يصلّون عن البشر ، ولذلك يجب ان نلتجىء اليهم . إلا أن الملائكة لا يفهمون السريانية والكلدانية وهذا هو السبب الذي يمنعهم من سماع طلبات وصلوات ابناء هاتين اللغتين» (ص٣١)

٢٤) «ان الشياطين مركبون من الماء والنار ومنهم من خلقوا وفيهم شيء من الهواء وغيرهم من التراب . اما نفوسهم فقد صنعت من مادة محفوظة حول القمر ، ولا يجوز استعمالها لغير ذلك . ان بعض الشياطين تحدروا من صلب آدم الذي بعد ان لعنه الرب رفض الدنو من حواء لكيلا يلد نسلاً شقياً، وفي ذلك الوقت بانت امامه شيطانتان فعرفهما ، وولدتا منه شياطين جديدين » . (ص٣٣)

٢٥) « قال ساحر فرنسي كبير يدعى «اليفاس ليفي» : «ان التلمود هو الكتاب الاساسي لكل انواع السحر» (ص٢٦).

٢٦) «ان الرباني العازار كان يحوّل حقله المزروع قرعاً وبطيخاً الى ظباء وجداء» (ص٣٦)

٢٧) « يعتقد اصحاب التلمود ان ابراهيم ابا الآباء كان يستعمل السحر وعلّمه لغيره حتى كان يربط في عنق كل مريض حجراً ، يرد له صحته ... ويخبرنا التلمود ان ربانياً قطع رأس افعى بسنّه ولمسها ثانية بحجره فعادت اليها الحياة . بل انه كان يلمس بهذا الحجر الطيور التي ماتت فتعود اليها

الحياة وتطير ثانية » (ص ٣٧) .

٢٨) « ان الرباني فابيوس من ليون اوضح في خطابه يوم عيد رأس السنة العبرية (١٨٤٣م.) ان الديانة اليهودية تعلو على المسيحية وغيرها من الاديان، وذلك لعدم وجود اسرار فيها ، فان كل شيء في الديانة اليهودية هو نور وعقل ، بعكس المسيحية التي تكبّل العقـــل وتسترسل وراء الافكار الجنونية » (ص ٣٩) .

٢٩) « كان آدم كبيراً جداً حتى لامس برأسه قبة السماء . ولما كان ينام كان رأسه يبلغ آخر العالم من الجهة الشرقية ، ورجلاه تصلان الى الغرب من الجهة الثانية . وصنع الله له كوّة كان يرى من خلالها العالم بأسره . لكن لما اخطأ آدم صغّره الله ومسخه بالهيئة البشرية الحاضرة » (ص ٣٩) .

٣٠) « ابراهيم اكل اربعة وسبعين رجلاً وشرب دماءهم دفعة واحدة ، ولذلك كانت له قوة اربعة وسبعين رجلاً » (ص ٤١) .

٣١) « ان نفوس جميع البشر التي وجدت والتي ستوجد حتى انتهـــاء العالم قد خلقها الباري في أيام التكوين الستة ، ثم خزن هذه النفوس في مخازن السماء وأمرها بألا تغادر مسكنها إلا عندما تكون الأمهات على وشك وضع مولود جديد في العالم » (ص ٤٢) .

٣٢) « أوجد الله في البــدء ست مئة الف نفس يهودية ، لأن كل آية في التوراة تحتمل ست مئة الف تفسير ، وكل تفسير جـــدير بنفس واحـــدة » (ص ٤٢) .

٣٣) « ان نفوس اليهود منعمٌ عليها بأن تكون جزءاً من الله فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه » (ص ٤٢) .

٣٤) » هذا السبب يجعل نفس اليهودي اكثر قبولاً وأعظم شأناً عند الله من نفوس سائر شعوب الارض ، لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد . ولهذا يقول التلمود : ان زرع الرجل غير اليهودي هو زرع حيواني » (ص ٤٢) .

٣٥) « تنتقل نفس اليهودي بعد موته الى جسد آخر ، وعندما يلفظ المتقدم في السن انفاسه ، تسرع نفسه الى جنين في بطن امه » (ص ٤٣) .

٣٦) « كان لقايين ثلاث نفوس : الاولى انتقلت الى يثرو والثانيـة الى قورح ، والثالثة الى المصري الذي قتله موسى » (ص ٤٣) .

٣٧) « اما نفس يافت فقد انتقلت الى شمشون ، ونفس تارح الى ايوب ، ونفس حواء الى اسحق ، ونفس خادم راحاب الزانية الى حبرو ، ونفس جايل الى الياس ، ونفس عيسو الى المسيح .. » (ص ٤٣) .

* * *

في هذا الموضع اجاب مؤلف « همجية التعاليم الصهيونية » على قول التلمود هذا بقوله : —

« نحن نجلّ قلمنا عن ايراد هذه النتيجة السمجة . انما نحيل ابناء اسرائيل الى انجيل المسيح لـكي يروا بأعينهم اية حياة طاهرة عاشها مؤسس الديانـــة المسيحية ، واي حياة طاهرة يطلبها من اتباعه . اما اليهود الذين يمرقون من دينهم ، او يقتلون احد ابناء ملتهم ، فان نفوسهم بعـد الموت تسير تواً الى الحيوانات والنباتات وتقطن بها ، ثم بعد حياة شقية يرسلون الى الجحيم ليحتملوا الوان العذاب اثني عشر شهراً ، وعند انتهاء المدة يبعثون احياء وينتقلون متجسدين في الحيوان وعبدة الاوثان وعندما يطهرون يعودون الى اليهودية » (ص ٤٣).

* * *

٣٨) « يقول التلمود ان النعيم عبارة عن مكان تعيش فيه اذكى الروائح والطيوب ، فان ايليا قد ضمّخ في ذات يوم ثوب كاهن باوراق شجر الفردوس فظل العبير منتشراً من الثوب حتى تهرّأ واخيراً باعه بثلاثماية قطعة من الفضة» (ص ٤٤) .

٣٩) « وجهنم هي ارض موحلة فاسدة لا فرح فيها ولا سرور ، بل بكاء وظلام . وكل مسكن في الجحيم يشتمل على ستة آلاف صندوق وكل صندوق فيه ستة آلاف برميل من الحنظل والاسفنتين » (ص ٤٥) .

٤٠) « المشروبات السماوية هي الخمور الفاخرة المعتقة المحفوظة من يوم الخليقة السادس ، وهذه الجنة اللذيذة لا يدخلها الا اليهود الصالحون ، اما الباقون فيزجون في جهنم النار » (ص ٤٥) .

٤١) « ان جهنم هي اكبر من السماء بستين مرة ، وهي سجن القلف (من لا ختان لهم) وفي مقدمتهم اتباع المسيح بن مريم لان هؤلاء يحركون ايديهم كثيراً برسم اشارة الصليب على ذواتهم . ويأتي بعد النصارى المسلمون لانهم لا يغسلون سوى ايديهم وارجلهم وافخاذهم وعوراتهم . كل هؤلاء يحشرون حشراً في جهنم ولا يغادرونها الى الابد » (ص ٤٦) .

٤٢) « يقول التلمود ان المسيح عندما يأتي تنتج الارض حلوى واثواباً من الصوف وحنطة خصبة الحبة الواحدة منها تزن ثقل كلية ثور فحل » (ص ٤٧)

٤٣) « ان المسيح يعيد قضيب الملك الى اسرائيل فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك » .

« وعندئذ يمتلك كل يهودي الفين وثمانمائة عبد وثلاثمائة وعشرة ابطال يكونون تحت امرته .

« المسيح لا يأتي ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية .

« ذلك لان اسرائيل اذا كان صالحاً يجب عليه ان يعمل بغير هوادة في ان ينبذ المتسلطين على الشعوب نبذ النواة ، لان السلطة على الشعوب غير اليهودية هي من نصيب اليهود فقط وفي كل مكان يدخله اليهود يجب ان يكونوا هم المتسلطين ، وطالما هم بعيدون عن تحقيق هذه الفكرة فيعتبرون نفوسهم غرباء ومنفيين » (ص ٤٧) .

* * *

نود ان نستوقف القارىء العربي لحظات في هـذا الموضع لنلفت نظره الى الحقائق الرهيبة التالية :

١ – كل ما يتعلق بمخطط اليهود للاستيلاء على العالم ، وتعمل له اليهودية العالمية الخفية بأجهزتها السياسية والاقتصادية ، العلنية والخفية ، خطوطه في التلمود .

٢ – لا نرى بنا من حاجة الى ان ننقل الى هـذه الصفحات هنا متن البروتوكولات التي نصت على هذا كله بالتفصيل الكافي الوافي . وان كان مذهلاً امر هذا المخطط . فاننا عنـد ما نقرأه في التلمود ، نقرأه اساطير واوهاماً وتخاليط وما اشبه ، ولكن عندما ننتقل الى متن البروتوكولات ونمعن النظر فيها بروية ، نجد ان اساطير اليهود صارت تتحول الى برامج محكمة . ونقول : ان ما بلغته اليهودية العالمية حتى اليوم من تحقيق جزء من مخططها هذا ، يرفضه العربي ، وكل مسلم ومسيحي من ابناء الامة العربية ولا يقبله دليلاً على ان اليهودية العالمية قادرة على ان تمضي طويـلاً بعد اليوم في اجتياز المراحل نحو تحقيق الغاية الكبرى وهي احراز السلطة العالميـة وصولاً الى الملك الداودي السليماني ، ومحو انظمة الدول ، والاديان ، وجعل اليهودية المادية هي الدين السائد على جميع الامم في العالم . فيعود الامر الى ما يشبه الاساطير. فمع الاعتقاد الراسخ من ان « اسرائيل» هي - القفاز الخارجي الموقت لليهودية العالمية – يجب ان يؤخذ بخناقها حتى تهمد ، علينا ان ننتبه بقوة جبارة الى الاجزاء المقبلة من المخطط اليهودي.

٣ – لذلك نلفت نظر القارىء الى ان يقابل بين ما يقوله التلمود هنا ، وما هو مبسوط من هذا المخطط في البروتوكولات وهي :

السابع عشر ، والثامن‌عشر ، والتاسع عشر ، والعشرون ، والحادي والعشرون ،والرابع والعشرون ، وهذا كله بين يدي القارىء .

* * *

٤٤) « قبل أن تضمحل شعوب العالم وتستعبد ، وقبل أن يصير اليهود أسياد مدنهم ، وقبل بدء الملكوت المسيحي ، ستنشب حرب طويلة تشيب لهولها الاطفال ، فتزهق ثلثي العالم . ويمكث اليهود سبع سنوات يحرقون الاسلحة المكتسبة ، وعندئذ تتضخم أسنان أعداء اسرائيل القدماء وتبتعد عن أفواههم بعرض اثنين وعشرين قدماً ، وفي انتظار ذلك يعيش اليهود في حرب مستمرة مع الشعوب الغريبة » (ص ٤٨) .

٤٥) « عندما يعقد لواء الظفر النهائي يرتضي المسيح بكل الشعوب إلا أنه يرفض المسيحيين منهم ، وفي ذلك الوقت يصبح أبناء اسرائيل أغنياء كباراً لأن كنوز الشعوب تسقط بين أيديهم . ان هذه الكنوز تملأ قصوراً وسيعة ، حتى ان ثلاثماية دابة لا تكفي لحمل مفاتيح الأبواب والخزائن » (ص ٤٨) .

٤٦) « في ذاك الوقت يعتنق الجميع الإيمان اليهودي ، إلا أن المسيحيين لا شركة لهم في هذه النعمة ، بل انهم يستأصلون عن وجه الارض ، لأنهم متحدرون من الشيطان ، وعندئذ تشبع رغائب اليهود ، لأن المسيح الذي ينتظرونه ويستعدون للقائه هو اسرائيل نفسه ، أي ان الشعب اليهودي يملك على باقي الشعوب وقت مجيء المسيح » (ص ٤٨) .

* * *

وعلّق المؤلف على هذا الكلام الهمجي الصهيوني بقوله :

« والعجب الغريب ان الحكومات المسيحية والاسلامية تسمح لليهود بأن ينشروا هذه السفاسف والخزعبلات وأن يلصقوا أمثال هذه السماجات بالسيد المسيح ، واضعينه بين عبدة الاصنام وقائلين عنه انه ابن .... » (ص ٤٩) . والكلمة التي أشرنا اليها بنقاط نأبى أن نوردها هنا وان اثبتها المؤلف في كتابه .

٤٧) « أن اليهود أحب الى الله من الملائكة فالذي يصفع اليهودي كمن

يصفع العناية الالهية سواء بسواء . وهـــذا يفسر لنا استحقاق الوثني وغير اليهودي الموت اذا ضرب يهودياً » (ص ٥٢) .

٤٨) « يعلمنا التلمود انه لولا اليهود لامتنعت البركة من الارض ، وانقطع المطر واحتجبت الشمس ، لذلك لا تستطيع شعوب الارض الحيـاة بدون الاسرائيليين » (ص ٥٢) .

٤٩) « ان المفاضلة لموجودة بين جميع الاشياء فكما ان الانسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم ارفع من شعوب الأرض ، لأن زرع الاغراب كزرع الحصان » (ص ٥٢) .

٥٠) « ان مدافن غير اليهود تثلج صدور ابناء اسرائيل لان اليهود وحدهم هم بشر . امـــا الشعوب الاخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات » (ص ٥٢) .

٥١) « ان غير اليهود كلاب عند اليهود بحسب تعليم التلمود المستند الى الآية السادسة عشرة من الفصل ١٢ من سفر الخروج وقد جـاء فيه ان الاعياد المقدسة وضعت لاسرائيل وليس للاغراب والكلاب » (ص ٥٢ و ٥٣) .

٥٢) « قال الرباني موسى بن نحمان لكم وليس للنجسين ، لكم وليس للكلاب وضعت اعياد مقدسة » (ص ٥٣) . (قلت : اقرأ الفصل السابع في هذا الجزء ففيه ترجمة بن نحمان) .

٥٣) « لا يسمح باعطاء اللحم لغير اليهودي بل للكلب لانه افضل من غير اليهودي (ص ٥٣) .

٥٤) « ان بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات » (ص ٥٣)

٥٥) « رأى الرباني ايدل : ان غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري . فالمرأة اليهودية التي تخرج من الحمّام عليها ان تستحم ثانيةً اذا وقع نظرها لاول مرة على نجس كالكلب والحمـار والمجنون وغير اليهودي والجمـل والخنزير والحصان والابرص » (ص ٥٤) .

٥٦) « من الفطنة الانقطاع عن المراقص لان في ذلك خصلتين : اثواب الراقصات تثير كوامن الشهوات القبيحة ، وجمالهن الذي يسترق منا عبارات الثناء ، وهذان الأمران ممنوعان بتاتاً اذا كانت الراقصات غير يهوديات » (ص ٥٥ و ٥٦) .

٥٧) « ان عبدة الاوثان الذين لا يعتنقون الدين اليهودي ، والمسيحيين المؤمنين بيسوع المسيح والمسلمين التابعين للنبي محمد ، هم في نطر اليهود اعداء الله واعداء اليهود » (٥٦) .

٥٨) « يسمح التلمود لاصدقاء الله وأقاربه في أن يضلّوا الاشرار لانه مكتوب : كن تقياً مع الأتقياء وشريراً مع الأشرار » (ص ٥٧) .

٥٩) « ممنوع السلام على الكفار . يجب على الانسان ان يوارب ابداً في خوف الله . اذا سلّم اليهودي على غير اليهودي فحباً للسلام والوئام ودفعاً للمشاحنات والمشاجرات » (ص ٥٧) .

٦٠) « يقول الرباني بيشاي : ان الرياء مسموح به » (ص ٥٧) .

٦١) « ان هؤلاء الاشرار هم شعوب الارض قاطبة وكل الذين ليسوا على شيء من اليهودية يقول التلمود: كل خير يصنعه اسرائيل ، وجميع الاحسانات التي يوزعونها على الاغيار ، والمحبة التي يستعملونها نحوهم ، هذه كلها خطايا على اليهود لانهم يعملونها تباهياً وتبجحاً ، فضلاً عن ان اهل الغرلة (الذين ليس عندهم ختان) وثنيون لا ذمة لهم ولا ذمام، وكذلك اهل الختان من المسلمين لا يشذون عن هذه القاعدة لانهم ليسوا اخياراً » (ض ٥٨) .

٦٢) « يقول التلمود : « يمكنك ان تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن اذا بعت او اشتريت شيئاً لقريبك (اليهودي) فلا يجوز لك ان تراوغه وتساومه » (ص ٦٧)

٦٣) يقول التلمود : «عندما يقيم يهودي قضية على غير يهودي ، عليك ان تعضده وتقول للغريب : هذا ما تريده شريعتنا منا . واذا كانت شريعة

الغريب تشدّ أزر اليهودي ، فيجب عليك ان تساعد اخاك ليكون له الحكم في الدعوى ، وتقول للغريب : هذا مـا تريده شريعتك منك . واذا لم يكن الامر كذلك (أي اذا لم يكن لليهود قضاة في البلاد ولم يكن لهم شرائـع خاصة بهم) فعندئذ يتحتم عليك ان تحوك حول الغريب احابيـــل الخداع وتوقعه بها حتى يظهر اليهودي عليه» (ص ٦٧)

(٦٤) «يقول التلمود ان الرباني اسماعيل كان يحلل سرقة غير اليهودي . وهو نفسه ، الرباني اسماعيل ، اخذ آنية ذهبية بسعر طفيف لان صاحبهاغير اليهودي كان يظنها نحاساً ، ومع ذلك فان الرباني اسماعيل لم يدفع له ثمنهـــا البخس كاملاً » (ص ٦٨)

٦٥) « اشترى الرباني كاهانا مئة وعشرين برميلاً نبيذاً من رجل غــــير يهودي . لكنه لم يدفع له من الثمن سوى ثمن مئة برميل .

٦٦) « رباني آخر ، بعد ان باع لرجل غريب جذوع شجرة، أمر خادمه قائلاً : « اذهب واحفظ شيئاً من كل جذع لان سرقة غير اليهودي جائزة » (ص ٦٨)

٦٧) «قال الرباني موسى: « اذا غلط غير اليهودي في عملية حسابية وكان الغلط على الغريب ، ولليهودي لا عليه ، فعلى اليهودي ان يقول ولو اكتشف الغلط : أنا لا أعرف شيئاً . لكن لا يليق ان يغلّط الغريب ، اذا كان هذا يحاول تجربته اختياراً ، وذلك لئلا يفتضح الامر » (ص ٦٩)

٦٨) «كتب الشيخ برناتز » في مؤلف يقول : عندما يركض اليهودي ، ويبحث في كل مكان طول الاسبوع عن نصراني ليغشه ، فان عمله يماثـل يوم السبت المقدس ، ويحق له ان يفاخر بعمله ويقول: يجب انتزاع قلب النصراني من جسده واهلاك علـّية القوم منهم » (ص ٦٩)

٦٩) «جاء في التلمود : اذا ردّ احد الى غريب ما اضاعه فالرب لا يغفر له ابداً . ممنوع عليك ردّ ما فقده الغريب ولو وجدته . الرباني موسى يعلم

تلاميذه:لا يجوز رد الأشياء الضائعة الى الهراطقة وعبدة الاصنام ومن يدنّس يوم السبت جهاراً » (ص ٧٠)

٧٠) «اذا اعطى يهودي معلومات عن يهودي هارب من وجه غريب له عليه دين مستحق،فالهارب لا يستوجب الادانة اكثر من اخيه الذي سعى به، وعلى هذا الذي سبب الوشاية ان يعوض على اخيه ما خسره بسبب الوشاية » (ص ٧٠)

٧١) «قد كتب على شعوب الأرض : لحومكم من لحوم الحمير ، وزرعكم من زرع الحيوانات . ولهذا السبب فالمباركون اولاد الحق هم اليهود واورومتهم التي تضمخت على جبل سيناء تبعد عنهم كل قذارة» (ص٧٩)

٧٢) « يقول التلمود : اقتل عبدة الاوثان ولو كانوا من اكثر الناس كمالاً . من يرفع وثنياً من حفرة وقع فيها فانه يبقي على رجل من عبّاد الاوثان » (ص ٨٠) .

٧٣) « اذا وقع وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر كبير . وقال النسر ابن ميمون : محرّم عليك ان تأخذك الشفقة على وثني بل عندما تراه قد تدهور في نهر او زلّت به قدمه فكاد يموت ، اجهز عليه ولا تخلصه » (ص ٨٠) .

٧٤) « يقول التلمود : اقتل الجاحد بيدك ان استطعت . من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً لله . قال الرباني عازار : هذا يعني يسوع واتباعه . ويقول الربانييوشافاط : هذا يعني كل الاجانب ايضاً بغير استثناء ، ان الوصية القائلة (لا تقتل) معناها : لا يجوز لك ان تقتل اسرائيلياً . وقال ابن ميمون : ان من ينكر التعليم اليهودي ، وخصوصاً النصارى ،تتحتم ابادتهم عن بكرة ابيهم واهراق دمهم يكون دائماً من الأعمال المحمودة . واذا كان التنكيل بهم غير مستطاع فالوشاية بهم واجبة » (ص ٨٢) .

٧٥) « اذا ولدَ اجنبيٌ شتّام وعابد للاصنام ، قتل اجنبياً آخر وضاجع

امرأته ، يتبرّر اذا اعتنق الدين اليهودي. لكن اذا قتل يهودياً واعتنق الدين اليهودي بعد ذلك فانه يظل دائماً مجرماً يستحق القتل » (ص ٨٣) .

٧٦) « اذا اضلّ يهوديٌّ رجلاً اجنبياً غير يهودي وجعله يصدقه انه غير يهودي ، فهذا جائز . اما اليهودي الذي يقبل العمادة (التنصير) ولو رياء ، ويتزوج مسيحية ، ويمارس عبادة الاصنام مثل اهل زوجته ، فهذا يناله ما ينال النصارى من العذاب المخلد في حفرة لا يصعد منها الى الابد » (ص ٨٣)

٧٧) « قال موسى (لا تشته امرأة قريبك) ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت . التلمود يعلم ان الله يحرم على اليهودي ارتكاب الفحشاء الا مع امرأة قريبه اليهودي فقط . اما نساء الاجانب فمباحة له » . (ص ٨٧) .

ان للربانيين راشي ولاوي وجرسن وغيرهم ، رأياً واحداً في هذا : ان اليهودي لا يؤمن بأنه يرتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فتاة مسيحية ويصرح ابن ميمون في مؤلفاته ان لليهودي حقاً في ان يتمتّع بامرأة غير مؤمنة اي اجنبية » (ص ٨٧ و ٨٨) .

٧٨) في كتاب شرح لرباني عاش في فرنسا في القرن ١٣ هذا الكلام : «ان الرباني « تام » يعلم بان تجارة البغاء بالاجنبي او الاجنبية ليست اثماً ، لان الشريعة هي براءٌ منها ، كما قيل زرعهم من زرع البغال ، ولهذا السبب يسمح في بعض ظروف لليهودية ان تتزوج نصرانياً حتى تسلبه دينه بمساكنتها له مساكنة غير شرعية ومع أن الشريعة تأمر أمراً محتماً بزواج الموسات ، الا انها تسمح بهذا العار في هذا الظرف لان مساكنة المسيحي هي مساكنة حيوانية ، وهكذا تعد علاقتها الزوجية به » (ص ٨٨) .

٧٩) « يقول التلمود : من يحلم انه ارتكب الفحشاء مع امه يمكنه ان يصير حكيماً لانه جاء في سفر الامثال « دعوت الحكمة امّا » . ومن يحلم انه ارتكب الفحشاء مع خطيبته ، له امل كبير في الحصول على صداقة

الشريعة . ومن يحلم انه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له امل كبير بانارةنفسه. ومن يحلم انـه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يحصل على السعادة الخالدة » (ص ٨٨) .

٨٠) « يقول التلمود ان البنت التي لها من العمر ٣ سنوات ويوم واحـــد تكون خطبتها بالمضاجعة ، ولكن إذا كان عمرها اقـل من ٣ سنوات يلتزم خطيبها بازالة بكارتها» (ص ٨٩) ويشرح التلمود في محل آخر ان جمهوراً من الحكماء الاولين كالرباني راب ونشهال وغيرهما كانوا ينادون جهاراً في كل مدينة ينزلون فيها ولا يجدون لهم امرأة : مَنْ من النساء تريد أن تكون امرأة لهم بضعة ايام (ص٨٩) .

* * *

قلنا ان النصوص الواردة في التلمود ، تتعلق بالفحشاء على هذه الوجوه ووجوه غيرها ، وهي اكثر من أن تحصى ، ونجمل القلم يتعفف عن ذكـــر مزيد اكثر من نماذج هذه الاخلاق، وان كانت صفحات كتاب «همجيةالتعاليم الصهيونية» قد احسنت كثيراً باستيفاء ما استوفتـه من النصوص التلمودية ، حتى يتأمل في هذا كل قارىء يود الوقوف على نماذج من محتويات التلمود بمثل هذه التعاليم التيلم يكشف عنها الغطاء للعالم العربي قبلعدة عقود . والنصوص التلمودية التي اثبتتفي كتاب «همجية التعاليم الصهيونية»شغلت منه ٩ صفحات، والكتاب كله مع المقدمة وفهارس المراجع الأجنبية باللغات الاجنبية (١١٦) صفحة ، لا اكثر .

* * *

وهذا ما نضيف الى ما تقدم من هذه النماذج :

وهذه واقعـــة نموذجية من الخلق اليهودي في كل عصر ومصر ، وشرق وغرب ، وقديم وحديث ، ذكرها ابو حيّان التوحيدي (من أعـلام رجال الادب والفقـه والفلسفة في القرن الرابع الهجري ٩٢٢ - ١٠٢٣ ميلادي في

بغداد وكتبه اليوم نفائس ، وهو طراز معلم في اخبار الخلفاء والوزراء وأهل العلم وسائر الناس وله نظرات واعية في مجتمع عصره) في كتابه « الامتاع والمؤآنسه » ج ٢ ص ١٥٧ طبعة مصر ١٩٣٩ ، قال :

« حدثني ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني القاضي صاحب المذهب قال: اصطحب رجلان في بعض الطرق مسافرين : مجوسيّ من أهل الريّ، والآخر يهودي من ارض جيّ – تسمى الآن شهرستان في ناحية اصبهان – وكان المجوسي راكباً بغلة له عليها سفرة من الزاد والنفقة وغير ذلك ، وهو يسير مرفّهاً وادعاً ، واليهودي يمشي بلا زاد ولا نفقة . فبينما هما يتحدثان ، اذ قال المجوسي لليهودي : ما مذهبك وعقيدتك يا فلان ؟ قال اليهودي :

« اعتقد ان في هذه السماء آلهاً هو إله بني اسرائيل . وانا اعبده واقدسه واضرع اليه ، واطلب فضل ما عنده من الرزق الواسع ، والعمر الطويل ، مع صحة البدن والسلامة من كل آفة ، والنصرة على عدوي ، واسأله الخير لنفسي ولمن يوافقني في ديني ومذهبي ، فلا اعبأ بمن يخالفني ، بل اعتقد أن من يخالفني دمه لي يحل ، وحرام علي نصرته ونصيحته ، والرحمة به .

« ثم قال المجوسي : قد اخبرتك بمذهبي وعقيدتي وما اشتمل عليه ضميري ، فخبّرني انت ايضاً عن شأنك وعقيدتك وما تدين به ربك ؟ فقال المجوسي :

« اما عقيدتي ورأيي ، فهو اني اريد الخير لنفسي وابناء جنسي ، ولا اريد لاحد من عباد الله سوءاً ، ولا اتمنّى له ضرّاً ، لا لموافقي ولا لمخالفي . فقال اليهودي : وان ظلمك وتعدى عليك ؟ قال : نعم ، لأني أعلم ان في هذه السماء الهاً خبيراً عالماً حكيماً لا تخفى عليه خافية من شيء ، وهو يجزي المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته . فقال اليهودي : يا فلان ، لست اراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك . قال المجوسي : كيف ذاك ؟ قال : لأني من أبناء جنسك ، وبشر مثلك ، وتراني امشي جائعاً نصباً مجهوداً ، وانت راكبٌ وادع مرفّه شبعان . فقال صدقت ، وماذا تبغي ؟ قال : اطعمني

من زادك ، واحملني ساعة ، فقد كللت وضعفت. قال : نعم وكرامة . فنزل ومدّ من سفرته واطعمه واشبعه ، ثم اركبه ، ومشى ساعة يحدثه .فلما ملك اليهودي البغلة وعلم ان المجوسي قد اعيا ، حرّك البغلة وسبقه ، وجعل المجوسي يمشي ولا يلحقه ، فناداه : يا فلان ، قف لي وانزل ، فقد انحسرت وانبهرت. فقال اليهودي : الم اخبرك عن مذهبي وخبرتني عن مذهبك ، ونصرته وحققتَه؟ فأنا اريد ايضاً ان احقق مذهبي وانصر رأيي واعتقادي . وجعل يحرك البغلة ، والمجوسي يقفوه على ظلع وينادي : قف يا هذا واحملني ، ولا تتركني في هذا الموضع فيأكلني السبع وأموت ضياعاً ، وارحمني كما رحمتك . واليهودي لا يلوي على ندائه واستغاثته ، حتى غاب عن بصره . فلما يئس المجوسي منه واشفى على الهلكة ، ذكر اعتقاده وما وصف به ربه ، فرفع طرفه الى السماء وقال : الهي قد علمتَ اني اعتقدت مذهباً ونصرته ، ووصفتك بما انت اهله ، وقد سمعتَ وعلمتَ فحقق عند هذا الباغي عليّ ما مجدتك به ، ليعلم حقيقة ما قلت . فما مشى المجوسي الا قليلاً حتى رأى اليهودي وقد رمت به البغلة ، واندقت عنقه وهي واقفة ناحية منه تنتظر صاحبها. فلما ادرك المجوسي بغلته ركبها ، ومضى لسبيله ، وترك اليهودي معالجاً لكرب الموت . فناداه اليهودي : يا فلان ، ارحمني واحملني ولا تتركني في هذه البرية اهلك جوعاً وعطشاً ، وانصر مذهبك ، وحقق اعتقادك... قال المجوسي : قد فعلت ذلك مرتين ، ولكنك لم تفهم ما قلتُ لك ، ولم تعقل ما وصفتُ . فقال اليهودي : وكيف ذلك ؟ قال : لاني وصفت لك مذهبي فلم تصدقني في قولي ، حتى حققته بفعلي ، وذاك اني قلت : « ان في هذا السماء الهاً خبيراً عادلاً لا يخفى عليه شيء ، وهو وليّ جزاء المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته . قال اليهودي . قد فهمتُ ما قلتَ ، وعلمتُ ما وصفتَ . قال المجوسي : فما الذي منعك من أن تتعظ بما سمعت ؟ قال اليهودي : اعتقادٌ نشأت عليه ، ومذهبٌ تربيت به ، وصار مألوفاً معتاداً كالجبلة بطول الدأب فيه ، واستعمال ابنيته ، اقتداء بالآباء والاجداد والمعلمين من اهل ديني ومن اهل مذهبي ، وقد صار ذلك كالأس الثابت ، والأصل النابت ، ويصعب ما هذا وصفه

ان يترك ويرفض ويزال .

« فرحمه المجوسي وحمله معه حتى وافى المدينة ، وسلمه الى اوليائه محطماً موجعاً ، وحدّث النـــاس بحديثه وقصته ، فكانوا يتعجبون من شأنهما زماناً طويلاً .

«وقال بعض الناس للمجوسي بعد : كيف رحمته بعد خيانته لك وبعـد احسانك اليه ؟ قال المجوسي : اعتــذر بحاله التي نشأ فيهـــا ، ودأب عمره في اعتقادها ، وسعى لها واعتادها ، وعلمتُ ان هذا شديد الزوال عنـــه ، وصدقته ورحمته ، وهذا مني شكر على صنع الله بي حين دعوته عندما دهاني منه ، وبالرحمة الاولى اعانني ربي، وبالرحمة الثانية شكرته على ما صنع بي». انتهت الواقعة.

* * *

ونقول :

١ – ان امثال هذه النماذج لما يملأ مجلدات ، حقاً .

٢ – غير اننا نرى اليهودي لما تركه المجوسي بعد الخيانة، وصف للمجوسي السبب الذي لا يساعده على ان يكون انساناً ، وذلـــك ما نشأ عليه نشأة خالطت دمه اباً عن جد ، جيلاً بعد جيل ، وكان اليهودي بهذا الكشف عن حقيقة نفسه في المأزق الحرج ، انما يكشف عن شيء وان كان عاراً بنفسه ، غير انه هو الحقيقة التي لا ريب فيها ، واعتقد اليهودي ان الكشف عن هـذه الحقيقة لا بد ان تقنع المجوسي وقد كان ذلك .

٣ – اما المهم في وجهة نظرنا اليوم فهو هذا : ان ما وصف به اليهودي نفسه ، هذا الوصف المعرّي للانسان من انسانيتـــه ، هو من روح التلمود ، والقبالا، وهذا ما يدأب الحاخامون يلقنونه في المدارس اليهودية ، والكنيس، ويحاذرون ان يكشفوه لغير اليهود .

٤ – وهذا قبل اليوم بألف سنة! وهذا الخلق لا يفنى بالموت، بل ينتقل بالوراثة كما قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس قبـل الفي سنة . كل هذا تجلّت روحه في البروتوكولات .

(٦) القبّالا او القبّالة

روح التلمود أو عصيره

هذا بحث غريب في جدته العربية، وعويص في استلال خيوطه من العنكبوتيات التلمودية ، ظاهره انه يروح ويجيء في نطاق الخرافات ويغرّب ويشرّق في افق الاوهام ، واليهود حتى يفرغوا عليه مسحة من التغطية والتضليل قالوا انه « التصوف اليهودي » المغرق في الروحانيات ، وجاراهم في هذا كثير من كتبة الفرنج، والعرب عن هذا غافلون ؛ وباطنه الذي لا ريب فيه انه هو يجسّد روح التلمود وعصيره ، وسترى الآن مصداق هذا وتحليله وتعليله . والعرب قد خلت كتبهم وتواريخهم ، وصحفهم ومجلاتهم ، ومجالات ابحاثهم، في القديم والحديث من الزمن ، من ذكر القبالا التي هي هذا التجسيد لغايات التلمود في «بروتوكولات حكماء صهيون» وقد ذكرتها البروتوكولات صريحاً واشارت اليها في آخر البروتوكول السابع عشر[١] .

ففي هذا البروتوكول «السابع عشر» تناول الحكماء مسألة التجسس ونظامه في الدولة الداودية (الموهومة) المقبلة ، بعد استئصال المسيحية والاسلام ، وتعقيم العقول الكبيرة عند الامم والشعوب غير اليهود ، وقد زالت دولها وحكوماتها ومختلف منظماتها في المجتمع . ومما قرره الحكماء في تعيين العقاب

---

(١) نقاط هذا البروتوكول تشمل : المحاماة ونظامها في الدولة الداودية ـ القضاء على نفوذ رجال الدين عند الغوييم (غير اليهود) ـ البلاط البابوي ـ ملك اليهود محل الاب البابوي ـ كيف تكافح الكنيسة ـ واجبات الصحف في الدولة الداودية ـ منظمة البوليس ـ التجسس على منوال التجسس المعمول به في منظمات القبالا ،

والجزاء لمن لا يبلّغ الحكومة ما يطلع عليه من امور ضارة بالدولة اليهودية، ان يكون ذلك الجزاء على غرار ما هو جارٍ اليوم عند «القبـــالا» [٢]. ومن المفيد ان ننقل الفقرة المعنية في البروتوكول ١٧ وهي : —

« وكما تجري الامور من هذه الناحية الاخبارية في بيئتنا اليوم (اي بيئة القبالا) كذلك تجري في المستقبل وتبقى على صفتها هـذه . فاخواننا اليوم (اي اليهود) مكلفون ، تحت طائلة اخذهم بالمسؤولية والحساب العسير في حالة الاهمال والتقصير ، بأن يبلّغوا هيئة « القبالا » عما يقع لهم ان يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودي من اقربائهم ، أو ما يرونـه من شغب على هيئة القبالا أو قذفها بتهمة ، كذلك سيكون الامر في مملكتنا علناً في ارجاء العالم كله ، ويمسي من الواجب على رعايانا ، بلا استثناء ، ملاحظة هذه الخدمة للدولة » . انتهى . اي ان ما يجب على اليهودي في هـذا الأمر من التطوع بالتجسس ، يجب ايضاً على كل مسيحي ومسلم عندما تقوم الدولة الداودية (الموهومة) .

* * *

القبالا نابعة من التلمود ، ولذلك جاء دورهـا الفعّال في العصور التالية لعصر ظهور التلمود ، لا في عصر ظهور التلمود ، وكل هذا تعود بذوره الأولى الى عزرا وحزقيال ونحميا ودانيال واستير ومردخاي ، في القرن الخامس قبل المسيح ، ايام السبي الثاني النبوخذناصري ، يوم خشي اليهود المسبيون من اورشليم ، وقد خربت اورشليم ، وخرب الهيكل ، ونقلت كنوزه الى بابل، ان يحلّ بهم في هذا السبي الجارف وهم سبطان ونصف السبط ، ما قد حلّ قبل قرن ، وبعض القرن ، باخوانهم يهود السامرة الذين سباهم سرجون الثاني الاشوري الى العراق ، وهم تسعة اسباط ونصف السبط ، فاضمحلوا وبادوا ، وخفيت حتى عن بقية اليهود في فلسطين اخبـــارهم ، وانقلبت قصتهم في النهاية الى اسطورة ، تتعلق بكيفية اضمحلال اهل السبي الأول . هذا مـا

(٢) هو القتل او «الاعدام» وهذا مصرح به في مواطن عديدة في البروتوكولات .

اقام اهل السبي الثاني واقعدهم ، فراحوا بمختلف قواهم الشريرة يختلقون اسباب البقاء ، مما اوجزنا اخباره في تراجم اولئك الزعمـــاء اليهود الكبار المسمين بالانبياء [١] . فصنع عزرا ونحميا في بيت المقدس ما صنعا ، وقدسبق ايجازه في فصول تراجم الانبياء ، وكان بعد ذلك نشوء الفرق اليهوديـة بعد فتح الاسكندر ، وظهور فرقة الفريسيين التي منها ومن غيرها كان يؤلف المجمع الاكبر المسمى « بالسنهدرين » ، والسنهدرين ظل ينتقل من مكان الى مكان ، فبعد خراب القدس سنة ٧٠ ب.م. انتقل الى بلدة يبنا « قرب يافا» ومن يبنا الى طبرية ، وفي طبرية بدأ الحكماء يضعون اساس التلمود ، زاعمين انه هو شريعة موسى الشفوية ، والشريعة الشفوية هي في القوة كالشريعـــة المكتوبة ، وذكرنا قصة نشوء التلمود ، فلما ظهرت القبالا ، اعطتنا موجـة جديدة رهيبة من موجات الروح اليهودية الخفية ، وبقيت القبالا الى اليوم ، قائمة ، مستترة ، محجوبة ، هي المنظمات التي يعيش في بيئاتها حكماء صهيون فلما بحثنا قصة التلمود وما اليه ، فقد جئنا الان نبحث قدر ما نستطيع قصة القبالا .

ومن دهاليز القبـــالا خرجت الأفاعي الجديدة في الثورة الفرنسية ، ومنذ الثورة الفرنسية ، وفي اواخر القرن الماضي ، انتظم القباليون التلموديون في مؤتمر ١٨٩٧ تحت رياسة هرتزل ، وفي هـــذا المؤتمر اتخـــذت المقررات المسماة « بالبروتوكولات » .

* * *

ونرى انه من التيسير على القارىء العربي ، ان نفرغ الكلام في فقرات ، كل فقرة تشتمل على معنى مفرد ، او ناحية ، ليسهل تحصيل الصورة العامة في الذهن ، ثم لا يكون من الصعب بعد ذلك ان يعلم القارىء من مجموع مـــا

---

(١) يلاحظ القارىء العربي اننا كثيراً ما كررنا الاشارة الى هذه الناحية في هذه الاجزاء ، لانها في نظرنا نقطة اعتبار خطيرة في متابعة هذه الروح اليهودية الى ينابيعها ومصادرها الاولى.

يطلع عليه في هـذه الكتب ، مـا هي اليهودية العالمية اليوم وراء المظاهر المضللة .

* * *

١) منشئو القبالا يردون اصلهم « المعنوي » الروحي ، الى كلمـات في سفر دانيال ، ودانيال كما نعلم ، كان من رجال السبي (القرن ٥ و ٤ ق.م.) اشتهر بتفسير الهواجس النفسية ، والاحـلام والرؤى وقراءة المستقبـل السياسي ، مطلاً من وراء كبريات الحوادث الواقعة في دول الشرق الاوسط وقتئذٍ ، من الفرس او دولة مادي وفارس ، والكلدان ، او الدولة البابلية الثانية ، والاغريق ، والفراعنة .

وسفر دانيـال لذيذة مطالعته لمـا فيه من ذكر التنبوءآت الفلكية ، والكلدان زها عندهم علم التنجيم ومراقبة الحركات الفلكية زهواً رفيعـاً ، واشتقوا من هـذا علوماً ؛ فالسحر كله او معظمه من هنا ، وعمّ السحر العـالم القديم ، حتى استقر في الاذهان كأنه قوة ضرورية في الأرض . ولم يكن دانيال بعد أن أُخذ في السبي ، الا بارعاً في هذه العلوم كلها . ومـا جرى عليه اليهود من امر العمل لحفظ كيانهم بالتوراتين : المكتوبة والشفوية، وكلتاهما من موسى كما يقولون .

٢) دانيال كان في مسوح عالم ، منجم فلكي ، سياسي ، طموح ، يعمل في سبيل العودة الى اورشليم هو وقومه . سفره مؤلف من ١٢ فصلاً في نحو من ٢٥ صفحة لا اكثر . وفي الفصلين الاخيرين تكلم عن ملك الشمال وملك الجنوب ، وعن المركبات والسفن والفرسان ، والحرب وذهاب دولة ، وقيام اخرى ، وهو يريد من خلال هذا كله ان يرمز الى عودة اليهود ، لكن من خلال ماذا ؟ من خلال الحروب الكبرى بين تلك الدول . وهذا ما رآه العالم المعاصر من امر اليهود في الحربين العالميتين في خلال الثلثين الاولين من هـذا القرن ، بعد دانيال بخمسة وعشرين قرناً ، فتأمل .

دانيال يرمز ايضاً الى نوع من الرجال اليهود، هم الذين سيقومون بالعبء، ووصف هؤلاء وصفاً مبهجاً . وبعد ان قال دانيال عبارته التي حشاها ما شاءَ من رموز ، نطق مباشرة : « اما انت يا دانيال فأخفِ الكلام واختم السفر الى وقت النهاية ، كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد » . ولما ودّع دانيال « الرجل اللابس الكتان » ، كانت آخر كلماته : « اذهب يا دانيال لان الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية » . (راجع الفصلين الاخيرين من سفر دانيال) .

٣) اما كلمات دانيال التي اتخذها القباليون دستورهم وقالوا : انما نحن المعنيون بهذا ، لا غيرنا ، فهي هذه : « والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى ابد الدهور » (فصل ١٢ : ٣ الترجمة الاميركية) اما في الترجمة اليسوعية فالكلام هو هذا : « ويضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثيرين ابراراً كالكواكب الى الدهر والابد» .

عندنا الآن لفظتا « الفاهمون » في الترجمة البروتستنلية ، و « العقلاء » في الترجمة اليسوعية . وليست لدينا نسخة من ترجمة احمد فارس الشدياق لنعلم بماذا كانت ترجمته هو . اما هذه الكلمة « بالانكليزية فهي Wise وبالعبرية « مسكليم » . ونعتقد انه كان اصح لو ترجمت هذه اللفظة « بحكماء » . فاذا كانت ملاحظتنا هذه في محلها ، فتصبح عبارة الترجمة هكذا : « والحكماء يضيئون » ، او « ويضيء الحكماء » .

* * *

٤) وقال القباليون انما نحن « الحكماء » الذين اشار اليهم دانيال . وتطرّد قافلة « الحكماء » بعد ذلك ، تلموديين وقباليين ، حتى نصل الى الحكماء المحدثين ، آخر حلقة : « حكماء صهيون » في هذا العصر .

٥) معنى « القبالة » في العربية ، نقلاً لمعناها عند اليهود ، القبول او التلقي للرواية الشفوية . قال لويس غنزبرغ L. Ginsberg استاذ التلمود في

المدرسة اللاهوتية في نيويورك (سنة ١٩٠٢) : القبالة مصطلح يراد به التعليم الباطني المتعلق بالله والكائنات ، ونزل هذا وحياً على اكرم القديسين في الزمن القديم الاقدم ، واحتفظ به عدد قليل من الاخيار » . وقال غنزبرع ايضاً : « كانت القبالة في مراحلها الاولى تدعى « الحكمة المستورة »
The Hidden Wisdom

واطلق على دارسيها « طلاب النعمة » وقال صاحب كتاب « تاريخ اليهود من اقدم الازمنة الى العصر الحديث » ، هـ . هـ . فلمان : « القبالة سر فوق الاسرار . ادعت القدم ، والوحي والرواية عن الاوائل . والقبالة كانت قائمة على علم التنجيم السحري ، تعاطاه كثيرون فسمّوا « الحكماء » ، وجعلوا هذا الاسم يتضمن المعنى الباطني لتفسير « الناموس والانبياء » . درسوا التلمود ثم اجتازوه الى تعاليم هي اعلى وابعد . كان كتابهم « الاشراق » [1] (الزوهر) دستورهم المقدس . والقبالة السرية تبدو على طول المدى انها كشفت عن اسرارها للعالم الخارجي [2] . وقال فلمان في موضع آخر وهو يشرح معنى القبالة : « يعنى بكلمة قبالة عادة تلك الطريقة الفلسفية الشرقية الغريبة التي ادخلت في وقت غير معلوم التاريخ ، على المذاهب اليهودية ، وبعبارة اوضح ، تحتوي القبالة على جميع آراء الربانيين في الشؤون الدينية والمدنية . واما معناها الخاص بوجه الحصر فهي تعني تلك المعرفة التي رَشَحَتْ تقاليدها من الاسرار الخفية الموجودة في حروف الشريعة وكلماتها، وعدد المرات التي وردت فيها ، ومواضع ذلك . وحتى موسى بن ميمون كان يستعمل كلمة القبالا كمترادف للتفسير الشفوي (المنقول بالرواية عن موسى) . والقبالة تعلّم جميع المعاني الرمزية « لتجسيم الله » تعليماً مفصلا (ص ٤٢٤) .

٦) وقال البروفسور فرانك صاحب كتاب « القبالة والفلسفة الدينية

---

(١) سيأتي بعد قليل الكلام على هذا الكتاب الذي هو مستودع اسرار القبالا .

(٢) ص (٤٣٧) من كتاب تاريخ اليهود ـ المصدر السابق .

عند العبرانيين [١] » ما نورده بايجاز :

★ ربما عادت القبالة بأوليتها الى ايام السبي ، واذا لم ينطبق هذا على كلها فانه ينطبق على بعضها .

★ اما القبالة في شكلها الذي انتهى الينا ، وبمعناها الحاصل اليوم ، فهي تعود الى القرن الاول (الميلادي) .

★ القباليون يدعون ان كتاب « التكوين » عندهم مستمد من موسى وموسى استمده من ابراهيم ، اذا لم يكن من آدم ، او ممن هو اعلى من آدم واقدم . واما كتاب « الاشراق » — « الزوهر » — عندهم ومعناه الضياء اوالنور فيرجع الى عصر احدث .

★ اصل منشأ القبالة يعود الىذلك الزمن الذي كان فيه العقل اليهودي في خلال السبي ، منغمساً في الآراء الشرقية ودين الفرس وزردشت .

★ من اوليات مبادىء القبالة وتعاليمها وعقائدها ، ولا سيما ما اخذوه من اساطير التلمود ، ما يتفق تماماً مع « زندافستا » [٢] اتفاقاً مقنعاً.

---

(١) طبع في باريز سنة ١٨٤٣ .

(٢) زند (Zend) اصل معناها التفسير او الشرح ، وهي لغة الفرس القديمة ، وينابيعها الجذرية تلتقي كثيراً واللغة السنسكريتية ، وفي لغة الزند كتبت تعاليم زردشت الذي صار يعرف اتباعه « بعبدة النار » وبقاياهم الى اليوم طائفة في الهند ولا سيا بومبي . وفي العربيـــة فارس مقابل Parsi او Parsees

اما زردشت فكان في زمن (٦٠٠ ؟ — ٥٣٨ ?) وعلى قول علماء آخرين (٧٥٠ ؟ — ٥٠٠ ق.م ، تقريباً) وهو بأول امره مصلح ديني لما كان عليـــه الفرس من عبادة الطبيعة . وعنده ان « اهورا مزدا » Ahura Mazda او هرمز ، هو رئيس آلهـــة الخير ، كما ان اهريمان Ahrima هو رئيس آلهة الشر ، او هو الشيطان . والتنازع المستمر بين هذين الاثنين هو مصدر قوى الكائنات ، وفي النهاية ينتصر هرمز . وازدهر هذا الدين في عهد الدولة الاخمينية (٦٠٠ — ٥٥٠ ق.م. تقريباً) ثم تضعضع واضطرب بفتح الاسكندر لفارس ثم انتعش في الدولة الساسانية (٢٢٦ — ٦٥١ ب.م. التي ذهبت بالفتح الاسلامي) وتقول بقية الفرس من عبدة النار الذين في الهند انهم هم لا يعبدون النار ، وانما يقدسونها تقديساً ، والغموض يكتنف عقائد عبدة النار حتى اليوم .

★ اسست القبالا اول موطن لها في فلسطين بعد العودة من السبي . ومن فلسطين انتقلت الى الاسكندرية حيث ترى آثار هـذا في الترجمة السبعينية للتوراة ، وفي كتب فيلو[١] .

★ تعاليم القبالة لمّا مر بها فيلو عجنها ومزج بعضها ببعض ، مستعيناً بالفلسفة اليونانية ، مما تحوّل بالتالي وتطور الى مذهب صوفي باطني . ومع هذا فلا يصح ان يقال ان الاسكندرية هي مصدر القبالة .

★ القبالة نتاج يهودي من حيث العنصر الاساسي فيها ، وما عدا فيلو فالقباليون يجهلون اليونانية وفلسفتها .

★ رغم ما أخذت القبالة من الزردشتية من جموح وخيال وتطوح ، مما اعطاها صفة ميثولوجية ، فقد بقيت في جوهرها موسوية يهودية .

★ القبالة ترفض المثنوية او الشرك ، مما وصلت اليه عقائد فارس .

★ من غرائب القبالة :

اللانهاية تمثلها الكثرة في الزمان والمكان . كان الواحد من القدماء

---

(١) Philo او Philcn فيلو على الغالب وفيلون على الاقل ، فيلسوف يهودي عاش في الاسكندرية، تقريباً من سنة ٢٠ ق.م – ٥٠ ب.م. ولعله اول يهودي قيل له فيلسوف . اتخذ الشريعة الموسوية اساساً لآرائه مستعيناً بمصطلحات الفلسفة اليونانية للتعبير عن افكاره وللتوفيق بين الفلسفة والتوراة ، وكان عنده للرموز شأن كبير ، وربما كان من هذه الناحية متأثراًبدانيال، وعنده ان الله خلق العالم لا خلقاً تواً بل رَشَحَ الى العالم رَشْحاً من قدرته وصفاته . وبتعاليم فيلو تأثرت الكنيسة الاولى ، وبعض فلاسفة العرب بعد قرون لما درسوا الفلسفة اليونانية . وكان فيلو يرى ان اليهود في زمنه يصعب عليهم بسبب ضخامة عددهم ان يجتمعوا ويعيشوا معاً في بلد واحد . فمواطنهم المختلفة التي كانوا وقتئذ يقيمون فيها ينبغي ان تكون مواطنهم المعاشية، واما القدس حيث الهيكل المقدس فهي عاصمتهم الروحية ، ولا ينبغي ان تكون العاصمة الزمنية المادية . وفي ذلك الوقت كانت المطامح اليهودية ترمي الى ترسيخ اقدامهم في شمال افريقياوقبرص وشرقي البحر المتوسط ، لكي يحلوا محل قرطاجنة ويخلفوا الرومان في الشرق . ونسترعي انتباه القارىء العربي الى هذا .اما هرتزل فكان مخططه على النقيض من رأي فيلو ، ومثل هرتزل جميع حكماء صهيون واضعي البروتوكولات .

الاولين طول وجهه اكبر من عشرة آلاف عـالم بثلاث مئة وسبعين مرة ، ولون وجهه يضيء اربع مئـة الف عالم . وكل يوم ينبثق من عقله اربع مئـة الف عالم ، وهـذا هو ميراث الفائزين في الآخرة (ص ٢٧١ المصدر السابق)

★ للانسان عند القبالة منزلة عالية، فهو صورة الله وهو ادنى من الملائكة. والشياطين والعفاريت ما هي الا اسمـاء اخرى لشهواته واستكباره وقسوته ، وهنا تختلف القبالة عن الزردشتية .

★ الزردشتية هي ميثولوجيا ، والقبالة فلسفة .

★ في القبالة شرر من علم الطبيعة ، وفيهـا كما في التلمود ، ان الارض كروية ، وتدور على محور ، ولها قطب .

★ ثم انحطت القبالة كما انحطت الافلاطونية الجديدة ، حتى أمست اخيراً، سحراً وشعوذة وطلاسم وتدجيلاً من كل ضرب . فأوّلوا التوراة ، ووضعوا للاعداد ٧ – ١٠ – ١٢ – ٣٢ – معاني رمزية خاصة .

★ تعزى القبالة في كثير من اوضاعها الى الربي عقيبة وسمعان بن يوشاي، وهما قد صنعا الأعاجيب من كلمات التوراة واستخراج الرموز منها.

★ لكن حملة التلمود ، لما رأوا القبـاليين ، يصولون ويجولون ، حتى فاقوهم في التطوح ، اخذوا ينظرون اليهم بعين الحسد ، وقالوا ان القباليين يتلاعبون بالاشياء المنهي عنها ، ويودون معرفـة المغلقات والمغيبات ، ويمارسون فنوناً محرمة (قلنا : التلمود، على نحو ما رأينا، ايعرف المحرمات!!) واستغرقت القبالة في السحر والشعوذة والتنجيم. راجع ما قلنا في دانيال .

★ تأثرت اوربا بالقبالة في القرون الوسطى ، فالى جانب القبالة اليهودية صار هناك قبالة مختلطة بظواهر العلوم .

★ وفي الاندلس اختلطت بالفلسفة العربية . (ص ٤٤٣ و ٤٤٤ المصدر السابق).

* * *

قلنا ، ومعنى «القبالا» في المعاجم الاوروبية، لا شيء من المعاني الصوفية، الا كأحد المعاني الجمة الاخرى . اما البارز من معانيها المعجمية فهو الطغمة التي تتشح بالظلام وتعمل بالمؤامرات الخفية ، وحبك الدسائس ، حتى اذا قلت : هذا «قبالي» ، فكأنك قلت هوذا الرجل الغامض لا يؤمن له ويجب أن يتقى شره . وكيف لا يكون هذا والقباليون جعلوا لكل حرف وكلمة من التوراة معنى باطنياً رمزياً . فانظر وتأمل. وظلوا في سيرهم حتى انتظموا في الزمن الحديث هم ورفقتهم في الحظيرة الكبرى للقباليين : «حكماء صهيون» وهذه البروتوكولات من ثمارهم .

* * *

٧ ـ النحمانية والميمونية في القبالا

(موسى بن نحمان وموسى بن ميمون)

جاء في كتاب « دراسات في اليهودية » [١] .

« وهذه سجايا المعلمين الكبيرين في اليهودية : ابن ميمون ونحمان . فان كليهما انبثقا من جبين آدم ، واخذ القباليون ينسجون حول هـذه الفكرة الهالات المتلألئة : ابن ميمون كان جوهره في خصلة الشعر للجهة اليسرى من آدم ، وهـذه يوم القيامة الحساب والعذاب ، ونحمان كان جوهره في خصلة الشعر للجهة اليمنى ، وهذه تمثل اللطف والرحمة (ص ٩٩) .

وقال المؤلف : « وقد اخترت هذه الفاتحة ، ومن هنا ابتدىء ، حتى لا اخطىء الهدف : نحمان كان تلموديا عظيماً، وعالماً محيطاً بالتوراة ،وفيلسوفاً مجادلاً ، وربما كان أيضاً طبيباً، وبكلمة موجزة : انه كان رأساً في كل شيء.

« ولد في جيرونة (اسبانيا) حوالي ١١٩٥ ميلادية . وجيرونة بليدة في اقليم قشتالة ، ومع انهـا في اسبانيا ، فانها لم تشتهر بفلاسفتها وشعرائها كما اشتهرت غرناطة وبرشلونة وطليطلة . ولوقوعها في الشمال من اسبانيا ، فقـد كانت تتأثر بميول وعواطف من النفوذ الفرنسي اليهودي . اما افتخارها فهو بما انجبته من علماء التلمود مثل زراحيا اللاوّي ، وعزرا بن بكـّار . واطلع نحمان على كتاب « حكمة سليمان » في السريانيه،وهذا الكتاب موضوع منتحل

---

(١) Studies in Jadaism لمؤلفه س . شختر « جمعية النشر اليهودية » في بنسلفانيا . الطبعة الاولى سنة ١٨٩٦ والثانية ١٩١٥ وقال المؤلف ان هـذه الابحاث سبق نشرها في مجلتي « جويش كرونكل » (التاريخ اليهودي) « وجويش كوارتلي » المجلة الدورية الربع سنوية .

(ابو كريفا) وقد جاء فيه :

« فصلّيت وأعطيتُ الحكمة . وسألت الله فنزّل علي روح الحكمة ، اذ اعطاني معرفة لا تخطىء اخذتُ منها كيف خلق الله العالم ، ووقفت على حركة الافلاك ، وسير الزمن في ازليته وابديته وما بينهما ، ودوران الشمس وانتقالها في ابراجها ، واختلاف الفصول ، وطبائع المخلوقات الحية من انسان وحيوان ، وقوة الارواح والقوة العقلية في الانسان ، واختلاف انواع النبات، وفضائل الجذور في التربة ، وكل ما هو ظاهر وباطن من العلوم قد اصبته » (ص ١٢٦)

« والملك الحكيم الذي يستمد منه كل هذا ، هو برأى نحمان « التوراة » والتوراة هي هذه الحكمة بعينها ، والحكمة هذه كائنة قبل الخليقة ، وبها خطّط الله العالم والكائنات ، ولذلك تحوي التوراة علوم الدنيا بأسرها . واذا قال : « اطلعني الملك على المكنون عنده » فهو يعني بالملك التوراة والاسرار العظيمة » (ص ١٢٧) .

ثم قال المؤلف شختر : « وعلينا ان نكتفي بهذه القبسات القليلة او الشرارات الضئيلة من النار المتقدة من هذه الاسرار ، لكي ندل بهذا على شخصية نحمان . ولا اود مرافقة هذا الصوفي الى المخادع العظيمة ، « مخادع الملك »، حتى لا نصل بالتالي الى دياميس كلها مصطلحات غامضة ومستعصية على الافهام ، فنرى امامنا « الابواب الخمسين » للمعرفة ، « والمائتين والواحد والثلاثين لرموز الحروف الهجائية »، وهذا كله له مفاتيح لا افقه منها شيئاً. وهذه امور اشك في انها تستحق بذل العناء في سبيلها ، ولا سيما عندما يرى الواحد منا عند القبالا مثل هذه الاسماء المتراكمة المقفلة الغامضة .

« الأرض ؟ الحياة؟ ارض الموعد ؟ رب العالم ؟ حجر الاساس ؟ صهيون؟ الأم ؟ — البنت ؟ — الاخت ؟ جماعة اسرائيل؟الوردتان التوأمان ؟ العروس؟ الازرق ؟ النهاية ؟ الشريعة الشفوية ؟ البحر ؟ الحكمة ؟ وهذا كله يدل على

موصوف واحد ، شيء واحد بعينه ، فلا بد للباحث ان يشك ويرتاب، وهو امام جرف من الكلمات المعمّاة ، ويعترف بانه عاجز عن فهمها » .

* * *

« عند الربيين ان من لا عقب له فهو في حكم الميت . وعند القبالا ان من يموت بلا عقب فيعد محروم الرزق في الدنيا ، وسيولد ثانية على الارض حتى يولد له ولده ، وهذه غاية الانسان » (ص ٢٨٣)

و «يقول الربيون انه لما جعل الرجال يعطون الذهب والحلي ليصنع منه العجل الذهبي ، امتنعت النساء عن العطاء ، فكوفئن على عملهن هذا بأن أُعطين يوم راحة . ويقول بعض القباليين ، زيادة على ما تقدم ، أن الذين عبدوا العجل الذهبي لم يزالوا على الأرض ، وارواحهم تنتقل من جسد الى جسد ، ومع هذا الجزاء فقد جعلت النساء مسيطرات عليهم» (ص٣١٥) .

انتهى ما نقلناه من «شختر» .

* * *

موسى بن ميمون

موسى بن ميمون كما ذكرته مصادر يهودية جمة ، فيلسوف تلمودي فلكي طبيب . ولد في قرطبة ١١٣٥ ميلادية ومات في القاهرة ١٢٠٤ وهو في الكتب العربية للتراجم : ابو عمران موسى بن ميمون بن عبدالله «واما كتاب «تاريخ موسى الثاني» الموضوع في وصفه فأكثره أساطير . كان عمر موسى بن ميمون ١٣ سنة لما استولى « الموحدون » على قرطبة ، والموحدون مفرطون في عصبيتهم الاسلامية ، فتعين على موسى وقومه اما الاسلام واما الجلاء ، فاختاروا الجلاء ، وبقي ١٣ سنة يعيش في حلّ وترحال في أسبانيا هائماً لا يستقر له قرار .

وفي سنة ١١٦٠ جاء فاس والقى عصاه فيها ، وفي وهمه انه يستطيع

الاجتياز والمرور اذا تظاهر بالاسلام تظاهراً ، فعرّضه هـذا الى مزيد من ملاقاة الاخطار ، لكن لما صار اسم الميمونية يشيع ، انتبهت له السلطات الرسمية وما عسى ان تكون حقيقته ، وما شأنه وشأن طريقته . واتّهم بانه ارتد عن الاسلام ولولا شفاعة صديق له مسلم ، شاعر متصوف ، لكان مصير موسى الهلكة ، وكذلك مصير يهوذا بن شاشان ، بضرب عنقيهما . وهذا ما دعاه للهجرة من فاس سنة ١١٦٥ بعد ان اقام فيها حوالي خمس سنين . فجاء عكاء وبيت المقدس ، ثم استقر في الفسطاط (القاهرة) .

هذا ما ورد في مجمل ترجمته في دائرة المعارف اليهودية. وبعد هذا الكلام وصف مطول لفلسفته مع نماذج من خطـه باللفظ العربي والحرف العبري في كتابه «دلالة الحائرين» . وأما صاحب كتاب « دراسات يهودية » فقد ذكر ان اهم اعتراضات المعترضين على موسى بن ميمون غلوه في التفسيرات العقلية عما يتعلق بالوحي ، وتأويلاته للتوراة ، حتى كاد يبلغ به الامر ان ينكر الوحي . واتهم بانكار البعث بالاجساد .

لكن واضع الترجمة لموسى بن ميمون في دائرة المعارف اليهودية ، تجاهل ناحية مهمة في حياة بن ميمون في مصر ، كما هو شأن كتّاب اليهود ان يفعلوا مثله ، وهو ان يتجاهلوا نعمة العرب عليهم ، فقد عطف السلطان صلاح الدين على بن ميمون وقرّبه واتخذه طبيبه الخاص . واما عمل موسى بن ميمون في العقائد القبالية فقد كان قبالياً فحلاً كبيراً ، وامتد بقباليته الى حدود جعلته يؤلف كتابه «دلالة الحائرين» فأما اللفظ فعربي واما الكتابة فبحروف عبرية ، لكي يخفي عن المسلمين المقيم في كنفهم وحمى سلطانهم ما يريـد ان يبثه في كتابه من عقائد قبالية لو كشف عنها الغطاء ، لطاحت بعنقة .

هذا قبالي ينبغي ان يعد قبل اليوم بأكثر من ٨٠٠ سنة احد « الحكماء » الذين نتكلم عنهم في هذا الكتاب. وقد ورد ذكر موسى بن ميمون في مواضع اخرى من هذا الكتاب .

* * *

٨ ـ كتاب «الاشراق»
هو دستور «القبالا»
اسمه في العبرية «الزوهر»

وشبتاي لاوي المسيح الكذاب في القرن السابع عشر

في القرن الثالث عشر للميلاد ، ظهر في اسبانيا كتاب « الاشراق » وهو كتاب غريب النوع ، والمحتويات غرابة القبالا نفسها ، وما لها من مذاهب . رأينا ان نورد صفوتها في هذا الكتاب :

« الاشراق » متخم بأخبار خلق العالم ، وطبيعة الله ، والمعاني الباطنية في التوراة ، والرموز الخفية في كل حرف وكلمة ، مما يظهر أسرار الوجود وعلل الكون . يعتقد ان واضعه الربي سمعان بن يوشاي في القرن الثاني للميلاد . وأما أعداء سمعان والمخالفون له فيقولون ان هذا الكتاب موضوع ومزوَّر ، وكان تزويره في القرن ١٣ » .

ومضت عدة قرون بعد ظهوره فلم يكن له عند اليهود شأن يذكر ، لكن بعد طردهم من اسبانيا اواخر القرن الخامس عشر ، بدت أمور جديدة ، فقيل ان هذه النكبة بشير لليهود بقرب مجيء المسيح ، « مسيا » ، المخلص المنقذ ، وما بعد الظلام الدامس إلا الفجر . وقام واحد بعد آخر من الأدعياء الكذبة الدجالين ادعى كل منهم انه المسيح ، واستثاروا الشعور اليهودي نحو فلسطين ثم كانت حركاتهم تنتهي بالشعوذة والفشل . في هذه الأوقات علا كتاب « الاشراق » ، وأقبل عليه اليهود لغرائبه واستبداده بالشعور « الصوفي » ، فوجدوا فيه متنفساً لآمالهم ، وتعزية لهم عما كانوا فيه من

ويل وانحلال ونكبة . وغبّر « الاشراق » في وجه التلمود ، كما ان التلمود غبّر في وجه التوراة . ويقول بعض كتاب اليهود ان حركته الروحية كانت اقوى حركة ظهرت بعد خراب الهيكل . ونسترعي انتباه القارىء ان كلمة « صوفي » و « تصوف » ما يراد بهما إلا التستر والتضليل ، ابتغاء التدجيل .

شبتاي بن لاوي

والحركة وقتئذ سارت مسيراً واسعاً في اوروبا ودهش لها العالم ، وهبّ إعصارها على يهودي اسمه شبتاي لاوي من ازمير ، وبعد ذكر هذا الرجل تصبح القصة قصته ، لا قصة كتاب «الاشراق» . او كأن كتاب «الاشراق» ظل يهيج من شعور اليهود حتى ظهر مسيح كذّاب بشخص شبتاي لاوي ، وهذا الحادث يظهر لنا أشياء حَرية بالنظر الدقيق في امر اليهود الذين في تركيا اليوم ، وهم فيها منذ خرجوا من اسبانيا مطرودين في آخر القرن السادس عشر ، ويسمون « بالدونمة » وهم مسلمون في الظاهر .

٧ — ولد شبتاي لاوي في ازمير سنة ١٦٢٦ في بيئة تلمودية متزمتة . وكان ابوه مردخاي وكيل شركة انكليزية . فشبّ شبتاي ، وقد استهواه تعلق اليهود بالمسيح الموعود ، وبكتاب «الاشراق» . ودخل في عقائد القبالا فاستغرقته ، وتوغّل في متاهاتها ، حتى صار يحب التعرض للشدائد ، وجعل يعذب جسده ، وأولع بالسباحة في البحر صيفاً وشتاء ليغالب الصعاب . وكان كثيراً ما يقضي الليل ساهراً منشداً اشعاراً قبالية بالعبرية والآرامية . وأضيف الى مجموع صفاته هذه ، انه اكتسب هيبة في هيئته الشخصية واتقن الآلة كلها حتى بات مرموقاً في جملة حاله ومنظره .

٢ — سنة ١٦٦٣ قام بسياحة الى فلسطين ومكث في القدس مدة وصرف في هذه السياحة سنتين . وكان في القدس الرجل الذي خضع شبتاي لتوجيهه . وما ذاك الرجل الا « ناثان » وهو من غزّة ، واشتبكت الامور كثيراً بين « ناثان » وشبتاي . وبعد قليل نرى فتاة بولونية اسمها « سارة » فقدت اهلها

في بعض المذابح ، فأخذت الى أحد الأديرة ونُصّرت ، لكنها فرّت وجاءت الى فلسطين ، وكانت زوجة شبتاي لاوي الذي هو في الطريق ليكون المسيح الكذاب .

٣ هذه المعلومات المتعلقة بسارة وناثان وشبتاي ، ليست موجودة في مصادر عربية اطلاقاً ، على ما نعــلم . وانما ننقلها من كتاب « موجز تاريخ الشعب اليهودي من ١٦٠٠ – ١٩٣٥ » لمؤلفه سيسل روث [١] اليهودي .

٤ – سياحة شبتاي لاوي الى فلسطين ، واتصاله بناثان الغزاوي ، وزواجه من سارة البولونية اليهودية المتنصرة كذبــاً ، وطيران اخباره الى البيئات اليهودية ، جعل التلفت اليه يزيد ويتضخم . اينما حل تلقاه اليهود بالترحيب والمناصرة . آمنوا به وصاروا يعتبرونه على مستوى النبوة ، وهو متقن عمله في التضليل والتدجيل الى ما وراء الغاية .

٥ – من هـــذه الناحية : ناحية تلقي اليهود له بالتعظيم ، والاتجاه اليه بالآمال المنقذة ، لم يعهد ان يهودياً آخر لقي مثل ما لقي شبتاي ، حتى تيودر هرتزل لمــا امتطى ذروة النفوذ بعد مؤتمر بازل الصهيوني العالمي الاول سنة ١٨٩٧ لم ينل من الالتفاف حوله مثل ما نال شبتاي في القرن السابع عشر .

٦ – فانتشرت التوبة بين اليهود ، وكان منهم أناس انقطعوا عن الدنيا . منشورات شبتاي جابت كل بلد فيها يهود . توقفت الاعمال التجارية في بعض الاماكن . تجــار تبرعوا بالذخيرة والاطعمة لتشحن الى فلسطين في البحر . تجار كبار في امستردام توقيعاتهم المالية انفذ من القوانين ، قدموا الى شبتاي الكذاب عريضة يؤكدون له فيها انهم مستعدون لعونه . في همبورغ في المانيا صار اليهود يرقصون في الكنيس .

---

(١) اسمه بالانكليزية :

A Short History of the Jewish People,
1600 — 1935
by Cecil Ruth, Macmillà, London, 1936

٧ – اشتد هوس شبتاي . فقسّم فلسطين ، وقسم العالم الى ٣٨ مملكة ، وعين ملكاً من قبله على كل منها . وصارت صلوات اليهود في الكنيس تفتتح « بيا سيدنا ومولانا » و « يا ملكنا – المقدس التقي شبتاي لاوي مسيح رب اسرائيل ! » وأغفل الدعاء لسلطان بني عثمان .

٨ – سئل بندكت دي سبينوزا ، الفيلسوف اليهودي في هولندة ، عن رأيه في المسيح شبتاي لاوي فقال انه لا يرى سبباً عقلياً يمنع امكان اعادة الحكم الزمني الى اليهود . وسبينوزا اصله من يهود اسبانيا ، وجرته فلسفته الى ان حرمه الكنيس اليهودي قصاصاً له على بعض آرائه ، فلم يبال بل بقي على مذهبه . وانظر في جوابه هذا وتأمل . ثم تدرك من جواب سبينوزا مبلغ ما وصل اليه شبتاي من الاستئثار بعواطف اليهود . (سبينوزا ١٦٣٢-١٦٧٧).

٩ – السلطان العثماني في ذلك الوقت كان محمد الرابع (١٦٤٨–١٦٨٧) وكانت له الادعية في المعابد عند جميع الطوائف في المملكة ، فصار اليهود يسكتون في الكنيس عن الدعاء للسلطان وبدلاً من ذلك راحوا يدعون للمسيح شبتاي بن لاوي . وصار شبتاي يوقع منشوراته السرية : « شبتاي بن داود وسليمان » .

١٠ – الا يهودياً واحداً في لندن ، كما روت اخبار هذه الحركة ، قام وجهر بصوته باسم جماعته اليهود في لندن قائلاً : اني اراهن على ان الشخص الذي في ازمير ، شبتاي لاوي ، ما هو الا دجال !! صدق هذا اليهودي ، ولا تروي الاخبار ان احداً غير يهودي لندن من يهود العالم وقف مثل هذا الموقف في الجهر بان شبتاي دجال منافق .

١١ – وهذه التفاصيل الى هنا تنتهي بنا الى ان نرى شبتاي قد وصل استنبول ، ايام السلطان محمد الرابع ، ثم تختصر المصادر اليهودية القصة بعد ذلك بعبارة ان شبتاي ما كاد يصل البوسفور في طريقه الى فلسطين ، حتى دخل السجن او قتل بأمر السلطة . وليست هذه النهاية التي تقولها المصادر اليهودية الا كذباً ، لا تقلّ ضخامة عن ضخامة تدجيل شبتاي نفسه . الى

هنا تنتهي رواية المصادر اليهودية ، آخذين منها ما يقتضيه المساق .

١٢ - ان لشبتاي لاوي من باقي القصة في استنبول ، بعد وصوله اليها ، ومعه قافلة من اتباعه، ولعله كان ينوي التوجه بهم الى فلسطين لاعلان ملكيته العالمية المدجلة ، ما هو في الواقع الذي لا ريب فيه ، اروع بكثير من كل ما علمنا من امره حتى الآن .

وقصة شبتاي هذا ، في استنبول ، وهنا الخاتمة ، في القرن السابع عشر ، ما كان لنا او لغيرنا ان يتسنى له الاطلاع عليها على هذه الصورة ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، او بعد ثلاثة قرون من حادثة شبتاي لو لم يظهر منذ عشر سنوات في التركية كتاب « الخطر المحيط بالاسلام او الصهيونية وبروتوكولاتها » للجنرال جواد رفعت . وهذا الكتاب متخم بالمعلومات الكاشفة عن حقائق اليهود وتاريخهم وعن الماسونية في تركيا خاصة ، والماسونية اداة يهودية عالمية [1] .

---

(١) ترجم هذا الكتاب الى العربية في بغداد الاستاذ وهبي عز الدين السنة الماضية (١٩٥٥)، واطلعنا عليه فوجدناه حرياً بان يقرأه كل عربي ، من مسلم ومسيحي ، لجزالة محتوياته من المعلومات التي لا تجدها في مواطن اخرى ، وما يزيد فصول الكتاب قيمة ان المؤلف ، جرت على يديه حوادث جمة منذ الحرب العالمية الاولى ، اذ كان «ضابط الاستخبارات» في جبهة فلسطين وسمع كثيراً من الروايات المهمة من افواه اصحابها الذين هم المصادر الاولى لها . فنوجز نقاط اللباب من هذا الكتاب من صفحة ٧٤ فما بعد .

اما الجنرال جواد فهذه صفوة ترجمته كما هي « في سطور » على الغلاف الخارجي من الكتاب وفي بعض المواضع نجتزىء الكلام اجتزاء .

* الجنرال جواد رفعت ضابط تركي مسلم ، كان ضابط الاستخبارات في جبهة فلسطين في الحرب العالمية الاولى ، وله كتاب عن جبهة جواسيس فلسطين مترجم الى عدة لغات .
* ساهم في حرب الاستقلال التركي ، فقاد قوات الحركة الشعبية في جبهة بارتين وغيرها .
* اسس جمعية الشرق الاكبر للدفاع عن القيم الاسلامية والتراث التركي الاسلامي .
* كان رئيساً للحزب الديموقراطي الاسلامي في تركيا .
* له مؤلفات عديدة حول الحركات الهدامة عبر التاريخ والتي استهدفت الاديان عامة والدين الاسلامي خاصة ، ومن موضوعات هذه الكتب الماسونية ، واليهودية العالمية والصهيونية واخطار اسرائيل . وكتاب « اسرار الماسونية » ترجم الى العربية . (لم نطلع على هذا ←

١٣ – اتضح للسلطة العثمانية في استنبول ان شبتاي ما هو الا كذاب متلاعب باسم الدين فصدر الأمر باعدامه . ولكن لاسباب ما ، لم يبسطها المؤلف الجنرال جواد رفعت،اذ ليست متيسرة له كما نعتقد ، لم يعدم شبتاي. وعندنا ان عدم اعدامه سر من اسرار القوة اليهودية الخفية . والقوة اليهودية الخفية هذه لا حد لوسائلها ، وكلها وسائل شيطانية . والسر في عدم اعدام شبتاي الكذاب مستتر لكنه غير مستعص على القارىء ، كالسر الذي جعل محمد علي باشا في مصر سنة ١٨٤٠ يعفو عن اليهود المجرمين من يهود دمشق الذين ذبحوا الراهب الاب توما الكبوشي فحوكموا على مشهد من قناصل الدول الأجنبية ، وبعضهم اعترف بالجناية ، وقام العالم اليهودي وقعد ، فجاء « مونتفيوري » الى محمد علي وكان السحر ! قلنا : لاحظ هذا في ترجمتنا لمونتفيوري في الفصل ١٢ من هذا الجزء الرابع .

١٤ – وحوكم شبتاي في « سراي ادرنة » ، وكان المترجم للقاضي الطبيب مصطفى حياتي ، وهذا مسلم في الظاهر وحقيقته المستورة انه من « الدونمة » او اليهود الذين استجاروا بحمى السلطان لما طردوا من اسبانيا ، فأجارهم السلطان ، واقاموا في كنفه ، وأخذوا يسلمون اسلاماً خادعاً دون ان ينتبه اليهم ، فأمسوا يهوداً متلبسين الاسلام للتضليل . والطبيب مصطفى حياتي كان احد هؤلاء الدونمة . ونراه الآن يترجم لشبتاي .

١٥ – لما بدأت المحاكمة تزلزل شبتاي . فقال له رئيس المحكمة انك تدعي انك المسيح المنتظر وتدعو الناس لتصديقك واتباعك ، فارنا معجزة منك ،

← الكتاب) .

* زار الجمهورية العربية المتحدة والقى في الاندية الكبرى محاضرات في اخطار اليهودية العالمية.
* كان نائب رئيس جمعية محاربة الصهيونية في المانيا قبل الحرب العالمية الثانية .

امـا من حيث الترجمة العربية لهذا الكتاب ، فمع الشكر للمترجم الفاضل ، فان القارىء العربي يود لو ان هذه الترجمة جاءت خالية مما علق بها من الشوائب ، التي لا يسع القارىء الا ان يلاحظها وعسى ان يتدارك هذا في الطبعة الثانية ان شاء الله .

وهي ان تتعرض ببدنك عارياً لثمانية من رماة النبل ، فاذا لم يؤثر النشاب في جسمك قامت لك الحجة . وكان اليهود يشيعون هذا عنه بأمر منه ، فطلبت منه المحكمة ان يثبت صحة ما يدعيه هو وجماعته . فأجاب وهو متهاو منهار ، ينكر صحة صدور هذا القول منه ، ويعزوه الى وشاية من بعض اليهود الذين لا يحبونه ، فقيل له اعلن اسلامك . ويقول المؤلف جواد رفعت ان المراد بهذا انه اذا اسلم قام عليه اليهود واسقطوه ، ثم يستخف المؤلف هذه العقلية في الدولة العثمانية في ذلك الوقت . والحق مع المؤلف جواد رفعت .

١٦ – وهنا سر آخر : لما كان شبتاي لا يتقن التركية ، وكان الذي يترجم له الى الاسبانية – اذ عائلة شبتاي من اسبانيا – هو الضابط الطبيب مصطفى حياني ، اليهودي بثوب مسلم ، فقد كلفت المحكمة المترجم بان يبين لشبتاي ان الامر جد ، فتمكن مصطفى حياتي من ان يأخذ ويعطي مع شبتاي بالاسبانية حتى اقنعه بان اعلان اسلامه لا يحول دون المضي بدعوته الى انه المسيح المنتظر ، بل سيتسنى له من الفرصة للعمل في سبيل ذلك وهو بثوب مسلم خادع ، اكثر مما يتسنى له وهو بثوب المدعي انه المسيح المنتظر. لقد تم هذا في المحكمة والمحكمة لم تشعر بشيء ، واسلم شبتاي ، واطلق عليه « محمد أفندي » ، ولبس الجبة والعمامة البيضاء ، وعين له مرتب مالي شهري من السراي السلطانية . غير ان العقلاء من الاتراك وهم اعزة الاسلام ادركوا ان في الامر لعبة .

١٧ – في اثناء هذه الحوادث ، كان اتباع شبتاي في بيت المقدس وصفد قد اشاعوا « ان شخصية شبتاي قد عرجت الى السماء ، وحل محلها بامر الله مسيح يرتدي ثوب مسلم » .

١٨ – في الوقت نفسه ظهر في الشام نبي كاذب لليهود اسمه ناثان (اهو ناثان غزة متنكراً ، ام ناثان جديد ، من يدري ، وكلاهما محتمل) ووزع

بياناً على اليهود يطلب منهم فيه ان يظلوا على ايمانهم ، والا تأخذهم الحيرة من أمر شبتاي ، فشبتاي شبتاي !!

١٩ – فطلب شبتاي من الحكومة مساعدة مالية ، اذ يريد ان يطوف كنائس اليهود ويدعوهم الى الاسلام ! فلبّي طلبه ! يا للغفلة ، امس ، كما يا للغفلة حتى الى هذا اليوم ! .

٢٠ – وجعل ينبه اخوانه اليهود الى انه ما اسلم الا خدعـــة ، وراح يقنعهم بان يفعلوا فعلته فيرتدوا هـذا الثوب ، وتبقى يهوديتهم في قلوبهم . وجعلوا يلبون رغبته . فاسلموا . هؤلاء هم الذين يقال لهم « الدونمة » وهم الى اليوم في تركيا ، اسلامهم رياء ، ومكايدهم لا تنقطع ، وهم اوتاد يهوديـة تحت الجبة والعمامة والقبعة . كانوا المعول الاول في الهدم ، ونقل الترك المغرورين من العثمانية الاسلامية الى الفكرة الطورانية في اول هذا القرن . ومن هنا بدأ انحلال الدولة العثمانية .وفي حرب البلقان سنة ١٩١٣ كان الدونمة مسببي هزيمة الدولة . ويرى الجنرال جواد رفعت في هذا الباب وقائع مذهلة وما هو اشد اذهالاً الغفلة المتمادية لا في تركيا وبلاد العرب فقط ، بل في معظم العالم ، عن فتح العيون على حقائق اليهودية العالمية والبروتوكولات .

٢١ – فتح الباب امام شبتاي . فاذا به يبعث رسائله ومناشيره بالعبرية الى الجماعات اليهودية ، يحضهم على الثبات معه والى جانبه في كونه هو المسيح المنتظر ، ولما سأله الصدر الاعظم – رئيس الوزراء – ما هذا يا شبتاي ؟ اجاب شبتاي : انما ادعو بقية اليهود لكي يسلموا اسلامي ! .

٢٢ – وهنا ينطلق المؤلف ينتقد عقلية الدولة في تعليل حركة شبتاي في ذلك الوقت . وكل ما قاله المؤلف في محله .

٢٣ – حتى امسكوا شبتاي في احد الكنائس ، يعظ بالعبرية ، عظة اليهودي الماكر ، ويخون الاسلام ، ولم يستطع ان ينكر هذا التلبيس .فرؤي ان يقطع رأسه . واذا بشيخ الاسلام يتشفع له ، ووجه الشفاعة ان شبتاي ،

اذا قطع رأسه طارت الاشاعات انه صعد الى السماء ، فنفتق من حيث نريد ان نرتق . ومرةً ثانيةً نجا شبتاي ، وبقي رأسه بين كتفيه .

٢٤ – نُفي شبتاي الى البانيا ، فاستقر في سلانيك وتزوج من امرأة يهودية ، وعدنا لا نعلم شيئاً عن سارة ، ولايعيون عليه وهو في سلانيك ، فباض وافرخ ، وانقلب يحرض اليهود على التوغل في المجتمع التركي الاسلامي لتوهين عراه ، وفك روابطه ، وغزوه باليهودية اللابسة العمامه والجبة . وهكذا كان .

٢٥ – لم يقتل شبتاي ، ولم يقطع رأسه ، ولا قلامة ظفر منه ، وبقي على خطته ، والغفلة عنه نائمة تغط في نومها لا تستيقظ ، حتى اذا تلفتنا بعد قليل ، نرى من ثمار اعمال شبتاي ان كل كنيس يهودي في المدن ، واليهود لا يسكنون الا المدن ، يصطنع صلوات هي مزيج من الاسبانية والتركية ينشدها اليهود والدموع تنهمر من عيونهم تعلقاً بشبتاي . ويقدم المؤلف وصف هذا في عدة صفحات . ثم يختفي شبتاي في الافق . كيف اختفى ؟ لا ندري . واما الطقوس المبطنة التي يمارسها اليهود في كل كنيس في تركيا حتى اليوم فعجب اي عجب ! المواعظ السرية ! الرموز ! الصلوات ! ينقلها اليك المؤلف حرفاً حرفاً بالفاظها الاسبانية والعبرية بحروف عربية .

* * *

هؤلاء « الدونمة » في تركيا لا يزالون على جميع خصائصهم اليهودية . من ذلك انهم لا يتزاوجون مع غير جماعتهم حتى اليوم . راجع الفصل ٢٤ و ٢٥ من الجزء الاول حيث تفصيل اخبار هؤلاء الدونمة .

يروي المؤلف هذه الواقعة في خلال الحرب العالمية الاولى في دمشق :
كان لمصطفى الشامي في الشام ، ومصطفى هذا يهودي من « الدونمة » ، ابنتان أحبت احداهما ضابطاً تركياً وفرت معه . فقامت القيامة حتى انتهت المسألة الى مجلس الوزراء ووقعت من اجل الفتاة « سويم » مناقشة حادة بين أنور باشا

وزير الحربية ، المسلم التركي ، وجاويد بك المسلم اليهودي (الدونمي) وظهرت روح جاويد اليهودية بكل قرونها . والفتاة الاخرى أحبت شاباً من اهـالي قونية اسمه «فهيم» ، وهو اليوم في ادارة كهرباء الآستانة ، وبعد اربعين سنة تماماً ، راجعت المرأة هذه المحاكم طالبةً الطلاق من زوجها ، وكانت قضيتها هذه لم يفصل فيها بعد حتى تاريخ وضع المؤلف كتابه سنة ١٩٥٤ . امـــا مصطفى الشامي ابو الفتاتين فظل يأكله الكمد ، حتى ذاب وقضى . قلنا : راجع النماذج التلمودية وقد مررت بها .

***

٩ ـ الفرقـة البعلشامية في المـانيا

نشأت في القرن السادس عشر وهي تستمد من كتاب « الاشراق » و « القبـــالا » الغيب والتدجيل

مؤسس هذه الفرقة هو اسرائيل بَعْلشام ، ومعنى البعلشامية القدرة على اتيان المعجزات باسم الله . وأول ما ظهر هـذا الاسم كان ظهوره في يهود المانيا وبولونيا عن طريق القباليين ، وذلك في القرن السادس عشر ، والقبالة وقتئذ في ازدهارهـا ، وكان البعلشاميون يمارسون الطب التدجيلي ، مفرغين عليه ما استطاعوا وشاءوا من « الشعوذات » التي قالوا انها مستمدة من كتاب « الاشراق » . واليهودي التي يأتي بالمعجزات على الطريقـة البعلشامية ينظر اليه كأنه متصل بروح الربي سمعان بن يوشاي في القرن الثاني الميلادي . والربي سمعان هذا هو أحد جامعي التلمود الأوائل ، وهو أحد الذين عرفوا بالقدرة على إتيـــان المعجزات البعلشامية ، ويقولون ان عدد هؤلاء المختصين بلغ احد عشر رجلاً ، كما جاء في دائرة المعارف اليهودية في ترجمة بعلشام .

كتب البعلشاميـــة تبحث في كل شيء غامض ، في الكائنات ، والنفس البشرية ، والخير والشر . ومن يريد الدخول في البعلشامية عليه ان يكون في مجلسه ساكناً صامتاً ، متربعاً ، مستغرقاً في التأمل ، قارئاً صلواته . وعليه أن يجتاز سبع حالات ، وبعد اجتياز كل حالة يصل المريـد او الطالب الى منزلة سماوية عليا تسمى « الهيكل » ، وكل هيكل لاحق يختلف عن سابقه حتى يدرك السابع الاخير ، وهذا لا لون له ، وهنا يفقـد المتأمل شعوره ويضربون مثلاً على هذا كما في كتاب « الاشراق » :

« قال الربي سمعان بن يوشاي : استغرقتُ يوماً في التأمل حتى أبصرت بالتالي انبثاقاً نورانياً شديد الوهج ، في كل وهجة ٣٢٥ دائرة نورانية صغرى، ثم بدا لبصري ان في وسط هذا النور بقعة سوداء تسبح في بحر النور هذا ، ثم أخذتْ هذه البقعة السوداء تتحول الى بيضاء ، وتعوم وتطوف على سطح الماء النوراني حيث احتشدت صور العظمة على ما يأخذ العقـــل. فسألت عن معنى هذه الرؤيا فقيل لي ان هذا يمثل غفران الخطايا والذنوب».

* * *

وكتاب « الاشراق » هو مصدر كل هذا ، لجميع القباليين والبعلشاميين ، فما كاد ينقضي خمسون سنة على ظهوره في اسبـــانيا حتى تلقفه القباليون التلموديون والتهموه . وقال القباليون ان كتاباً مثل هـذا لا يمكن ان يضعه انسان ان لم يكن مؤيداً من الله ، ولذلك جعلوه في القداسة كالتوراة ، كان له أثره في تطور الشعائر الدينية . ولمـا قال الميمونية ان الانسان جزء صغير من الكائنات ، وخلوده موقوف على درجة ترقي عقله الفعال ، قال اصحاب « الاشراق » ان الانسان سيد الكائنات وخلوده موقوف على فنائه ، فجعلوا الفناء سبب الخلود .

ثم ان هؤلاء جميعاً ينحدرون من التلمود .

وترسب هذه البعلشامية ما وراء الستار هيئة سرية قبالية ملثمة .

●

١٠ ــ القهال

منظمة سرية امها القبالا وابوها التلمود

ومظهرها الخارجي انها صلة بين الحكومات وجماعات اليهود

القَهَال لفظة عبرية معناها الهيئة او المجلس او الجماعة ، كانت حتى القرن التاسع عشر تستعمل للتعبير عن الهيئات اليهودية المحلية في لتوانيا وبولونيا وروسيا . ومبدأ كيانها في اوروبا ، وربما قبل الحروب الصليبية ، كما تقول المصادر اليهودية .

واما معناها اليوم في الكتابات العالمية السائرة ، فينصرف الى ما هو هيئة سرية غامضة ، كالقبالة ، والبعلشامية ، ويقول النقاد ان معظم الناس لا يفرقون بين القبالة والقهال .

ومن وجهة النظر الخارجية في هذه المسألة ، اي التمييز بين يهودي قبالي ، ويهودي بعلشامي ، ويهودي قهالي ، فهذا كله في الواقع مترادفات تنصب على شيء واحد ، هو منظمة « حكماء صهيون » التي هي القطب والمدار ، وما باقي المنظمات الا روافد تنتهي اليها . وتكاد تلمح ان البعلشامية التي تكلمنا عنها في الفصل السابق تشبه في صورة تركيبها طريقة من الطرق الدينية في الشرق ، هذا في مظهرها الخارجي ، واما في داخل جهازها فهي شيء آخر ، وما اتخذ الشكل الظاهر الا ليكون ستراً لما في الداخل . هذه هي الحقيقة الكبرى تتجلّى لكل دارس لبواطن الحركة اليهودية العالمية . وتأتي الماسونية العالمية ونراها لا تعدو هذه القاعدة ايضاً من حيث اختلاف ما بين

الظاهر منها والخفي. ثم تنقلب بالتالي الاداة الفعالة الاولى بيد اليهودية العالمية. وفي البروتوكولات تفصيل هذا كله.

وكثيراً ما يقع المطالع للروايات والقصص الغربية على كلمة « القهال » في مساق الرواية ، فلا يحصل من معناها الا الاشباح الغامضة وما تسوقه اليه القرينة ، ومعنى القهال على الجملة هيئة مريبة تعيش في الزوايا والسراديب ، ومثل هذا ما يحصله من معنى « القبالا » ولفظة « كاباليست » في اللغات الاوروبية. لكن هذه الحجب كلها تتمزق عندما تتسلط عليها حقيقة واحدة رهيبة : ان عادة الحصول على الذبائح البشرية او خطف اليهود للمسيحيين والمسلمين لاستنزاف دمائهم واستعمال الدماء في طقوس يهودية منذ القدم ، ونقل اجزاء من الدم المعجون بمادة اخرى الى اقطار اخرى حيث لا يستطيع يهود تلك الجهة ممارسة الخطف والاستنزاف في بلادهم، ان هذه العادة تفرض على كل يهودي تلمودي ان يمارسها عندما يطلب منه ذلك. ومن يطلب منه ؟ طبقة « الحاخامين » في المجتمع اليهودي، وعلى الغالب انما يقع على «الحاخامين» العبء الاكبر من جرم ارتكاب هذه الجنايات الوحشية، بل نعت الوحشية اقل من ان يدل على فظاعتها، اذ لو استعملناها لوصف الخلق اليهودي المجرم الجاني، فماذا ابقينا من الوصف للوحش البري الذي هو اقل وحشية من طالبي القرابين البشرية ومرتكبي جرائم الدم والاستنزاف ؟ وطبقة الحاخامين موجودة في كل منظمة يهودية ظاهرة ومستترة ، فعلينا ان ننظر الى القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً ، على اختلاف اسمائهم ، فنجد ان الطبقة الحاخامية هي السلسلة الفقارية في الجهاز كله. ومعظم الرجال اليهود في فلسطين ، منذ اخذ اليهود يحاولون الاقامة في فلسطين واستيطانها ، من ايام السلطان عبد الحميد ، – معظم هؤلاء اليهود ، ونعني البارزين المسؤولين منهم ، عندما نقرأ تراجمهم ، نرى كل واحد منهم ابوه « حاخام » ونرى تخرّجه كان أولاً من مدرسة « دينية » او حاخامية ، وقلما ذهب احد هؤلاء الى مدرسة عامة ولو يهودية ، قبل ان يمر في نشأته على المدرسة « الحاخامية »

التي تغذي الناشئين بالتعاليم والاسرار التي لا تذاع للناس . ومـا اختلاف المنظمات عندهم بالاسماء ، الا من نوع اختلاف العناوين لما هو وراء العناوين شيء واحد . وانما نقول هذا هنا ، اذ مررنا بذكر التلمود ، بعد التوراة ، ومررنا بالقبالا ، ثم اتينا الى النحمانية والميمونية ، ورأينا كتاب « الزوهر » أو كتاب « الاشراق » ، والبعلشامية مدعية اتيـان المعجزات ، وحططنا رحالنا في هـذا الفصل في ساحة « القهال » . وحتى لا يدخل شيء من الابهام على ذهن القارى ، فقد رأينا من المفيد ان نسترعي انتباهه الى ما قلناه هنا . وما كل قارىء من العرب يحتاج الى هذا . وبعد الاطلاع على كل هذه المناحي المشتملة عليها هـذه الكتب التي بيد القارىء ، وبعد الوقوف على « البروتوكولات » والتمعن فيها ، لا يبقى بالعربي حاجة على ما نعتقد ، الى ان يرجىء عنايته بدراسة اليهودية العالمية عن طريق التوراة والتلمود ، ليدرك اي واجب عليه نحو نفسه وولده وذريته ، ونحو وطنه وتاريخه ، من العمل في سبيل المكافحة لكل ما هو بمعنى « يهودي » او اسرائيلي في فلسطين.

* * *

نعود الى تكملة الكلام على القهال . فيقول النقاد في هـذه الحركة انـه ان لم يمكن ردها في قدم المنشأ الى ما هو ابعد من القرن العاشر الميلادي ، فاستمدادها من التلمود هي والبعلشامية شيءٌ واحد . تنحدران من التلمود ثم تتخذ كل واحدة طريقها . وهناك شيء آخر وهو ان تظهر منظمة القهال مظهر جهاز « تلمودي » لمن يراها من الخارج ، ثم هي في الحقيقة ستار للقبالة الكبرى ، والقبالة ما لهـا الا تاريخ اسود في اوروبا كلها ، فاحتاجت في القرون الاربعة او الخمسة الاخيرة الى ما يستر امرها قدر الامكان ، فكانت منظمة القهال القفاز الخارجي ، وتقوم مقام الصلة الظاهرة بين الحكومات في اوروبا الوسطى ، واوروبا الشرقية خاصة ، وبين الجماعات اليهودية الملتفـة على نفسها ، وعليها ان تدفع الضرائب الرسمية الحكومية ، وتقضي معاملاتها المدنيـة ، فقامت المنظمة القهالية بكل هذا حتى اخذت تنفطم وتنتهي في

القرن الماضي ، اذ جاءت التنظيمات اليهوديـة الجديدة ، بعد حركة كارل ماركس في منتصف القرن الماضي ، فدخلت الحركة اليهودية العالمية في دور جديد ، وهذا حتى قبل ان يولد هرتزل .

* * *

ويبدو للدارس لقضية اليهودية العالمية ان المجـال الواسع لنشاط منظمة القهال كان في روسيا وبولونيا ولتوانيا ، وسائر بلدان شرق اوروبا. ومسألة تأدية الضرائب المدنية للحكومات كانت اهم وظائف القهالة ، ولا يغيب عنا ان انكماش اليهود على انفسهم في احياء خاصة بهم في المدن تدعى عـادة Chetto باللغات الاوروبية ، انكماشاً هم فيه مختارون لا مكرهون ، انسياقاً مع غريزتهم في الانفراد والعزلة عن المجتمـع غير اليهودي ، ساعد اجهزة القهال في الانسياب في عملها ، واستفادت اليهودية العالمية السرية من هذا ، اذ هذا الوضع سـترٌ للمنظمات اليهودية وتخفية وحجب ، وهذا رأس مال النشاط اليهودي . ويقول بعض النقاد ان وظائف منظمة القهال كانت اشبه بنظـام البلديات في المدن ، هذا في الظاهر . ونحن الآن ليس بوسعنا الاستطراد الى مـا يزيد المساق فروعاً وشعاباً ، والغاية الكبرى لنا في هذا الفصل استيفاء الكلام على صفة القهال كما فعلنـا في زميلاتهـا من البعلشامية والقبالة. ولا ندخل هنا في الكلام على ناحيتين مهمتين : « الحي اليهودي » الاوروبي ، واللاسامية وكلاهما في نظرنا شيء واحد ، رغم مـا يحاول كتاب اليهود القول في اللاسامية انها حركة مخلوقة على يد « الغوييم » غير اليهود ، لمناهضة اليهود . لكن مسألة الحي « اليهودي » في شرقي أوروبا وهو عش الغرائز اليهودية ، فلا بأس ان نوجز فيه الكلام ايجازاً .

هذه الكلمة غيتو أو جيتو ، يقول المعجم الانكليزي على الراجح انها من اصل ايطالي (Borghetto) تصغير Borgo اي « الحي » من المدينـة او البلدة . وهذا في الانكليزية Borough وتطور الاستعمال حتى اختصت هذه الكلمة بالحي الذي يسكنه اليهود دون سواهم في اي بلد اوروبي . وكما قلنا

ان اليهود انكمشوا الى هـذا انكماشاً ولم يساقوا اليه بالاكراه . ويستفاد ان أول ما نشأ هذا في ايطاليا ، في القرن الحادي عشر ، والقرن الحادي عشر كانت فيه الحروب الصليبية في مطالعها ، وكانت ايطاليا مباءة النشاط في تلك الحروب من جهة البابا ،واليهود يكيدون في الخفاء للكثلكة ، ولعل هنا في ايطاليا صار اليهود اول من ينكمشون الى احياء خاصة بهم . ثم شاع هذا في اوروبا ، في المانيـا وبافاريا واوستريا وبلاد الانكليز حتى القرن التاسع عشر . ومع بقاء كلمة « غيتو » تعني الحي اليهودي خاصة ، فقد توسع هذا المعنى وامتد حتى صار يستعمل اليوم للتعبير عن كل جماعة سرية او علنية تنعزل في ناحية خاصة بها وقد يكون العدد ضخماً ، وقد يكون الانعزال انعزال « اقلية » يهوداً كانوا ام غير يهود . امـا في البلاد العربية والاسلامية ، فاليهود هنا ايضاً جروا على الطريقة نفسها ، وهـذا دليل آخر على ان السبب في انكماشهم ليس السبب في المضايقة من الدولة او من مخالفيهم ، بل هم في هذا مستجيبون لغرائزهم اليهودية . ويقال عنـدنا « الحي اليهود » او « حارة اليهود » تبعاً للمصطلح الدارج في العاصمـة او المدينة ، غير ان اقامة اليهود في البلاد العربية الاسلامية والشرقية كانت نعمة عليهم لم يروا شبهاً لها في أي بلد اوروبي .

* * *

ونعود الى القهال ومنظماتهم : واذا كان خيراً لليهود ، ان يتولى امرهم ومعاملاتهم المدنية مع حكومات البلدان التي يقيمون فيها ، جماعـة مسؤولة منهم ، فهذا كان خيراً ايضاً للحكومات فتجد أمامها هيئة يهودية مسؤولة ، تحصر امر التعامل معها . واذا كان هـذا بات لا يصلح اليوم مع مستوى حكومات العصر ففي الماضي كان تدبيراً عملياً هو أصلح ما يمكن للسير عليه في معاملة اليود .

ويقول النقاد ان هيئات القهال مرت بأدوار مختلفة من فوضى وفساد وانحلال . وكانت هيئاتها تنتخب مرة في كل سنة . ومنذ القرن الثامن عشر

أخذت تنحل وتتفكك شيئاً فشيئاً ، ويضيق نطاق صلاحياتها ، واليهود لا يهنأ لمنظماتهم من عيش إلا اذا كانت الجهة الأخرى من أجهزتهم هي الظلام والخفاء .

فصارت أجهزة القهال تتحول شيئاً فشيئاً الى منظمات سرية ، يتولى أمرها ويسيطر عليها الحاخامون ، حملة التلمود ، وسيفهم الخفي مصلت فوق الرقاب ، فمن ارتكب جرماً بحق « القبالة » والقبالة هي الفلك الأعلى ، قتل بلا هوادة . وما كانت حكومات شرق اوربا يهمها هذا داخل الاجهزة اليهودية ويقول النقاد ايضاً ان هيئات القهال كانت لها جهة داخلية سرية أيام كانت القهالة في الازدهار ، فكيف الآن وقد ضويقت وشد من حول عنقها الخناق . وبالتالي استغرقت هيئات القبالة هيئات القهال في الظاهر ، فما عاد للقهال من وجود ظاهر . أما في الخفاء فالقهال بوسعه أن يعمل ما يشاء ، إذ انقلب الى قوة مندمجة اندماجاً تاماً في أجهزة القبالة .

١١ ـ كتاب جاكوب «برافمان»

من نوع البروتوكولات ظهر سنة ١٨٦٩

في سنة ١٨٦٩ وضع جاكوب برافمان Jacob Brefman كتاباً شرح فيه اسرار هذه الهيئات ، وما تمارسه من وسائل لابقاء الجو التلمودي مسيطراً على اذهان اليهود سيطرة مخيفة ، فكان كتاب برفمان هـذا ، اشبه بظهور البروتوكولات بعد هذا الوقت بنحو ٣٩ سنة ، تفضح « حكماء صهيون » في مؤآمراتهم على الاديان ، المسيحية والاسلام ، والممالك الاوروبية ، والبابوية ، ثم المملكة العثمانية .

ثم اختفى كتاب برفمـان اختفاءً عجيباً ، ولا وجود له اليوم ، الا في مواضع الله اعلم بها .

وبقيت الصحافة الروسية مـدة طويلة ، تنشر اشياء غريبة من كتاب برفمان ، حتى اختفى وغاب .

ولكي يقلل اليهود من امر هـذا الكتاب الفاضح لهم ، اخترعوا قولاً وراحوا يذيعونه بمختلف وسائل النشر ، من ان برفمان اعتنق اليهوية اعتناقاً مصطنعاً ثم ارتد عنها وما كتب هذا الكتاب الا طلباً للشهرة لنفسه والنقّاد يرفضون هذا القول ، ويعتقد فريق منهم ان كتاب برافمان تناول اسرار الذبائح البشرية . غير ان هـذه المحاولة لاطفاء نار الفضيحه لم تجد القهاليين شيئاً ، ذلك لان ما يشاهده الناس من امور القهالة لا يمكن اخفاؤه ، وجل ما اتى به كتاب برافمان انه كشف الغطاء ، كجريمة فظيعة وقعت وظلت تفاصيلها مبهمة ، والتهم تدور حول زيد وعمرو ، حتى صاح التحقيق هذه

هي الجريمة وتصويرها ، وهؤلاء هم المجرمون . وايضاً ما وقع لبرافمان وقع مثله في امر البروتوكولات . فكتاب اوروبا المعنيون بالقضية اليهودية يعطون اول دليل على صحة البروتوكولات هو ان المخطط الذي تستند اليه اليهودية العالمية ، وتطبقه مرحلة بعد اخرى، ليتمّ لها المراد بعد نهاية قرن من الزمان (آخره القرن العشرون هذا) هو ظاهر بارز في الحروب الدولية ، والانقلابات والازمات الاقتصادية المفتعلة ، وافساد الضمائر التي تستطيع اليهودية العالمية الاستيلاء عليها ، او اخذها تحت جناحها بواسطة الماسونية العالمية . وما يحتاجه العرب اليوم اشتد احتياج ليس البراهين على صحة البروتوكولات ولا على صفة المخطط اليهودي ، بل هم محتاجون الى فهم هذا ووعيه ، وتوعية الاجيال العربية الجديدة على حقائق اليهودية والاحاطة بهذا بطريقة مجدية ، لا مجرد تسلية ، او عبث عابر .

١٢ ـ الحاخام نافيطوس المتنصر

وكتابه المطبوع سنة ١٨٦٩ في بيروت

ان قصة كتاب برافمان لها شقيقة يهودية ، حذوك النعل بالنعل . وهذه صفوتها :

في سنة ١٨٦٩ اي سنة ظهور كتاب برافمان في اوروبا الشرقية ، ظهر كرّاس صغير الحجم بقدر الكف او ما هو اصغر ، في العربية ، في سوريا ولبنان ، مطبوع بحرف « جسم ٢٤ » يشبه كل الشبه حرف المطبعة الاميركية في بيروت في ذلك الوقت . عنوان هذا الكراس : « الصحيفة الرضية اللماعية في انهدام الديانة العبرانية » وهذا العنوان لا يدل على حقيقة المحتوى ، لا تغطية وبعداً من التصريح ، بل اعتقاداً من مؤلفه الذي بسطه في الكرّاس يقع تحت فلك الديانة اليهودية . فاضاف الموضوع الى الدين العبراني ، وهذا صحيح ، واقعاً وشكلاً . اما الموضوع نفسه ومن حيث هو ، فاخطر واكبر واعظم . وهو ما عبّر عنه المؤلف في اول عبارته بعد صفحة الوسمة فقال ان الكراس يبحث في :

« السر المكتوم من اليهود عن الدم الذي يسفكونـــه من المسيحيين واسبابه الثلاثة » .

ثم يمضي المؤلف في شرح هذا واسبابه والغاية منه ، ومن يمارس هـــذه الجناية من اليهود .

ويكاد شعر الرأس يقفّ من فظاعة ما هو مبسوط في هذا الكراس الواقع

في (٥٥) صفحة من ممارسة هذه الجناية الوحشية . ويظهر ان هذا الكراس ، لمـــا طبع سنة ١٨٦٩ كانت الاذهان في بيروت أخذت تتفكك من قيود الجمود ، تطلب الخروج الى النور ، وكانت حركـــة المعلم بطرس البستاني في التنوير قد قامت على سوقها، والجامعة الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) في سنواتها الاولى ، وحركة نقل الكتاب المقـدس الى العربية تنمو وتلتمع . فلا نعتقد ان هذا الكتيب طبع سراً ، ومطبعة الجامعـــة الاميركية اذا صدق الظن ان هذا الحرف الطباعي هو حرفها - لا ترى سببـــاً لكي تتولى طباعة أي شيء بطريقة خفية، ولا سيما في الكشف عن فضائح لها صلة بالدين الموسوي . زد على هذا ان في آخر صفحة هذه العبارة : « وكان الفراغ من طبعها سنة ١٨٦٩ . ثمنها ثلاث غروش ٣» فهذا يدل على ان هذا الكراس كان يباع في الاسواق . لكن يجب ألا يغيب عنا ان قبل ظهور هذا الكراس بنحو ٣٠ سنة ، كانت قد وقعت في دمشق الحادثة المروعـة التي حتى اليوم كلما ذكرت جمد الدم في العروق وهي خطف الاب توما الكبوشي[1]، هو وخادمه

---

(١) الأب توما جاء دمشق من ايطاليا سنة ١٨٠٧ واقام في البلاد ٣٣ سنة يخـدم المساكين والفقراء والمرضى بخلق رضي ، حتى اشتهر أمره في الشام واحبه الناس ، ثم ذهب دمه على شفار السكاكين بطريقة خاصة للذبح . فهو بلا ريب اكبر ضحية انسانية . عالجت مجلة « اسرار العالم» في بيروت هـذا الموضوع بعد الحرب العالمية الثانية . فكتب المؤرخ الاستاذ يوسف يزبك بحثاً في العدد الثاني (غير مؤرخ) طواه على حقائق الجناية مما اثبته التحقيق ، واوراق التحقيق واردة في كتاب « الاصول العربية لتاريخ سورية» . وننقل هنا العبارات التي قدمت بها المجلة هذا البحث الى القراء ، فقالت :

« كانت امهاتنا يحذرننا في طفولتنا من الابتعـاد عن منازلنا والدنو من احيـاء اليهود ، لأن هؤلاء في زعمهم يخطفون الأولاد الصغار ويضعونهم في «سرير الشوك» ليـنزف دمهم ، فيعجنون منه خبزهم المسمى «خبز الفطير» عملاً بطقوس مذهبهم ... وكثيراً من كنا نضحك لهذه الرواية ونسميها خرافة . غير ان وقائع القضية العجيبة التي يعرضها الكاتب الكبير من الأسئلة المحيرة والشكوك المثيرة » قلنا وكراس الحاخام تافيطوس لا يحتاج الشاكّ والمرتاب بعد الاطلاع عليه الى اي برهان آخر .

وذبحها واستنزاف دمها ، في طسوت خاصة ، ورمي العظام في نهر دمشق ، ثم ثبوت هذه الجناية على نحو ١٠ رجال من اعيان يهود دمشق منهم الحاخامون طبعاً . وكان لهذه الحادثة الوحشية صدى واسع في العالم ، والتحقيق الرسمي اثبت كل التفاصيل المروعة ، وحكم على الجناة بالاعدام . فتحركت اليهودية العالمية في اوروبا ، وكان وقتئذ موسى مونتفيوري ، اليهودي الانكليزي ، المثري الكبير من صدور «حكماء صهيون» وكان هذا الرجل قد اتصل بمحمد علي في مصر وفاوضه بشأن استئجار معظم فلسطين ، وفلسطين وقتها بيده وقَبِل محمد علي ان يقطع مونتفيوري ما أراد . وفي غضون ذلك وقعت حادثة الأب توما والحكم على الجناة ، فنُدب مونتفيوري ليأتي من لندن ، ومعه جيب مترع ، ليطلب من محمد علي اصدار العفو عن الجناة ، فنجح مونتفيوري. اما المضي بعد ذلك في «استئجار» فلسطين لمدة ٩٩ سنة فقد قضى عليه انسحاب ابراهيم بن محمد علي من بلاد الشام . وتجد ذكر هذا في ترجمتنا لمونتفيوري في الفصل ١٢ من هذا الجزء .

* * *

ان مؤلف هذا الكراس ليس مسيحياً ولا مسلماً ، ولا بوذياً ولا ملحداً ولا برهمياً ولا وثنياً . بل هو « من الحاخام نافيطوس الذي رفض المعتقد العبراني واعتنق الايمان المسيحي في السنة الثامنة والثلاثين من عمره ودخل في عيشة النساك راهباً قانونياً» . وما هذه العبارة الا عبارته .

هذه هي عبارته ، عبارة الحاخام نافيطوس ، نقلناها بالحرف . ثم هو يقول بعد ذلك مباشرة ما ننقله مبقين على اغلاطه الاملائية :

« قد طبعت باللغة المذكورة (الملدافية) سنة ١٨٠٣ ثم استخرجت الى اليوناني ، ثم الى الايتاليانی سنة ١٨٣٤ في مدينة نابولي من اقليم برومانيا في مطبعة يوحنا جاورجيوس تحت تسمية انهزام الديانة العبرانية . واخيراً استخر- ; في هذه السنين الى العربية» . ثم يبتدىء في شرح ما يريد وهو يسمي مه ضوعاته «بالاسباب» اي اسباب سفك الحاخامين لدم المسيحيين .

وهذا الحاخام نافيطوس ، ولا ندري ما كان اسمه قبل ذلك ، هو ابن حاخام ، ويظهر انه الابن الاكبر لأبيه ، اذ يقول ان الحاخامين من شدة حرصهم على كتمان مسألة الدم ، يختارون من اولادهم من يتوسمون فيه القدرة على كتم السر ليتسلم هذه «الصناعة» الانسانية الراقية ! ويبين نافيطوس ان سائر أفراد البيت ، بيت الحاخام ، لا يطلعون على الأسرار المتعلقة بكيفية ممارسة الجناية ، وينتقل هذا من والد الى ولده المختار ، لا الى أي من ابنائه.

* * *

وهذا الكراس لعله حتى اليوم موجودة نسخ منه في بعض البيوت في سوريا ولبنان وغير مكان . اما نحن ، فقد أطلعنا على نسخة منه في دمشق سنة ١٩٥٥ وسمح لنا ان ندرسها ، وقد قمنا بهذا ، وقيدنا ما رأينا تقييده من ملاحظات حول محتوياته . غير اننا هنا لسنا بصدد ذلك الى ابعد مما قلنا ، وكان كتاب برافمن هو الموضوع الذي نسوق الكلام عليه . غير انه من المحتمل ان نعالج مسألة الاب توما ، الراهب الطبيب المحسن الانساني، معالجة مفردة قائمة برأسها في كراس على حدة . ونعتقد ان كل ما كتب في الصحف من تفاصيل حول « الجناية » في العشرين سنة الاخيرة ، هو في محله . لكن القضية ، من جهة الكشف عن وحشية الغرائز اليهودية ، تنجلي انجلاء اوسع وألمع ، اذا طبقنا تفاصيل الجناية على ما ذكره نافيطوس .

* * *

ومع محاولة اليهود تعمية اخبار الخطف واستنزاف الدم، كلما وقعت حادثة بربرية وحشية من هذا النوع ، في ناحية من انحاء العالم ، ومع ان في دائرة المعارف اليهودية (المطبوعة ١٩٠٤ – ١٩٠٥) ذكراً لاكثر من اربعين حادثة في اوروبا والشرق ، فالتنصل الكاذب لا يغير من الوقائع ، شيئاً ، ونعتقد ان حادثة الاب توما الكبوشي على بشاعتها فليست هي من حيث الفظاعة افظع حادثة من نوعها ، والتحقيق الرسمي واستقصاء حتى اصغر اجزاء الحادث ،

واكتشاف الهياكل البشرية الملقاة في نهر دمشق ، والاعترافات التي أدلى بها الجناة ، وشهـــادات الشهود والاطباء الرسميين ، وكل هذا تحت مراقبة قناصل الدول في دمشق ، كل هذا بلغ حده وانتهى الى ما لا نهاية بعده من الاثبات. وهناك حوادث عديدة يستطيع اليهود ان يطمسوا آثارها، ويطفئوا اخبارها ، فتندرج في الدهاليز ، والعالم غافل عنها . الا اذا سبق للحادث ان انتشرت انباؤه الى الآفاق قبل ان يتمكن اليهود من خنق ذلك ، فحينئذ يعمدون الى التنصل ، والانكار والتضليل .

وفي سنة ١٩٦٣، وهذا قريب جداً، نشرت جريدة «هارتس» اليهودية في الجزء المحتل من فلسطين شيئاً من المفيد ان يطلع عليـــه القارىء العربي . و«هارتس» هذه هي كبرى الصحف اليهودية فيما يسمى « اسرائيل » ، وهي تمثل الجناح اليميني من المخطط الصهيوني . قالت: «ان اليهود في منطقة طشقند في روسيا متهمون باختطاف اطفال المسلمين لعجن فطائر عيد الفصح اليهودي بدمائهم وقد طالبت سيدة ، هي عضو في مجلس الاتحاد الاعلى في طشقند ، بطرد جميع اليهود الموجودين في هذه المدينة ، وعددهم يزيد على خمسين الفاً ، بعد ان كانت ابنتها ضحية لليهود الذين استنزفوا الدم من اذنيها ليعجنوا به فطائر عيد الفصح [١] » .

ثم لا أخبار بعد ذلك عما جرى في طلب السيدة أم الطفلة ، هل حقق أم لا ، والى أين ذهب الخمسون الفاً من اليهود ، ونعتقد انهم بقوا حيث هم الى هذه الساعة .وكنا نود لو أن مكاتب الجامعة العربية تنتبه الى هذه الحوادث وتستقصي انباءها حادثة حادثة .

* * *

وانما أتينا بهذه التفاصيل البشعة الموضوع ، لتعلق حوادثها بالشيء الذي

---

(١) راجع جريدة «الشرق» التي تصدر في بيروت عددها ٦٣/٢/٢ .

من واجبنا استرعاء انتباه القارىء اليه، وهو الروح الجنائية في الفطرة اليهودية من التلمود فنازلاً ، فالقبالة ، فالكهال ، فحكماء صهيون ، فالبروتوكولات . تبرز رؤوس هذه الجنايات متفرقة هنا وهناك في مختلف الاقطار والبقاع ، في الشرق والغرب، أوروبا وآسيا ، غير انها في الجوهر منحدرة عن نبع واحد ، كما ترى . وتتجلىّ صور الوحشية الصهيونية في المذابح التي ينزلها اليهود بعرب فلسطين تجلياً يتفق وكل هذه الغرائز اليهودية .

* * *

١٣ – اليهودي يوسف منده الملقب بالناسي [١]

نموذج من « الحكماء » في القرن السادس عشر

هو ، كما يقول مترجموه اليهود « سياسي عثماني » ومن ارباب الثروة والجاه والحقيقة انه سياسي يهودي من « حكماء صهيون » ، وسنرى في سيرته الموجزة هنا انه حاول ان يكون علقاً ممتصاً لدماء الدولة العثمانية فاستطاع هذا ، وحاول الاستيلاء على فلسطين ، وفي سيرته عبرة للقارىء العربي . واما غرضه الاول والاخير ، فرمي الدولة بالحروب بينها وبين دول اخرى ، لكي يجد يوسف منده الفرصة من خلال ذلك ليتوجه بقومه المطرودين من اسبانيا والبرتغال ، الى فلسطين او قبرص . هو يقضم العروش كما يقضم الفار السنابل . وفي هذه الترجمة يوسف منده او يوسف ناسي واحد .

* * *

ولد في البرتغال في بداية القرن السادس عشر ، ومات في استنبول سنة ١٥٧٩ . وهو الاخ الاكبر لفرنسيسكو ، و « دياغو – منده » من اسرة مارانو التي فرت من اسبانيا الى البرتغال ، آخر القرن الخامس عشر ، ولكي ينجو من الاضطهاد في البرتغال ، هاجر فوراً الى « انفرس » مع عمه دياغو . وهناك انشأ مع قريب لهما ، شركة صرافة على نطاق واسع ، واتسعت شهرة يوسف ، ثم قربته الملكة ماري الوصية على عرش « الارض الواطئة » . ثم

---

(١) لقب تعظيم عند اليهود ينادى به عدد من الذين يعدونهم عظماء كرؤساء مجمع «السنهدرين» وكبراء الاحبار ، ولعل الذين نُعتوا « بالناسي » لا يجاوز عددهم العشرة احدهم يوسف منده هذا . ولم يسمع بهذا اللقب الا زمن المكابين وما بعد ، وبعد منده لم يسمع بيهودي آخر نال هذا اللقب . وقد شرحنا معنى هذا اللقب في مواضع اخرى من هذا الكتاب .

جاءت عمته « غراسيا » الى انفرس سنة ١٥٣٦ وكانا يتظاهران بالنصرانية ، فانكر عليهما الناس هذا ، اذ علموا بانهما يهوديان من يهود البرتغال فهبطا في عيون الجمهور فانتقلا بالتالي الى تركيا . وفي سنة ١٥٤٩ وصلا الى البندقية بعد مشقة شديدة . ويبدو انهما كانا مطاردين ، ومن الصعب استخلاص قصتهما استخلاصاً جلياً من تضاعيف الكتابات المختلفة . وهناك دلائل وقرائن على انهما كانا كالخائف المترقب يفرّان من بلد الى بلد .

* * *

وفي البندقية كان يقيم فريق من بيت مارانو ، فاضطربت امورهم من كثرة دسائسهم ، فلم يكن بد من نفيهم ، فنفوا ثاني سنة وصول غراسيا ويوسف ابن اخيها ، هذا اذا كان يوسف حقاً ابن اخيها ، لان الغموض يمطي مجالاً لهذا الاحتمال وهو ان القرابة بينهما على هذا الوجه قد لا تكون صحيحة .

وابرز سبب في هذا الاحتمال تضارب الاقوال في تعيين درجة القربى بين « غراسيا » و « يوسف » . ثم ان القارىء يلمح بغاية السهولة الحلقات المتقطعة في سلسلته وسيرته ، بين ان يكون نافذ الكلمة في مكان تارة ، وان يتوارى فجأة ويترك المسرح ، طوراً . فهو بين بروز وهروب ، وعلو وانخفاض ، يوماً عند الملوك ، ويوماً آخر يلاحقه منهم الغضب ، ويلمح القارىء هذا الغموض في اكثر من دور من ادواره . وتقول سيرته في المراجع اليهودية انه وهو في البندقية طلب من رئيس جمهوريتها ان يقطعه احدى الجزر القريبة ، لتكون ملجأ لليهود للفارين من البرتغال فرفض طلبه . ثم اننا نرى غراسيا قد سجنت بسبب سوء سلوك ابن اخيها او ابن اختها ، ونراها هنا ارتدّت الى اليهودية فصودرت املاكها ، ثم تنتقل القصة بنا الى ان ترينا يوسف يستنجد بالسلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ – ١٥٦٦) والغموض يجعلنا حقاً نتساءل عما كان ليوسف وقتها من مكانة ، وهو يهودي تنصّر ثم صبأ عن النصرانية ، هو وعمته او خالته ، ترفع به الى حد مخاطبة سليمان القانوني ، السلطان الذي كانت هيبته وقتئذٍ ملء اوروبا والشرق ، ويستنجد

به ، وهو اليهودي الفار من البرتغال ، المتنصّر ، المرتد الى اليهودية في البندقية المصادرة املاكه هناك ، الخائف المذعور . سليمان القانوني سنة ١٥٢٩ ضرب اول حصار على فينا ، فمن هو هذا اليهودي الذي يستنجد به فرداً ضعيفاً ؟ الجواب : هو يوسف ، نعم ، وهو على هذه الصفة التي ذكرنا ، اما السر في امره فظاهر في البروتوكولات ، اذ هذه البروتوكولات ليست آراء مرتجلة في اواخر القرن الماضي ، ارتجلها نحو ٣٠٠ قطب من اقطاب اليهـود في العالم . وانما هي الدستور الدائم لليهود من ايام نحميا وعزرا واستير ومردخاي . هذا الدستور هو هو في كل دور ، وعصر ، لا يتغير وروحه واحدة لا تتبدل ما اهون على اليهود الذين في رتبة « الحكماء » ان يصلوا الى كل بلاط في العالم ، في الشرق والغرب ، في بلاط الفرس كما في بلاد بني عثمان . «الحكماء» قد أوتوا من الوسيلة الخادعة والطريقة المصنوعة الكاذبة ، ما يمكنهم من ان يدقوا في اي بلاط يريدون ، وَتَداً بعد وتد ، حتى يبلغوا القربى والزلفى من الجالس على العرش ، ثم تبتدىء الحجارة تنهار حجراً بعد حجر .

ويبقى اليهودي على مكذوب الولاء ، حتى اذا وقع قومه في ضنك ، او يريدون تفريج ازمة آخذة منهم بالمخنق ، او يريدون الوصول الى غرض ، طلبوا من صاحب العرش ان يقضي لهم مطالبهم ، ويستعطفون في البداية ، ويتوسلون ، ويبكون ، فاذا لم ينزل صاحب العرش على مبتغاهم ، تدحرج الى قعر الوادي . واذا لم يستمع الملك اليهم في اثنـــاء الحوار او الضراعة ، رموه بالمرأة والذهب ، فان لم يفد هذا شيئاً ، انقطعوا الى التدمير . وهــذا مكرّر في تاريخهم ، وبارز محسوس . واسرار القصور عند اليهود ابجديات سهلة ، والمفاتيح تارة من حديد وطوراً من ذهب .

* * *

ثم لا نستطيع ان نعلم كيف تمهدت السبل لغراسيا ويوسف حتى نراهما ينتقلان الى تركيا .

جل ما نعلم ، ان سليمان القانوني كان عنده وتد يهودي لما كان يوسف

وغراسيا يستنجدان به . هذا الوتد هو طبيب السلطان ، يهودي اسمه موسى هامون . ولا نسمع بهذا الوتد الا الآن . ومن اتى به الى السلطان ، وكيف كان اختياره ليكون الطبيب لابن عثمان ؟ وكيف صدّق السلطان ولاءه ؟ وموسى هذا ، حادَثَ السلطان بشأن يوسف وغراسيا . غير ان موسى هامون ، « الحكيم » بزي طبيب ، ينبغي ان يكون مزوداً بالاشياء المهمة التي عليه ان يبسطها للسلطان ويقنعه بها . عليه ان يعلم من هم اصدقاء السلطان ومن هم اعداؤه . ماذا يحب السلطان وماذا يكره . وما يسره في مباهجه الخاصة وما لا يودّ رؤيته او سماعه . ويظهر ان موسى بسط للسلطان ما في جعبته بسطاً مستهوياً اخاذاً ، وجذاباً :

١ – آل ناسي وجه اليهود في العالم

٢ – يوسف وغراسيا ليس لحكمتهما مثيل .

٣ – اذا انتقلا الى كنف السلطان فما وراء هذا الا الخير .

٤ – المنافع التجارية والمالية .

٥ – يضعان كل كفايتهما تحت تصرف السلطان .

٦ – ممالك السلطان لا تغيب عنها الشمس ، فلا تضيق بحفنة من اليهود ، وفلسطين مقاطعة نائية كادت تكون مهجورة من قلة السكان فما أحوجها الى الإعمار ومضاعفة الاعشار .

٧ – لكن غراسيا ويوسف هما الآن في السجن او الاعتقال في البندقية ، وليسا حرين واقفين على الحدود ليدخلا اذا سمح السلطان لهما بالدخول .

٨ – وهنا في جعبة موسى هامون « تعليمات » الحكماء : فما زال هذا الموسى يفتل من سليمان في الذروة والغارب حتى حمله على أن يرسل سفيراً من قبله الى البندقية فيطلب اطلاق سراح « المعتقلين » ورد املاكهما اليهما .

٩ – امام البندقية طريقان لا ثالث لهما : إما التلبية والاستجابة ، وإما التعرض للحرب بعد قليل مع « السلطان » .

* * *

معلوماتنا هذه كلها من مصادر يهودية مما يتعلق بالوقائع ، ولا مصادر غيرها حتى الآن . فعلينا ان نلاحظ ونعتبر . وأهم ما نلاحظه انه انقضت سنتان اثنتان قبل أن تنجح المفاوضات . فتمطّت وكان لتمطّيها سبب ، ولا ندريه وبعد سنتين جاءت غراسيا وحدها الى السلطان، وكيف تمّ ذلك ؟ لا ندري . وبعد سنة أتى يوسف ، سنة ١٥٥٣ ، وكان قد انقضى على سليمان ٣٣ سنة خاقان الخواقين ، وسيد المشرقين والمغربين ، ؛ ويتضح من الحوادث ان غراسيا ويوسف كانا باقيين في الظاهر على النصرانية ما داما في البندقية . فلما استقرّا في حمى السلطان ، ارتدا الى اليهودية ، وكان يوسف متخذاً اسماً آخر ، فعاد الآن الى اسمه الحقيقي يوسف هاناسي (الهاء أل التعريف) وتخلى عن اسمه المسيحي ، وتزوج الفتاة الفتانة الحسناء « رينا » التي كان أمرها بيد غراسيا . ومن هي هذه الخلابة رينا ؟ لا ندري . ولما جاء يوسف من البندقية كان يحمل في جيبه وصاة ، ممن ؟ لا ندري ! أمن البندقية ؟ ليس هذا معقولاً . فقرّبه السلطان ووثق به . ثم نلاحظ ان الستار اخذ يسدل شيئاً فشيئاً على غراسيا . والقارىء أعقل من ان يظن ان غراسيا في هذا التواري ، والاحتجاب ، قد ضعفت سلطتها . كلا . « الحكمة » تقضي عليها بذلك ، لكي تستطيع تمثيل الادوار كلها من وراء الستار .

* * *

هنا درس وعبرة :

لا بد ان القارىء قد لاحظ موسى هامون وهو يحسّن للسلطان أمر يوسف وغراسيا ، وهما سجينان في البندقية ، من جهة المنافع التي تحصل عليها الدولة العثمانية من وجودهما في حمى السلطان ، إذا أذِنَ لهما بالمجيء والاقامة في دولة بني عثمان ، بعد ان طوّفا ما طوّفا في اوروبا ، وعرفا ما عرفا من دخائل امورها، في جيوشها وقصورها «ومحاصيلها، واساطيلها وما بين الملوك من سرّاء وضراء ، ومطامع ومطامح ، وظلّ السلطان هو المرهوب !

* * *

لما قام هرتزل سنة١٨٩٧ بمخططه الجديد بعد المؤتمر الصهيوني العالمي الاول، يطلب ان يعطى فلسطين ليكون لبني قومه فيها دولة ، بعد شتات ١٩ قرناً، اخذ هرتزل يتقرب من ثلاث دول ، الواحدة بعد الاخرى :

فأولاً ، تقرب من عبد الحميد ، وعرض عليه المغريات كلها ، والتي هي من المفروض ان تجعل عبد الحميد يرقص لها طرباً :

١ – انشاء جامعة علمية في القدس تغني الشباب التركي عن الذهاب الى اوربا للتحصيل العالي ، فيكون التحصيل هنا في جامعة القدس «عثمانياً» ، لحمته وسداه الولاء للسلطان . وبهذا تجف مادة «الأحرار» الشاربين والذين يشربون من مياه «مدحت» وتختنق شعارات «الحرية» .

٢ – الصهيونية تجعل سياستها الخارجية تسير على المخطط الذي يرتضيه السلطان بوجه عام .

٣ – تساعد الصهيونية الخزانة العثمانية في بناء اسطول وتجديد اسطول ، وتقوية السلاح الحربي .

٤ – تكون الصهيونية في فلسطين درعاً للسلطان ، اذا ناوأه يوماً العرب وطلبوا منه ما فيه ازعاج له .

٥ – تقوم الصهيونية بمساعدة السلطان في قضاياه الدولية ، مع الدول الكبار .

هذا ما تناقلته المصادر من ضروب مغريات هرتزل المعروضة على عبد الحميد قبل اليوم بسبعين سنة .

* * *

فلما فشل هرتزل في هذا انقلب الى بريطانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:

١ – تكون «الصهيونية» شرقي ترعة السويس ، في فلسطين ، قاعدة لحماية الترعة في أي وقت .

٢ – نشر التجارة البريطانية في الشرق .

٣ – والثقافه الانكليزية ايضاً .

فلما فشل هرتزل في هذا انقلب الى المانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:

١ – مصالح المانيا والمصالح الصهيونية يمكن أن تكون في اتجاه واحد .

٢ – اذا كانت المانيا بحاجة الى قاعدة مقابل ترعة السويس ، ففلسطين بيد الصهيونية هي هذه القاعدة .

٣ – نشر التجارة الالمانية على أوسع نطاق ممكن .

٤ – اما الثقافة الالمانية ، افليس ان الالمانية وقد كانت اللغة المعتمدة في المؤتمرات الصهيونية ، هي الدليل على ان الصهيونية تنشر هذا في العالم الشرقي نشراً تقصر عنه ثقافات اخرى ؟

٥ – وهذه المساعدة من المانيا للصهيونية تجعل المانيا نائلة قصب السبق في الانسانية الراقية .

ولما جاء نابليون مصر قبل اليوم بنحو ١٦٩ سنة ، وخال اليهود انه قاطع على الانكليز طريق الهند، ولاح لهم ان الرجل سيقلب تاريخ الشرق، عرضوا عليه ، اذا اعطاهم فلسطين ، فهم يقدمون :

١ – أي تعويض مالي يريده نابليون .

٢ – اليهود يحصرون التجارة التي بينهم وبين الهند ، بينهم وبين التجار الفرنسيين فقط .

فلم يتم وقتها شيء من تحقيق احلام نابليون ولا احلام اليهود .

فانظر كيف يدورون مع كل دولة المدار الذي يماشي مصالحها ولو كان ذلك على النقيض مما عرضوه على الأخرى في الوقت نفسه .

* * *

نعود الى غراسيا ويوسف .

وما كاد يوسف يحط رحاله على ضفاف البوسفور ، « اسلامبول » حتى اعلن ارتداده الى اليهودية ، وهنا «اليهودية» انفع لسليمان من « المسيحية » ولا حاجة بيوسف الى ان «يسلم» . لكن هرتزل لما كان يفاوض عبد الحميد ، قال له مما قال : « ان اليهود حلفاء طبيعيون للمسلمين ضد النصارى ». ويقال ان هرتزل جعل هذه «العاطفة» تقدم الى السلطان في آخر سلاسل الحوار . بين قصة يوسف منده مع سليمان ، وقصة هرتزل مع عبدالحميد ٣٤٤ سنة .

* * *

وما نوجزه الآن بعضه من المصادر اليهودية وبعضه الآخر من دائرة المعارف البريطانية :

لما وقع النزاع على العرش العثماني بين ابني سليمان ، سليم وبايزيد ، وسليم في ولاية كوتاهية ، وبايزيد اصغر من اخيه وألمع ، تبنى يوسف منده قضية السلطان من البداية ، ونجح في ان اكتسب عطف السلطان وثقته في دفقات غزيزة ، لا رشفات . وجنح الى سليم . ولما وقعت المعركة العنيفة الحاسمة في قونيه ، ُهزم بايزيد وفرّ الى بلاد العجم (ايران) وهناك اغتيل مع ابنائه الاربعة ، فكافأ سليم ،مستشاره الحكيم يوسف بأن جعله في الحرس السلطاني. هذا ما تقوله المصادر اليهودية ، في اخطر «لعبة» يهودية في بلاط سليمان القانوني . والقارىء مهما يكن يقظاً قد تخدعه الروايات اليهوديه ، وهذا الذي ذكرناه من امر مكافأة يوسف وارد في دائرة المعارف اليهودية وكتب يهودية اخرى . وقد يحسب القارىء ان هذه المكافأة ليس وراءها شيء ، فعادة الملوك والسلاطين والامراء ان يمنحوا الجوائز والمكافئآت ، وقد علا يوسف منده في اخلاصه وولائه لسليمان وسليم ، افلا يكافأ ؟ بلى ، ولماذا لا ، لكن علينا ان ننتظر ما في الغيب . فقد يكون هناك ما هو ادهش مما لا يزال تحت الغطاء ، لان الحوادث المخططة انما العبرة بنتائجها ، والنتائج ، لا تقع الا باوقاتها ، ولا عبرة ان طال الوقت بين مرحلة واخرى، او حلقة واخرى

من حلقات السلسلة · وكم من مكايد يهودية في القصور دفنت ولم تزل حيث هي لم يفتح تابوتها بعد ، ولم يعلم الناس عنها شيئاً ، فعلينا الآن ان نسأل : امكن ان نعلم شيئاً من صحة قول نابليون الذي قاله بعد هذا التاريخ بأكثر من قرنين من الزمن : «فتش عن المرأة» ، ولو كانت البروتوكولات ظهرت في حياته لقال « فتش عن المرأة اليهودية » او اقرأ البروتوكولات اذ نابليون نفسه انقلب عليه اليهود بالتالي وكانوا اكبر عامل خفي في هزيمته النهائية في معركة «واترلو» في بلجيكا سنة ١٨١٥ ، وفي البروتوكولات تبجح يهودي بان مهندسي الثورة هم يهود ، والثورة الفرنسية كانت عواملهـــا الخفية بيد الجمعيات اليهودية السرية ، وكان مركز هذه الجمعيات في المانيا .

* * *

توفي سليمان القانوني في ٥ سبتمبر (ايلول) ١٥٦٦ فكانت مدته ٤٦ سنة ، وهذه من المدد الطوال لبعض سلاطين بني عثمان . ويكون يوسف منده قد عاش لا اقـل من ١٣ سنة الى جانب سليمان القانوني ، وما هذه المدة بالقليلة حقـــاً !

قلنا انه بعد ان ظفر سليم باخيه بايزيد في كوتاهية ، قام سليمان وسليم بان جعلا يوسف في الحرس السلطاني ، وهذه هي الرواية اليهودية . لكن المكافأة كانت اعظم من هذا واضخم: كانت كاشفة عن مآرب يوسف منده في فلسطين وتكـمّـل الرواية اليهودية خبر المكافأة فتقـول بعد ذلك مباشرة ان السلطان سليمان اعطى يوسف طبريا مع سبع قرى مجاورة ، وملـّكه كل هـذا الاقليم ليستغله يوسف ويستعمره ويستثمره لمصلحة اليهود . ثم تقف الرواية اليهودية عند هذا الحد ، وتنتقل فوراً لتخبرنا ماذا صنع يوسف في طبريا، في مشروعه لنقل اليهود المطرودين من اسبانيا والبرتغال الى فلسطين عن طريق ايطاليا ، واين افلح واين فشل ، واسباب ذلك ، ثم تظل الرواية اليهودية ماضيـــة باخبارها عنه حتى نهاية حياته ، مسدلة الستار عما تريد ستره او تخفيته .

اما استيفاء بقية اخبار يوسف من الرواية اليهوديـــة فضروري ، لكننا

قبل ذلك نوجز من المصادر غير اليهودية ما نستطيع العثور عليه ومعظمه من حوادث سليمان وابنه سليم .

ذكرت دائرة المعارف البريطانية ان السلطان سليمان لانه كان وحيداً كان في عافية من فتن التنافس على العرش ، وبدأ عهده باطلاق سراح الاسرى ، واعادة الاموال المصادرة الى اربابها التجار الذين كانوا يتاجرون مع ايران ايام ابيه . لكن سليمان لطخ سيرته بقتله ولديه . اما ما يتعلق بمقتل الاكبر ، مصطفى ، فالسبب استقواء نفوذ السلطانة « خرّم » زوجة سليمان المشهورة وهي المعروفة في التاريخ الاوروبي باسم « روكسلانة » ، حتى لا تدع لولديها منافساً . وفي عهد روكسلانة بدأ ان يكون للنساء تدخل ونفوذ في شؤون الدولة. ويقال انه كان لروكسلانة يد في مقتل الصدر ابراهيم باشا حتى ينتقل النفوذ الى صهرها رستم باشا .

وذكرت « موسوعة تاريخ العالم » ان السنوات الاخيرة من حياة سليمان كانت مرّة بسبب المشاحنات العائلية ونصب المكايد . فقامت زوجته روكسلانة [١] وصهرها الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) رستم باشا ، بتسميم افكاره من جهة ولده مصطفى فقتله سنة ١٥٥٣ ثم شجر الخلاف بين ابني روكسلانة ، سليم وبايزيد ، فقام بايزيد بالسلاح سنة ١٥٥٩ وطلب الامر لنفسه ، لكنه هزم في قونية وفر الى ايران فاغتيل هناك كما سبق ذكر هذا في الصفحات القريبة ، والذي قام بالاغتيال اعطاه سليمان جائزة مالية . ثم اخذت الازمات تستشري في السلطنة ، وهي اعظم امبراطورية في اوروبا ، وبلغت الذروة فلاحاً وتقدماً ، فلما مات سليمان كانت مملكته قد اصبحت معرضة للهجوم عليها من الدول الاوروبية واستلابها املاكها ، وما حال دون هذا الا انغماس تلك الدول في النزاع السلالي والخلاف الديني المسيحي .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية تقول ان روكسلانة من سبي روسي ، ويحتمل ان تكون ابنة قسيس ، وتقول الموسوعة لعلها من سبي روسي ايضاً . لكن اصحيح انها ابنة قسيس روسي ام انها من اصل يهودي ؟ وهي تشبه استير في بلاد احشويروش الفارسي في تمثيل ادوارها في البلاط العثماني ، ويوسف ناسي هو مردخاي ، لكن هنا لا هامان العربي العماليقي ، الذي دبر محو اليهود فلقي الفشل .

هذا ما تقوله « موسوعة تاريخ العالم » . ثم تمضي فتقول ايضاً :

« اما السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ – ١٥٧٤) فكان ذكياً ألمعياً لكنه مفرط في تعاطي الخمرة . وانتاشه نفوذان يتجاذبانه : الاول الصدر الاعظم محمد صوقللي (١٥٦٠ – ١٥٧٩) واتجاهه استمرار توطيد السلم مع البندقية، واستمرار الحرب مع اسبانيا (وكان انعقد صلح بين سليم ومكسيميليان سنة ١٥٦٨) والجاذب الآخر هو يوسف ناسي (وصار يقال له في الموسوعة « الدوق » ، ويظهر ان لقب ناسي لعبريته اندمج بالاسم يوسف اندماجاً لا يتبين معه ان « ناسي » لقب لا اسم علم) زعيم اليهود المطرودين من اسبانيا وايطاليا والمقيمين اليوم في الآستانة وسلانيك وأدرنة وغيرها من المدن العثمانية ويعدون بعشرات الالوف [١] .

* * *

وتمضي الموسوعة فتقول : « امـا دوق نكسوس (نكسوس اسم احدى الجزر) فقد جـاء الآستانة سنة ١٥٥٣ وموّل سليماً في حروبه مع اخيه بايزيد ، ومقابل هذا ، فان سليماً اغرى سليمان اباه بأن يهبه الاقليم المحيط ببحيرة طبريا، حيث كان يوسف يدبر هناك مشروعاً لاسكان اليهود المطرودين من ايطاليا في تلك النواحي . وفي سنة ١٥٦٦ منحه سليم لقب حاكم نكسوس والجزائر الاخرى في بحـر ايجه ، وكان ناسي يحمل عداوة شديدة لفرنسا والبندقية لاسباب شخصية . (لا نعتقد ان الاسباب شخصية بل تتعلق بمصالح اليهود) « فالموسوعة التاريخية » تصرح بأن يوسف قد موّل سليماً ، فهذا سكتت عنه المصادر اليهودية .

وسنة ١٥٧٠ حرّض يوسف، او دوق نكسوس ، السلطان على ان يحارب البندقية اثر رفضها ان تتخلى عن قبرص ، وقبرص كان ناسي يريدها لنفسه ،

---

(١) راجـع « رحلة بنيامين » لعزرا الحداد : مادة سلانيك ، والقسطنطينية حيث تجد تفصيلاً لوجود اليهود الواسع في هذه الاماكن بعد الطرد من اسبانيا .

فبعد ان تهزم البندقية وتؤخذ منهـــا قبرص ، يضع يده هو على الجزيرة ، ويتخذها ملاذاً وملجاً لاخوانه المطرودين من اسبانيا ، وأججت نار الحرب فعلاً ، وحالفت اسبانيا البندقية في غمراتها البحرية ولكن التحالف لم يكن محصف العقدة ، فكانت حركته جد بطيئة ، ومـــا وصلت الأساطيل الى قبرص الا متأخرة ، وفي السنة التالية ١٥٧٨ نجح البابا بيوس الخامس في شن حرب صليبية على الاتراك بقيادة دون جوان النمسا ، ولم يستطع الاتراك أخذ «فماغوستا» الا بعد حصار استمر ١١ شهراً وهجوم عنيف تكرر ست مرات. وبعد نحو شهرين ، احتشدت الاساطيل المتحدة ، مقـــابل اساطيل الاتراك بقيادة عالي باشا ، فدارت الدائرة على الاتراك وكانت هذه الموقعة البحريـة اشد موقعة بعد موقعـــة « اكتيوم » (قبل الآن بنحو ١٦ قرناً) فترنحت اوروبا طرباً لكنه كان طرباً عابراً ، اذ سرعان ما عاد التنافس بين الاسبان والبنادقة اشد منه سابقاً ، غير ان الاتراك استطاعوا بسرعة فائقة ان يبنوا اسطولاً جديداً ، وبقيت قبرص بيد الـترك حتى ١٨٧٨ اي نحو ٣٠٠ سنة حتى قدّمها عبد الحميد شبه هدية الى بريطانيا في يونيو من تلك السنة . ألا ترى يوسف ناسي يروح ويغدو وراء كل هـــذا لـكي يصل الى قبرص ، ثم فلسطين ؟

بعد هذه المدة بقليل اختفى يوسف ناسي في الظاهر ، لكن بقيت شباكه تلقى واصابعه تلعب ، وتوفي السلطان سليم سنة ١٥٧٤ ثم جاء السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ — ١٥٩٥) فانعقد الصلح بين تركيـــا واسبانيا ، وفي ايام السلطان مراد دخلت المملكة في دور التقلص والجزر . وصار السلاطين وراء مشتهياتهم ، وفسدت الاحكام ، والامر بيد وزراء ينهش بعضهم بعضاً ، ثم ظهر دور الطغمات المتحكمة ولا سيما من اليهود واليونان، واستقوت الانكشارية، والنساء بطانة كل مكيدة . وكان صوقللي حصيفاً مصلحاً ، ووقف في وجه يوسف ناسي ، غير ان السلطان مراداً اعرض عن نصائح صوقللي ، فدبّت

الفوضى ، وبعد قليل اغتيل صوقللي ، واتهم السلطان بقتله ، لكن اصابع طغمة ويوسف ناسي بارزة مرئية . وآخر مـــا نذكره من اعمال اليهود قبل العودة الى تكملة سيرة يوسف ناسي ، هو هذا : بينما الفوضى عامة والفساد ضارب اطنابه ، والناس في مخاوف ، ظهر بطريقة مريبة نَقْدٌ سمي «بالنقد اليهودي » او « العملة اليهودية » ، فاشتبه الناس بذلك فرفضوا التعامل بذلك النقد ، وكان الانكشارية اول من رفض ذلك ، وكانت بعد ذلك فتن صماء ، واستمرت الحال على هـــذا المنوال الى سنة ١٥٩٣ وكان يوسف ناسي وراء احبولة ذلك النقد . ولنعد الى مساق الكلام على هذا الرجل « الحكيم » من « حكماء صهيون » .

* * *

وقفنا في الاخذ من المصادر اليهودية عند منحه طبريا وجوارها من السلطان، ونعلم بعد ذلك من هذه المصادر ان يوسف اوفد الى طبريا رجلاً اسمه يوسف بن أضرات يثق بـــه ويعتمد عليه ، مزوداً بفرمان سلطاني ، ومحمّلاً المقادير الكبيرة من المال ، ومعظم هذا المال من ثروة غراسيا – (غراسيا ! من قبل عدة مراحل ، ما عدنا سمعنا بها الا الآن فاين كانت ؟ كانت وراء الستار) – ومهمة ابن اضرات ان يجدد سور المدينة ، طبرية [١] ولمـا شرع في ذلك ، انبرى لمقاومته – وهنا ننقل الكلام حرفياً : « العمال العرب الذين حركهم الحسد من ناحية ، والتحريض من احد المشايخ الكبار من ناحية اخرى ، لكن ابن اضرات تمكن بالتالي من اتمام العمل بمساعدة والي دمشق . وفي اثنـــاء الحفر عثر على سلالم درج من حجر ، يؤدي الى كنيسة بناؤها من عقود ، وفي

---

(١) طبرية يقدسها اليهود لا لعلة دينية في الاصل ، بل لانها اصبحت بعـــد خراب القدس والهيكل مقر السنهدرين من القرن الثاني الى الرابع وقرب الخامس بعد الميلاد . وطبرية احدى المدن الاربع في فلسطين يقدسها اليهود وهي القدس والخليل وطبرية وصفد . باني طبرية الملك هيرودس انتيبا سليل هيرودس الادومي النصف عربي سنة ١٦ ميلادية تكريماً للقيصر طيباريوس وفي « حطين » قرب طبرية ، انتصر صلاح الدين على الصليبيين انتصاره الكبير المدهش .

الكنيسة مقادير كبيرة من تماثيل رخام وثلاثة اجراس يرجع تاريخها الى الملوك الصليبيين في القدس ، فسبكت هذه الاجراس مدافع . ولكي يرقي يوسف الصناعات في فلسطين فقد قام بادخال زراعة التوت لجني الحرير واستجلب النسيج والقماش من البندقية . واصدر منشوراً الى اليهود يخبرهم ان كل مضطهد منهم بيده صنعة او له ميل لتعاطي الزراعة ، بوسعه الآن ان ينتقل الى فلسطين ويقيم فيها .. فانتقل اليهود الذين كانوا قد لاقوا العذاب في عهد البابا بولس الرابع (١٥٥٥ – ٥٩) في البندقية وجاؤا طبرية في سفن يملكها يوسف ناسي .

ثم تمضي هذه المصادر بوصف التدابير المتعلقة بنقل المطرودين الى طبريا حتى تقول ان البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ – ١٥٧٢) اصدر مرسوماً هو المرسوم المشهور (١٥٦٩/٢/٢٦) يقضي بطرد اليهود من الممالك البابوية ، وحتى تقول ايضاً ان سفينة كانت تقل اكثر من مئة مطرود اصطادها قراصنة مالطة وباعوا من فيها من اليهود ببيع الرقيق .

* * *

ولما تسنم سليم العرش ١٥٦٦ بعد وفاة ابيه ، وكان سليم يحب اللهو ، ولنلاحظ هذا ، وصل نفوذ يوسف ناسي الذروة ، ولما عاد سليم من بلغراد ، منح يوسف الولايه على جزيرة نكسوس مع عدة جزر اخرى في بحر ايجه ، فتولى يوسف الحكم على هذه المجموعة بواسطة وكيل له مسيحي اسباني اسمه فرنسيسكو كورونلو ، وانما اختار وكيله مسيحياً لكي يحول هذا المسيحي دون وقوع النزاع بين يوسف واهل الجزر(١) اليونان . وراح يتحبب الى السكان اليونان بتخفيف الضرائب عنهم ، فما رتب عليهم للخزانة السلطانية اكثر من

(١) قلنا : هذا كلام للتغطية ، والامر ظاهر ، فان كراهة اهل الجزر ليوسف ، وليس من الغرابة هذه الكراهة ، أخافته مع ما هو عليه من اللياذ بكنف السلطان ، فحرصاً منه على حياته ومصالحه ومصالح قومه اليهود ، جعل الحكم عن طريق وكيله المسيحي . اذ متى كان اليهودي ويهودي مثل يوسف ناسي يؤثر مسيحياً على يهودي ؟

١٤ الف دوكة سنوياً (الدوكة عملة كانت شائعة في معظم اوربا فاذا كانت من ذهب ساوت نصف جنيه وان كانت من فضة ساوت ثلث الذهب تقريباً) ومنحه السلطان ما يجبى من رسوم الخمور المستوردة من البحر الاسود .

وتقول الرواية اليهودية ، انه مع الحسد والمكايد من الصدر الاعظم محمد صوقللي ، فقد كان نفوذ يوسف عند السلطان سليم من الضخامة بحيث كانت اليه المراجعات من ممثلي الدول الاوربية ، فيرون احياناً ان يوسطوه في قضاء مصالحهم لدى السلطان . ولما رغب مكسيميليان امبراطور المانيا في عقد الصلح مع السلطان (١٥٦٧) لم يغفل عن اصدار الامر الى سفيره بأن يقدم هدايا الى يوسف كما يقدم الى غيره من اركان الدولة. لكن السفير لم يفعل هذا بل اقترض من يوسف مالاً وفي سنة ١٥٧١ أرسل اليه الامبراطور كتاب شكر بخط يده .

* * *

وفي سنة ١٥٦٦ شجع يوسف مجلس البروتستنت في انفرس ليقاوموا الملك الكاثوليكي في اسبانيا، واظهر لهم عداوة السلطان سليم له . فأرسل وليم اورانج (١٥٦٩) رسولاً سرياً الى يوسف يعلمه ان قيام اهل البلاد الواطئة بالثورة على ملك اسبانيا ينبغي ان يقرن بحرب من السلطان يشنها على اسبانيا ، حتى تضطر اسبانيا الى سحب جيوشها من البلاد ، وجرت بين يوسف «وسجسموند اوغست» الثاني ملك بولونيا مراسلات ودية حارة ، واقترض الملك منه مبالغ كبيرة سنة ١٥٧٠ فكافأه على ذلك بمنحه امتيازات تجارية واسعة ، رغم ان مجلس مدينة لمبرغ احتج على منح تلك الامتيازات .

* * *

وفي اول ايلول ١٥٦٩ شبت حرائق شديدة في البندقية، فألح يوسف على السلطان باحتلال قبرص وفتحها . ودخل سليم في حرب مع البنادقة وسلبهم قبرص سنة ١٥٧١. وهناك رواية ان سليم وهو يوماً غارق في سكره وملذاته،

وعد يوسف بلقب ملك قبرص ، فعلّق يوسف شعار السلاح الملكي في بيته ونقش اسمه فيه . ومهما يكن أمر فان سليماً لم ينفذ وعده .

* * *

وفي سنة ١٥٦٩ ايضاً منح السلطان يوسف حق مصادرة جميع السفن الفرنسية الماخرة في المياه العثمانية ، وحق ارتهانها ، حتى يستوفي (يوسف) ما له من دين على فرنسا وهو ١٥٠ الف سكودي (السكودي عملة ايطالية قديمة تساوي نحو اربعة شلنات) وكانت فرنسا تماطل في الوفاء ، فضبط يوسف السفن في الاسكندرية وباع وسقها بسداد دينه ، هذا رغم احتجاج السفير الفرنسي الى السلطان . وحاولت فرنسا الانتقام استرداداً لشرفها فَرَشَتْ رجلاً يهودياً حقيراً اسمه داود لكي يتهم يوسف بالخيانة العظمى ، ولما اطلع ناسي على هذه المكيدة أقنع السلطان بصحة ولائه له ، فنفي داود ومن يناصره الى رودس وطلب يوسف من الحاخامين أن يرموا داود ورفقته بالحرم الديني فحرموه .

* * *

ولما توفي السلطان سليم (١٢ كانون الاول ١٥٧٤) فقدَ يوسف نفوذه السياسي مع انه قد استبقي في ديوانه وهو باقٍ على مرتباته ، وقضى بقية حياته في عزلة في قصره في بلفردي ، ومات بلا عقب ، فاستولى السلطان مراد على تركته باغراء محمد صوقللي . ورثاه الشاعر سعديا « اليهودي التلمودي » وألف أحدهم كتاباً في ذكراه .

وكان يوسف ناسي سنداً وعضداً لعلماء التلمود الذين في الاستانة وهم تابعون لمعهد اسمه « يوسف بن لب » نزولاً عند رغبة غراسيا . وكان ليوسف مكتبة في بيته ، وأباح للجمهور الاستفادة من كتبها المخطوطة ، وأسس مطبعة يهودية في الاستانة فعاشت زمناً قصيراً . ويقال انه نتيجة لما كان يقع في قصره من المناقشات والمحاورات ، فقد حمله ذلك على ان يضع كتاباً منطوياً

على علم الكلام اليهودي أثبت فيه ان التوراة أصح من الفلسفة اليونانيـــة . وكأنه أراد بهذا السير في ظلال فلسفة فيلو اليهودي الفيلسوف الذي كان في الاسكندرية وكانت له آراء في أن اليهود الموزعين في شرقي البحرالمتوسط (المملكة الرومانية) اوطانهم انما هي البلدان التي يقيمون فيها ويعتاشون ، وأما بيت المقدس فهو مركزهم الروحي لا اكثر . أما يوسف منده وحكماء صهيون فيريدن تطبيق مخطط يهودي عالمي مركزه فلسطين ، وانمـــا أراد ابن منده بتأليف هذا الكتاب الاعلاء من شأن التوراة

* * *

ولا نحسب ان القارىء يحتاج الى مزيد اكثر مما تقدم ليستخرج من سيرة يوسف منده هذه نموذجاً واسعاً من العقل الاحتيالي اليهودي الجبار ، وفي كل جزء من هذه التفاصيل الغزيرة ، موضع عبرة ودرس . هذه قوافل « حكماء صهيون» ! عنصر المكيدة ، والأنانية ، واحدٌ من عهد استير الى عهد غراسيا وما بعد وهو اللعب بالسلاطين ، وشهوات النفوس فن احتكره اليهود . وفي النهاية بوسعنا ان نضع يوسف منده في هذا الاطار :

١ – هو صورة من روح التلمود ، وتعاليمه الخفية .

٢ – يرينا انه يعمل بدأب وراء غاية ولا يتراجع عنها ، ويظل مرصداً لها الحيلة ، والعقل ، والمال ، والجمال والمرأة ، حتى يظفر بمراده .

٣ – انظر ! فان رئيس الوزراء محمد صوقللي كان يتعب بسببه .

٤ – « السنهدرين » الذي تكلمنا عنه ، لم ينقطع وجوده في الخفـــاء ، فيوسف منده لا ريب ينبغي أن يكون هو رأس السنهدرين في زمنه . ولقب ناسي لم يعطَ إلا لرؤساء السنهدرين وبعض كبار الاحبار كما قلنا ، لا غير .

٥ – انظر كيف كان يتلاعب بالسلطان ومشتهياته ، وقد موّل السلطان في حربه مع اخيه . ومن اغتال بايزيد في إيران ؟

٦ – « حكماء صهيون » اليوم هم في العالم السنهدرين المتسلط على الاجهزة الخفية نعلمهم من أعمالهم ومخططهم .

٧ – قوة « اسرائيل » في الجزء المحتل في فلسطين مستمدة من نبعين : الأول الكيان الدولي الباطل الظاهر ، مستوية فيه مع سائر الدول مثيلاتها في الحجم والوزن. والثاني أجهزة اليهودية العالمية الخفية وهذا هو السر الأول والاكبر . وفي الأمة العربية كامن القوة في آسيا وافريقيا ، ما هو كفيل بأن يجعل العالم يشهد على ايدي العرب تعطيل الآلة اليهودية ، المجرمة المخربة ، ظاهرها وخفيّها ، في المستقبل المطل على العرب بآيات جديدة . يتحرك التاريخ ، ولا يحركه في الشرق إلا العرب .

١٤ - موسى مونتفيوري

١٧٨٤ - ١٨٨٤

في سطور قليلة أولاً :

- بين سور المدينة ، بيت القدس ، ومحطة سكة الحديد للجنوب من المدينة تسير الطريق العامة الى بلدة خليل الرحمن .

- هنا عند السور ساحة من ساحات المدينة تسمى « باب الخليل » .

- في الطريق الى محطة سكة الحديد ، وتبتدىء من ساحة باب الخليل ، بناية قديمة مستطيلة ساذجة لايواء فقراء اليهود . هذه البناية انشأها موسى مونتفيوري في الربع الاخير من القرن الماضي .

- عاش هذا الرجل من « حكماء صهيون » مئة سنة .

- كان غنياً كبيراً ، وبعد الاربعين من عمره ، انقطع عن جمع المال وعكف على احياء اليهودية في فلسطين .

- لاحت له الفرصة ان يحقق مشروعه ، لما كان ابراهيم بن محمد علي في الشام مدة نحو ٩ سنوات آخرها ١٨٤٠ وقصته تشبه قصة يوسف منده .

- كان مشروع مونتفيوري ان يستأجر من محمد علي ١٠٠ - ٢٠٠ قرية في شمالي فلسطين ، صفد وطبرية وما اليها ، لمدة ٩٠ سنة على ان يدفع الاعشار المقررة كل سنة سلفاً دفعة واحدة وبزيادة ١٠ - ٢٠ بالمئة على معدل تخمين الاعشار وقتئذٍ . فوافق محمد علي . وما منع تنفيذ المشروع

سوى : حادث اليهود في الشام من خطف الاب توما الكبوشي وخطف خادمه واستنزاف دمهما وهو حادث هزّ العالم ، وانسحاب ابراهيم من الشام .

- لمونتفيوري قصة مع « دوق كنت » والد الملكة فكتوريا تتعلق بوراثة العرش البريطاني وهي قصة مكر يهودي عظيم .
- لما حكم على اليهود الجناة في قضية الاب توما ، وهم نحو (١٠) والحكم بالاعدام ، استغلّ مونتفيوري الصلة التي له مع القصر ، وحصل سنة ١٨٤٠ على رسالة شفاعة من الملكة فكتوريا الى محمد علي . هذه الرسالة مع المال ، اطلقا سراح الجناة . وهذه التوصية من فكتوريا مكافأة له على ما سبق له صنعه مع والدها على ما نرى الآن .
- سيرة مونتفيوري سيرة احد « حكماء صهيون » .

* * *

ولد مونتفيوري في ايطاليا سنة ١٧٨٤ وعاش مئة سنة ومات في لندن سنة ١٨٨٤ . ويؤخذ من سيرته ان عمه كفله ورباه ، كما كفل مردخاي استير والقصة بين ما صنع مردخاي واستير ، وما صنع مونتفيوري متشابهة، لكن هنا لا يدخل مخطط محو اليهود على يد هامان العماليقي العربي ، بل اليهود اراد مونتفيوري ان يجمعهم في فلسطين .

لما شب عن الطوق ، نقله عمه الى لندن ، ووضعه في اعمال مصرفية على غرار ما صنع يوسف منده وعمته الفاتنة غراسيا ، او استير المستترة في بلاط سليمان القانوني ، وابنه سليم . وضعه عمه في اعمال مصرفية ، وهذه الاعمال من ادق الاساليب عند « حكماء صهيون » للتخريج والتدريب ، وانما جعل عليه رقابته الدقيقة ، ويمده بالارشاد والملاحظات. وتولى مناصب مالية دقيقة في خزانة البلاط البريطاني ، وكانت مهنة الصيرفة العالية الطراز في لندن محصورة في عدد قليل قد لا يزيد عددهم على اثني عشر صرّافاً كبيراً ، وهذه

المهنة تحتاج الى رخصة عاليه ، فحصل مونتفيوري على هذا كله . وهذه الرخصة تمهّد الطريق للاتصال بالقصر .

ولما بلغ موسى مونتفيوري حدود الاربعين ، اي حوالي سنة ١٨٢٤ كان قد اسطاع ان يجمع ثروة طائلة . وهنا ، فانه بدلاً من اطّراده في العمل المصرفي ، استزادةً للمال ، كما هو المألوف المتوقع في الطبع اليهودي ، انقطع عن ذلك وفطم جشعه في الظاهر ، وختم على اكياسه ، لكن لا عن تحوّل في الغريزة ، بل استجابة لواجب اليهودية .

وقصته تبتدىء وتنتهي رائعة. جبروتها في قوتها الخفية.فكان مونتفيوري صيّاد ملوك كيوسف منده وامثاله ، ممن نقدم نماذج من تراجمهم الموجزة في هذا الكتاب . ونقطة البيكار اصطياد الملوك ، وهم او عروشهم في المآزق الحرجة . والعقدة في جمع ما يمكن جمعه من اخبار « حكماء صهيون » في تراجمهم ، انهم ، عمداً منهم في القديم والحديث من الزمن ، يخفون مخططهم ، فتخفى على العالم الخارجي اخبارهم ، ولا يذيعون منها الا ما يريدون هم،وعلى الصورة التي يؤثرون،فتدخل الزيادة ويدخل التشويه ، والاختلاق،والتخفية. هذا يوسف مندة ، المثل الذي مررنا به ، وهذا مونتفيوري وسيأتي دزرائيلي وامثالهما العشرات ، بل كل « حكماء صهيون» . غير ان المقدار الذي يحصل عليه العالم الخارجي من اخبار «الحكماء» ، في أي بلد كان ، كافٍ للدلالة على القضايا المبحوث فيها . والامور الباطنية المستورة عند اليهود لا استقصاء لها ولا نهاية ، على كل حال ، والوصول اليها من الالف الى الياء ، مستحيل في نظرنا .

* * *

وهذا مصدر يهودي فيه قبصة من المعلومات تتعلق بمونتفيوري ، فنقرأ ، ونزن ، ونتأمل . ومن هو هذا المصدر ، الى جانب ما عندنا من اخبار مونتفيوري ، واسم مونتفيوري في القدس معروف ؟ هو كتاب « يقظة العالم اليهودي » ليهودي من مصر اسمه « ايلي ليفي ابو عسل » وايلي هو « ايليا »

وليفي هو «لاوي» وابو عسل برهن على انه زقّوم وغسلين . كما سترى الآن هذا الكتاب ظهر في مصر سنة ١٩٣٤ في طبعته الاولى (وطبع بمطبعة «النظام» واطلع عليه كثير من العرب) ومما قال مؤلفه في المقدمة : «واني أشعر بشيء فيه كثير من الغبطة لبلوغي هذه الامنية ، اي لكشفي النقاب عن حقائق كانت في ظلمات التاريخ ، فظهرت في وضح الضحى سافرة الوجه يراها ويتمعنها كل من له ألمام باللغة العربية اية كانت عقيدته » .

والكتاب في نحو ٣١٥ صفحة ، مرماه وغايته الاشادة بذكر اليهودية والصهيونية والاشادة بسير الوطن القومي في فلسطين وايجاز تراجم عدد كبير من الشخصيات اليهودية الصهيونية ، والنقطة الكبرى في الكتاب كله هي نسج هالة لماعة حول الصهيونية وهي تبني « القوطن القومي اليهودي » في فلسطين ، وممن تناولهم هذا الكتاب موسى مونتفيوري .

١ – تبتدىء القصة بالملك جورج الثالث (١٧٦٠ – ١٨٢٠) فقد انتابته شدائد جعلته ينحلّ فخولط في عقله ، وفي سنة ١٨١١ نحّي عن الملك ، وجيء « بالبرنس اوف وايلس » وصياً على العرش ومات الملك جورج الثالث سنة ١٨٢٠ .

٢ – تولى العرش بعد جورج الثالث ، ابنه جورج الرابع سنة ١٨٢٠ ، وهذا كان قد تزوج من « كارولين اوف برنسويك » سنة ١٧٩٥ زواجاً لم يرض عنه الشعب وبعد زواجه انفصل عن أبيه ، ولما ارتقى العرش سنة ١٨٢٠ كانت زوجته تقيم في القارة ، فجاءت لتكون الملكة ، فتلقاها الشعب بالنقمة والسخط فطلقها الملك . وبقي جورج الرابع على العرش الى ١٨٣٠

٣ – بعد جورج الرابع تولى العرش اخوه وليم الرابع (١٧٦٥ – ١٨٣٧) ولما مات ١٨٣٧ جيء بفكتوريا (١٨١٩ – ١٩٠١) وهي ابنة «امير كنت (او دوق كنت) جدها جورج الثالث وكل من جورج الرابع ووليم الرابع عمها . وتولت العرش من (١٨٣٧ – ١٩٠١) اربعاً وستين سنة ، وبها انطبع عصر بكامله في بلاد الانكليز . وموسى مونتفيوري انما كانت «حكمته»

« ويهوديته » يدوران حول فكتوريا ، وأخبار كهذه تكمن في زوايا القصور لا تجد سبيلها الى التاريخ الا بعد مدة ، وبعد التمحيص والغربلة ، لترتبط الحوادث بأسبابها الطبيعية الصحيحة .

٤ - من المفيد ان نجلو مسألة فكتوريا ، وكيف انتهت الى العرش ، وهذا الجلاء يلقي ضوءاً ليس بالقليل على استعداد العقل اليهودي العَلَقي الممتص ، للانسياب الى الزوايا في القصور ، وعرض الولاء والخدمة ، وهذا كله بذور ، لكي تجنى من ذلك الثمرات في يوم مقبل .

٥ - فكتوريا اسمها الكامل « الكسندرينا فكتوريا » بنت دوق كنت ، ابن الملك جورج الثالث . جورج الثالث هو حفيد جورج الثاني ابن جورج الاول الالماني الاصل ، اذ كان امير هانوفر في المانيا . والدة فكتوريا ، لويزا فكتوريا بنت دوق الماني ، واخت ليوبولد الاول ملك البلجيك . فكتوريا ، وقد ولدت في ٢٤ مايس ١٨١٩ ، مات والدها وهي في الثانية ، فقامت والدتها على تربيتها احسن تربية ، واختارت لتربيتها البارونة لهزن ، وهذه المانية من أعقل المربيات في العالم . لما بلغت فكتوريا الحادية عشرة تعلمت عدة لغات من المانية وفرنسية وايطالية حتى اللاتينية ، وأتقنت آداب اللغة الانكليزية . وبرعت في الفنون الجميلة ، واعتنت بالدين خاصة . فتكامل لها من حسن الشمائل النسوي ما اهّلها للملك ، خير تكامل .

٦ - وما نقوله هنا في هذه الفقرة ، على غاية الاهمية . ولنتذكره عندما نأتي الى مونتفيوري وثعلبيته . فان والدة فكتوريا ادركت ان العرش سيؤول الى ابنتها :

فعمها جورج الرابع مات بلا عقب .

وخلفه عمها الآخر وليم الرابع ، وهذا كان له بنتان ماتتا في حياته .

فجعلت امها ، والبارونة المربية ، تذكران على مسمع منها في المناسبات الجميلة ، انها ستكون الملكة يوماً ما . ويوماً ما ، وقع نظر فكتوريا على

« شجرة » الملك ، في ورقة وضعت في كتـــاب كانت تحب المطالعة فيه ، فلاحظت من « الشجرة » انها هي المطلة على العرش . فقالت : انني اقرب مما كنت اظن . ثم قالت : ان الملك شيء عظيم ومجده كبير ، لكن اعباءه أكبر وأعظم . ثم قالت للبارونة المربية : « الآن علمت سبب الحاحك علي ان أتعلم اللاتينية » .

٧ – مات عمها في منتصف الليل (٢٠ يونيو ١٨٣٧) فحضر اليها رئيس الاساقفة ، ومركيز ، وأحد الاطباء ، وكانوا قد حضروا موت عمها . ولما اوقظت ، وعلمت بالخبر طلبت من الاسقف ان يصلي . وأول آية من آدابها ، انها تناولت ورقاً وكتبت رسالة تعزية الى امرأة عمهـا ، خاطبتها فيها بلقب « صاحبة الجلالة » ، حتى لا تكون هي اول من خاطب امرأة عمهـــا بغير هذا اللقب بعد وفاة زوجها الملك . ونودي بها الملكة في اليوم الثاني، واحتفل بالتتويج بعد سنة .

٨ – من حسن الفأل يوم تتويجها ، بأبّهة فائقة ، ان ذلك اليوم كان مطيراً ، والغيوم متلبدة ، والقوم في الـكنيسة ، وهي في كرسيّها ، وبعد قليل سيوضع التاج المرصع بالجواهر على رأسها ، واذا بالغيوم تنقشع لحظات ويسطع نور الشمس من النوافذ ، ويقع الشعاع على التاج وهو يوضع على رأسها فتألقت الجواهر ، فعجب الناس من هذا ، وعدّوه بشائر خير .

٩ – زوجها هو ابن خالها ، ليوبولد ملك البلجيك ، والزواج كان سنة ١٨٤٠ . ولما كانت حفلة مراسم الزواج تقام في الكنيسة ، وتهيـــأ الاسقف ليقرأ من الكتاب المقدس الفصل الذي تؤمر فيه المرأة بطاعة الزوج ، سألها هل تبيح له ان يقرأ ذلك الفصل فأجابته برزانـــة : « انني اقترن امرأةً لا ملكةً فلا تتخطى شيئاً من كلام الكتاب» وكانت تعامل زوجها معامـــلة الزوجة الفاضلة ، وعاشت معه ٢١ سنة .

١٠ – ومما يروى : ان شيئاً من الاغبرار وقع بينهما – الزوج والزوجة – وهذا قلما يخلو منه بيت ، وبينما هو في مكتبه احبت ازالة الاغبرار ، فجاءته

وقرعت الباب فسأل : من ؟ فأجابت : الملكة . فاستمهلها ومضى يعمل الى منضدته . وانتظرت ثم عادت فقرعت الباب ثانية ، فسأل : من ؟ فأجابت : الملكة وامبراطورة الهند ، فاستمهلها ثانية . ثم عادت فقرعت الباب لثالث مرة فسأل : من ؟ فأجابت فكتوريا زوجتك! فهبّ لاستقبالها بحفاوة قائلاً : اهلاً بسيدتي وزوجتي العزيزة !

١١ – من كلامها المأثور عنها : « السر في عظمة بريطانيا هو الكتاب المقدس » . « التجارة وحدها لا تجعل الامة عظيمة وسعيدة ، وانكلترا انما بلغت من العظمة بمعرفة الاله الحقيقي » .

١٢ – من عظماء الانكليز الذين كانوا من وزرائها : لورد ملبورن . سر روبرت بيل (جد لورد بيل رئيس لجنة التحقيق الملكية في فلسطين ١٩٣٦ – ٣٧) . لورد جون رسل . لورد بالمرستون . لورد بيكنسفيلد – (هو دزرائيلي او «بن اسرائيل» اليهودي المتنصّر ، الآتية ترجمته بعد هذا) ارل اوف دربي . غلادستون . لورد روزبري لورد سالسبري .

١٣ – جاءها رئيس الوزراء يوماً بمشروع خطير للتوقيع عليه بالموافقة وكانت هي غير مقتنعة به ، وراح رئيس الوزراء يحاول اقناعها وان المشروع عظيم الخطورة للأمة ، وهي تستمع اليه ، فلما فرغ من الكلام قالت له : ان اخطر المسائل لدي واهمها ان اوقع على مشروع لم اقتنع به .

١٤ – وفي عصرها تضخم العمران الامبراطوري الاستعماري ، وازدادت مساحة الاملاك نحو ٣ ملايين ميل مربع ، والرعايا من ١٦٨ مليون الى ٤٠٠ مليون ، وكان دخل الخزانة من بلادها ٥٠ مليوناً ومن الهند ٢٥ مليوناً فصارا من بلادها ١٢٠ مليوناً و ٧٠ مليوناً من الهند و ٣٠ مليوناً من اوستراليا و ٢٠ مليوناً من باقي المستعمرات ومجموع هذا الدخل (٢٤٠) مليوناً بعد ان كان ٧٥ مليوناً .

١٥ – وعند الانكليز يقولون « عصر فكتوريا » وكان لها صداقات مع

كثير من الملوك والرؤساء والسلاطين . وكانت رسائلها تحل من عويص المشكلات ما لا يحله الوزراء والسفراء . ومرة ارسلت رسالة خاصة الى عبد الحميد لما كان هرتزل يراجعه بشأن فلسطين ، ولم يعرف فحوى تلك الرسالة .

١٦ – جعلت زواج بنيها ، سبب رابطـــة تقارب بين البيت المالك في بريطانيا والبيوت المالكة الاخرى في كل من روسيا والمانيـا والدانيمرك واليونان ورومانيا . ومدة حكمها ، اطول مدة ، على كل حال ، في التاريخ الانكليزي .

١٧ – لما قضت نحبها سنـة ١٩٠١ نشرت صحف العالم ترجمتها ونوّهت بفضائلها ، وهذا في العالم العربي خاصة . ورثاها الشعراء العرب ، وممن رثاها حافظ ابراهيم شاعرالنيل وجرى في رثائه على نمط حكيم ؛ وفي سيرتهاوضعت الكتب عند الانكليز ، وترجمت خلاصة بعضها الى العربية .

* * *

– وطراز فكتوريا شاع في بـلاد الانكليز في افـق العادات ، والالبسة والفكر ، ومظاهر الفنون : وكان القرن الماضي قرن اقتسام افريقيا ، والتوسع الاستعماري ، فسميت اشياء كثيرة باسم فكتوريا ، من مستعمرات وبحيرات ومعارض ، واستحدثت الاوسمه ، واطلق اسمها على الشلالات ، والسفن الفخمة ، والاندية الى آخر ما يظهر من شارات الاستعمار ، والعمران الممتص من شرايين آسيا وافريقيا .

– وسنرى الآن في ترجمة مونتفيوري ان هذا « الحكيم » من « حكـماء صهيون » لما جاء الى محمد علي « ليلعب » به اللعبة الذهبية ويطلب منه العفو عن اليهود المجرمين قتلة الراهب الاب توما الكبوشي في دمشق ، ونال مونتفيوري ، ما اراد ، كان في جيبه كتاب وصاة من فكتوريا الى محمد علي .

١٨ – نعود الى مونتفيوري ، ولعبته هذه هي : جاء في ترجمة « يقظـة

العالم اليهودي » ما يشبه هالة من العاب العنكبوت حول اسم مونتفيوري ، وقال « ابو عسل » ، وهو يصنف ما يلقي اليه من المراجع الصهيونية في مصر وفلسطين وقتئذ، انه لما اشتدت وطأة المرض بالملك جورج الثالث سنة ١٨٢٦ (كان مرضه متمادياً نحو ٩ سنين) كان « دوق كنتوت » قد غادر البلاد بعد ان بدّد ثروة ضخمة، وحرم من الاقامة في القصر الملكي، فاقام في بروكسل ، وبعد سنتين تزوج « البرنس فان لنجن » وهو في الحادية والاربعين . وليس غريباً ان تحلّ به ازمات مالية .

١٩ – فينهض اليهودي الـــثري الغني ، الواسع النفوذ على اليهود ، وهو رأس من رؤوسهم ، او مقدم «حكمائهم» موسى مونتفيوري ، ويحشو حقيبته مالاً ، ويأتي دوق كنوت في بروكسل ، ويثير لديه اهم قضية تقيم وتقعـد ، قضية العرش البريطاني ، ويبين له الوضع : الملك ينتظر موته بين يوم وآخر (جورج الثالث) ، وابنه جورج في مرض شديد وليس لجورج من ولد ، واما البرنس وليم فلسبب ما فلا ينتظر ان يكون له ولد . فاذا حصل هذا كله ، وهو شديد الاحتمال ، فالعرش البريطاني سيؤول الى دوق كنوت . هذه هي الصفوة التي كانت في جعبة مونتفيوري ، ولا ريب انها نتاج تفكير طويل ، وتحليل وتعليل ، وحسابات ، ودراسة عميقة ، وقـد قلـّبها ظهراً لبطن ، وطحنها وزناً وتقديراً ، لينفذ من كل هذا الى غايته اليهودية التي يحملها في صدره ، حمله المال في جيبه .

* * *

٢٠ – ولماذا هذا الامر يتصدى للنظر فيه ويبحثه يهودي ، ولو كان غنياً ، ويـأتي من لندن الى بروكسل بهذه الفكرة الى دوق كنت ؟ ايخفى هذا كله على دوق كنت ؟ كلاّ . أمن غيرة مونتفيوري على العرش البريطاني؟ وهناك الوزراء ومجلس النواب ، وأهل الحل والعقد من رجالات الانكليز ، وهم أولى ان يكونوا مباشري هذه الفكرة مع دوق كنت . أتبقى هـــذه المسألة هاجعة ، حتى ينهد لها مونتفيوري ؟ فما يقوله كتاب « يقظة العـالم

اليهودي ، من ولاء مونتفيوري للعرش ، موضعه سلة المهملات ! فلنتناول ناحية أخرى ، قد تكون صحيحة : فان دوق كنت ربما كان في ازمة مالية خاصة ، وعلى فرض ان الدوق كان من تلقاء نفسه يود الانتقال الى لندن بعد زواجه ، حتى اذا رزق ولداً ، كان هذا الولد ، بحكم قانون العرش ، يحق له تولي العرش ، فاذا كان هذا معقولاً ، فالدوق لا مال له ، فما يفيده الفكر الغني مع الجيب الفارغ ؟ ثم ان مونتفيوري لما كان يتعاطى الصيرفة العالية الطراز في لندن ، مكنته الصيرفة من الاطلاع على خفايا القصر .

٢١ – انكشفت الحقيقة ، وزالت عنها الطلسمات !! فان اليهودي مونتفيوري جاء يستغل الازمة المالية لدوق كنت ، ويشوّقه الى العرش الذي سيؤول الى ولده ، لكن هذا الولد لا يحق له ان يتولى العرش اذا لم يكن قد ولد في بلاد الانكليز لا في بلد اجنبي . فلما اقتنع دوق كنت بوجوب انتقاله الى لندن ، قدم اليه مونتفيوري المال . هذا هو السحر كله .

٢٢ – وانتقل الدوق، وولدت فكتوريا، وربيت التربية المؤهلة لها لتولي الملك ، وتوجت ، وتزوجت ، وهذا لا يمنع ان تكون واقفة على الحقيقة : لما انتقل ابوها من بروكسل الى لندن ، اعانه مونتفيوري بالمال . وتبقى هذه القصة في زاوية القصر . اما مقدار المال ، وكيف استوفاه مونتفيوري وما الى ذلك ، كل هذا لا ندري منه شيئاً .

٢٣ – تزوجت الملكة فكتوريا سنة ١٨٤٠ .

في هذه السنة وقعت حادثة خطف الاب توما الكبوشي واستنزاف دمه في دمشق ، هو وخادمه ، وفي هذه السنة جعل ابراهيم بن محمد علي ينسحب من سوريا مكرهاً .

وكان مونتفيوري في شغل شاغل من امر فلسطين !

ففي ايام احتلال ابراهيم للشام ، سنة ١٨٣٧ زار مونتفيوري فلسطين

ودرس احوالها وزراعتها وتربتها ومستقبلها ، في جهات صفد وطبرية، فرأى ان يحقق فكرة له : وهو ان يستأجر من محمد علي ١٠٠ - ٢٠٠ قرية لمدة ٩٩ سنة وهو يدفع اعشارها لمحمد علي سلفاً كل سنة في اسكندرية مع زيادة ١٠ - ٢٠ بالمئة على معدل الاعشار العادية على ان تكون الاراضي خلال مدة الاجارة لا يد لاحد عليها ، واليهود احرار في التصرف في الانتاج داخل فلسطين وخارجها [1] .

وفي السنة التالية ١٨٣٨ قام برحلة ثانية الى فلسطين ، وسجّل كل هذا في مذكراته الخاصة وما اوردناه في الفقرة السابقة منقول من مذكراته المكتوبة ١٨٣٩ . ثم جاء مرة ثالثة سنة ١٨٣٩ .

٢٤ - ولما رأى مونتفيوري و « حكماء صهيون » ان الحكم بالموت على نحو (١٠) رجال من يهود دمشق ، فيهم وجوه واعيان وحاخام ، في حادثة الاب توما، سيكشف الغطاءعن شيء كثير،زمّ حقائبه وحشاها بالمال، كما حشاها لما اتى دوق كنوت في بروكسل . وتناول من الملكة فكتوريا ، « الصديقة بنت الصديق » ، رسالة خاصة الى محمد علي في الاسكندرية ، وفي الرساله ان يعفو محمد علي عن الجناة !

٢٥ - وكان محمد علي وابنه ابراهيم يجتازان شرّ ازمةٍ سياسية واقتصادية، وبريطانيا هي الملحّة على محمد علي بوجوب الانسحاب من الشام . وليس يهم محمد علي وقتها كثيراً ، ان يعدم الجناة او يعفى عنهم ، وانما يختار احد الوجهين الذي فيه مراضاة خاطر الملكة فكتوريا . فالرسالة شخصية ، وهو بحاجة الى ما في حقيبة مونتفيوري ، فأمر بالعفو . واطلق سراح الجناة ، الا من مات منهم في السجن .

---

(١) يقول كتاب « يقظة العالم اليهودي » ان مونتفيوري زار فلسطين مراراً وطافها دارساً سبع مرات . واحب مونتفيوري اغتنام الفرصة ايام محمد علي وحاجة هذا الى المال . فيعقد الصفقة معه لا مع السلطان . واما معدل الاعشار وضرائبها فمع زيادة ٢٠ بالمئة يبقى هذا المعدل قليلاً عندما تتحسن الاراضي بعد قليل ولا اشارة الى مصير الارض بعد ٩٩ سنة .

٢٦ – امـا التقدم بمشروع استئجار المئتي قرية من شمالي فلسطين لِ ٩٩ سنة،فتوقف اذ جعل ابراهيم ينسحب بعد قليل وقبل عقد الصفقة،فانسحب.

٢٧ – لكن بعد ١٨٧٠ بقليـــل ، انشأ مونتفيوري بناءً لايواء فقراء اليهود، في ضاحية خارج سور القدس ،وقيل لهذا البناء « حارة مونتفيوري » وكانت لا تزال قائمة الى ١٩٤٨ . وهي التي اشرنا اليها في اول هذا الفصل .

٢٨ – ثم مضى مونتفيوري يعيش ويلتفت الى الوراء عادّاً ايامه ، حتى صار يعد من عمره مئة سنة ! وفي هذه السنة المئوية احبت فكتوريا الزيادة في اكرامه ، فاذا بالبريد الملكي يحمل اليه من اميركا مئة رسالة تهنئة بالقرن الكامل وهذه الرسائل من الاقطاب والعظماء ، من مئة صديق وهم «الحكماء» . وظلت الملكة فكتوريا تذكر تفريجه ازمة ابيها .

وقلنا ان فكتوريا زودت مونتفيوري برسالة شفاعة الى محمد علي ، وهذه الرسالة مع الذي في الحقيبة نجّت الجنـــاة . ومرة اخرى ارسلت فكتوريا رسالة خاصة الى عبد الحميد ، وهـذه بشأن هرتزل وفلسطين وبين الرسالتين نحو من ستين سنة ، فتأمّل .

٢٩ – لما قضى مونتفيوري نحبه ١٨٨٤ ، كان هرتزل لم يطل بعد ، وانما اطل بعد هذا الوقت بأربع عشرة سنة . وكان السير فرنسيس مونتفيوري ، وارث عمه موسى في المال والحال والجـــاه ، والقفاز الابيض ، هو رئيس « الجمعية الانجلو – يهودية » في لندن وقت اعطاء وعد بلفور ١٩١٧ .

٣٠ – وكان فرنسيس على صلة بهرتزل ، بل معوانه في كبار الامور ، وربما كان يقدم اليه مالاً . وكان هرتزل يرشحه في احد المؤتمرات الصهيونية لنيابة الرياسة ، اي نائب هرتزل وكان الفريق اليهودي الروسي لا يفتأ ينتقد هرتزل ويفنّد مخططه بعد ان مال الى قبول عرض بريطانيا في « كينيا» شرق افريقيا . واليهود الصهيونيون الروس كانوا يرفضون هـــذا العرض ، وهرتزل يعتبره صالحاً وتعتبر كينيا بعدئذ مستعمرة لفلسطين بعد ان ينزل

اليهود فلسطين . وكان ويزمن على رأس المناهضين لهرتزل في مشروع كينيا . ولمـــا راح هرتزل يبدي لياقة فرنسيس مونتفيوري لنيابة الرياسة ، اجابه ويزمن : « دكتور هرتزل ! لكن هذا الرجل شبه معتوه !!» فأجابه هرتزل بعد اطراقة عميقة وبلهجة غير مستعجلة : « لكنه هو الذي يفتح لي ابواب القصور ! » .

٣١ – وهناك كلود مونتفيوري ، فانه كان يعارض انشاء وطن قومي في فلسطين على اساس « السياسة » و « الدولة اليهودية » ، وهناك جمعية اخرى ايضـــاً كانت تقول بقول الاولى ، رئيسها السير دافيد اسكندر ومن رأي الجمعيتين ان اليهود لا ينبغي ان يطلبوا في فلسطين الا صورة مركز ثقافي روحي ، وفق ما اعلنته الصهيونية سنتي ١٩١١ و ١٩١٣ من انها لا تبتغي غير هذا من حركتها ، ومن يقول بأن الغرض هو انشاء دولة سياسية فذاك القائل جاهل او حاقد .

* * *

وهذا الاختلاف كله يتناول الاساليب والطرق مع اتحاد جميع اليهود في الهدف والغاية . اما رأينا ، الصهيونيين يعلنون هم انفسهم في مؤتمراتهم العامة وعلى مسمع من العـــالم انهم لا يريدون دولة سياسية في فلسطين ؟ والخداع لا يزال عندهم سلاحاً من امضى الاسلحة .

١٥ ــ دزرائيلي (بن اسرائيل)

١٨٠٤ – ١٨٨١

يهودي تنصر وبقي يهودياً ليخدم الصهيونية

على طريقة « حكماء صهيون »

١) « اليهودي ، هو القوة وراء كل عرش في بلاد اوروبية »
لمن هذا القول ؟
هو لدزرائيلي الذي اسمه الحقيقي « بن اسرائيل »
« كتاب الحكومة الخفية ص ٥٦ »
Hidden Covernment

٢) « انما يحكم العالم ويسيره اشخاص هم وراء الستار يختلفون كل الاختلاف عن الاشخاص الذين على المسرح امام الستار » .
« دزرائيلي – المصدر السابق »

٣) قال بلزاك (١٧٩٩ – ١٨٥٠) : – « المعركة الاخيرة لظفر المسيحية هي معركة المال ، ومن الآن الى ان تحل مشكلة المال فالمسيحية اعجز من ان ترى احكامها العملية نافذة مطبقة تطبيقاً عالمياً » .

٤) قال قطب من اقطاب روتشيلد قبل ١٠٠ سنة : « اعطني سلطة اصدار النقد ومراقبته ، ولا ابالي بعد ذلك بمن يسن الشرائع والقوانين » .
راجع البروتوكولات

قال هيلر بلوك Hilaire Belloc في كتابه « اليهود » ، يصف اليهود في بلاد الانكليز ، وما كانوا عليه وما صاروا اليه : –

« وتلفت اليهودي ، فوجد ان جميع ما يطلبه شعبه من « الغوييم »

موجود في الدولة البريطانية . وهنا يمكنه ان يكون على حال لم يحلم بها او بمثلها في اي بلد آخر في العالم . فالكراهية التي كان يلاقيها من قبل ، قد زالت وفتحت امامه مناصب الدولة ، وصار عدد كبير من اليهود من اصحاب السلطة التنفيذية في الدولة ، وبرسوخ هذا الوضع وامتداده ونموه ، صار المجتمع ممتزجاً بهم بتبادل الزواج بين الاسر الانكليزية التي كانت سابقاً ارستقراطية اباً عن جد ، وبين الاسر اليهودية التجارية الغنية ، بحيث لم يبق من الاسر البريطانية المحافظة على نقاوة دمها القديم ، دون ان يخالطها الدم اليهودي ، الا القليل . وصارت كل حكومة تعطي اليهود نصيبهم من كراسيها فانتظموا في السلك الدبلوماسي ، واحتلوا مقاعدهم في مجلس اللوردة ، ومجلس النواب ، والجامعات والمعاهد. واستولوا على الصحافة ثم على المراكز التجارية المهمة » .

وفي رأي هايمسون في كتاب « تاريخ اليهود » ان هذا كله قد تم في خلال المئة سنة الاخيرة . وفي « موسوعة تاريخ العالم » ان آخر القيود التي كانت على اليهود في بلاد الانكليز ازيلت سنة ١٨٥٨ وفي هذا الوقت كان دزرائيلي رئيس الوزاره .

* * *

أهم البنود في « قانون اليهود » في بلاد الانكليز سنة ١٢٧٥

١ – ان يحصروا سكناهم في اماكن معينة .
٢ – ان يمنعوا من تعاطي الربا .
٣ – ان يمنعوا من شراء الأراضى .
٤ – ان يمنعوا من الاختلاط بأهل البلاد (المسيحيين) .
٥ – ان يجبروا على تعليق الشرائط الصفراء على اكمامهم ليعرفوا انهم يهود.

بعد صدور هذا القانون بـ ١٥ سنة امر الملك ادوار الاول بطردهم من البلاد فطردوا وبقوا خارج البلاد ٣٦٧ سنة حتى اعادهم اليفر كرمويل ، وكرمويل موّله منسى بن اسرائيل وموسى قراجا ، دون ان يلغي قانون الطرد.

* * *

دزرائيلي

سياسي بريطاني رمسيحي في الظاهر ، تولى رياسة الوزراء غير مرة ، ومن اخطر « حكماء صهيون » في الحقيقة والباطن ، ووصل الى ذروة الشهرة اثر مؤتمر برلين ١٨٧٨ وهو المؤتمر الدولي الذى انعقد بعد الحرب الروسية العثمانية ، ووقعت فيه الدولة العثمانية بين ايدي الجزّارين من ساسة اوروبا[1] ، فقطعوا أوصالها في اوروبا ، وما بقي

(١) وهم في مؤتمر برلين هكذا :
عن بريطانيا : دزرائيلي وسالسبوري .
« المانيا : بسمرك ، ولقب «بالسمسار الشريف»
« روسيا : غورشاكوف وشوفالوف
« النمسا : اندراسي
« فرنسا : ودنتون
« ايطاليا : كونت كورتي.
« تركيا : كاراديوتوري اليوناني .
وكان عبد الحميد قد ارتكب جناية بابعاد مدحت باشا «ابي الاحرار» ، وكان مدحت يساوي عشرات الرجال في العقل والحكمة والاخلاص فثقبت سفينة عبدالحميد وصارت تهوي الى القاع.

لها من املاك في الناحية الاوروبية الا رقاع صغيرة لا تذكر ، واخذت الشعوب البلقانية طريق الاستقلال من هذا المؤتمر ، وكان دزرائيلي وبسمرك بطليه الاولين .

١ - ولد بنيامين بن اسرائيل (تحول الى دزرائيلي) في لندن ١٨٠٤ ايام بداية عراك محمد علي في مصر. وختن ختاناً يهودياً في اليوم السابع من ميلاده ويقول ايلي ليفي ابو عسل مؤلف كتاب «يقظة العالم اليهودي» ان بنيامين لما ولد حوّطه ابوه ، اسحق بن اسرائيل ، بكتب مقدسة وهي بالعبرية ومن جملة تلك الكتب كتاب « العبقرية اليهودية » . وامّ بنيامين من ايطاليا، وفي سنة ١٨١٧ بعد ميلاد بنيامين بنحو ١٣ سنة ، اعتنق ابوه اسحق المسيحية وتبعه ابنه ، وقال ابو عسل : « لاسباب ما برحت منضوية تحت اجنحة الخفاء الى يومنا هذا » قلت : هذا يهودي يحاول ان يتكلم بمكر ومراوغة . فغاية التنصر واضحة ، وهي شبكة للاصطياد .

٢ - اصل بيت دزرائيلي (بن اسرائيل) من يهود اسبانيا ، وبعد الطرد من اسبانيا لجأت الاسرة الى ايطاليا وأقامت فيها الزمن الطويل حتى قام جد دزرائيلي صاحب الترجمة ، واسمه بنيامين ايضاً ، فانتقل الى لندن بأعماله المصرفية ، وهذا في القرن الثامن عشر . لاحظ الشبه بين قصة دزرائيلي وقصة مونتفيوري .

٣ - ولما برز دزرائيلي بروزه المعلوم في منتصف القرن الماضي فصاعداً ، رقي الى رتبة اللوردية ومنح لقب « ارل بيكنسفيلد » ، وفي أثناء توليه الوزارة وقعت الحرب الروسية العثمانية ، وحرب الانكليز والافغان، وحرب الزولو في جنوب افريقيا .

٤ - وفي حقيقة انتحاله المسيحية هو وأبوه ، قال ابو عسل : « وبالرغم من اعتناق المسيحية.. . كان باذلاً روحه ومهجته في سبيل تعزيز قوة انكلترا، وترسيخ قدمها في تلك الاصقاع (فلسطين)، لتحقيق مطامع اليهود ومراميهم عندما تسنح له الفرصة بذلك . ومن الغريب ان هذا الرجل كان جامعاً

شعائر الانكليز الخاصة الى شعائر اليهود وتقاليدهم جمعاً وثيقاً . وقد صرح سوكولوف [١] غير مرة ان دزرائيلي هو الرجل الذي يمثل الحركة الصهيونية تمثيلاً حقيقياً ».

٥ – وقال ابو عسل ايضاً ليؤكد ان دزرائيلي هـــذا ، او ارل اوف بيكنسفيلد ، بقي يهودياً على الحقيقة : « فاذا اراد الانسان سبر غور عواطف بيكنسفيلد ، وجس نبضه في نزعاته وميوله ، لمعرفة ما اذا كان هذا الرجل بقي يتغذى خفية بلبان عقيدته الاولى ، او اذا كان اتخذ المسيحية ذريعة ، توصلاً لاكتساب المعالي ... وتحقيق المطامع الكبرى التي كان يصبو اليها وهو في ريعان شبابه ، فعليه بمطالعة تاريخ حياته ، فهو المرجع الوحيد الذي لا يوارب ولا يداجى ... فالحوادث التي تخللت حياته ، ابانت لنا ان روح هذا الرجل كانت تحوم حـــول اليهود ، وتفيض بالعطف عليهم ، وكانت الأوتار الحساسة الكامنة ابداً في مزاجة وطبيعته تهتز اهتزازاً شديداً . وكان يرقب حركاتهم وسكناتهم في غدوه ورواحه ، الا ان ذلك ما كان ليمنعه من تأدية فرائضه الدينيه المسيحية » .

٦ – حدثتنا « موسوعة تاريخ العالم » بقصة اليهودي باسيفيكو وهو تحت أجنحة دزرائيلي ، حديثاً ممتعاً ! وفي بضعة اسطر : الدون باسيفيكو يهودي س (مراكش) المغرب العربي ، ولكنه يحمل الجنسية الانكليزية . وتتركه الموسوعة هنا رجلاً غامضاً ، ومن جاءه هذا الاسم باسيفيكو ؟ للتخفية طبعاً وكان هذا اليهودي المراكشي في خدمة اليهود ، وكانت له صلات تجارية مع الحكومة اليونانية افضت الى خلاف بينه وبينها وصار له دين عليهـا ، ولما جاء يطالب بدينه استعمل الفظاظة والتنمر ، الامر الذي دعا الفريق اليوناني ، للحملة عليـــه ليهوديته « الشيلوخية » وشرهه . ووراءه دزرائيلي . فقررت الوزارة البريطانية انفاذ عمارة بحرية من الاسطول البريطاني الى « بيروس »

---

(١) وردت ترجمه الوافية في الجزء الاول ، المجلد الاول .

لتكره حكومة اليونان على تلبية مطالب باسيفيكو حامل الجنسية البريطانية، فاستعظمت حكومة اليونان ان تفعل الحكومة البريطانية هذه الفعلة من اجل هذا اليهودي الجائر المكابر ، فازدادت رفضاً لمطالبه وابدت العناد ، والصمود على وجهة نظرها ، فاذا بالاسطول البريطاني يتقدم ويصادر القطع البحرية اليونانية في حوض بيروس سنة ١٨٥٠ ، وبعد فشل وساطة فرنسية ، لم يكن لليونان بد من تأدية ما طلب منهم تأديته . واثيرت ضجة واسعة في بلاد الانكليز احتجاجاً على ما عمله الأسطول الانكليزي ، فاضطر بالمرستون ان يلقي في البرلمان خطبة عاطفية ضرب فيها على نغمة المحافظة على الكبرياء البريطانية ، فما اعجب الملكة فيكتوريا عمل الاسطول ولا خطبة بالمرستون ، من اجل اليهودي المراكشي ، فوقع أخذ ورد بينها وبين بالمرستون من اجل هذا ، فاصدرت اوامر ملكية بانه لا يحق للوزارة ، بعد ان توافق الملكة على شكل ما ، لحل معضلة ما ، ان تعود الوزارة فتغير من ذلك وتبدله ، متجاهلة نصائح الملكة .

ولكن علينا الا ننسى ان اليهودي المراكشي ، ما كان الا الرجل الذي يقف أمام الستار ، كما يقول دزرائيلي ، وما الرجل الذي وراء الستار الا دزرائيلي نفسه . وعلينا ان نتذكر ايضاً ان في تلك الغضون الغيت بقايا القيود التي كانت على اليهود في بريطانيا . والعامل على ذلك دزرائيلي نفسه . وتبقى القصة بعد هذا كله غامضة لان نواحيها الاخرى الحقيقية خافية علينا .

٧ – صدق دزرائيلي لما قال ، وقد ذكرنا قوله في أول هذا الكلام ، من أن العالم يديره رجال هم وراء الستار ، وكأنه يعني بهذا نفسه باعتباره أحد « حكماء اسرائيل » . وما هي اتجاهاته في السياسة البريطانية الخارجية المستوحاة من وراء الستار ، الجامعة بين مصلحة بريطانيا ومصلحة الصهيونية؟ ليس من المغلق علينا ان نعلم هذا بغاية اليقين . فان دزرائيلي هو احد رجال لا اكثر من ثمانية تناوبوا على توجيه السياسة البريطانية ، فيما يتعلق بالدولة العثمانية ومسألتها الشرقية المزمنة ، وذلك خلال المدة التي كان يعمل فيها

دزرائيلي في الوزارة والسياسة الخارجية ، ولنحسب هذا من ١٨٤٦ الى نهاية حياته وهذا نحو ٣٥ سنة مطردة . فالذين تولوا الوزارة في خلال هذه المدة هم ملبورن ، وبيل (جد لورد بيل الذي كان رئيس اللجنة الملكية لدراسة ثورة فلسطين ١٩٣٦) ورسل ، ودربي ، وابردين ، وبالمرستون ، وغلادستون ، وكل واحد من هؤلاء تولى رياسة الوزارة مرتين وبعضهم ثلاث مرات .

٨ – حاول اليهود ان يخدعوا نابليون ويتمكنوا بواسطته وعدائه لبريطانيا ان يصلوا الى فلسطين ففشلوا . بعد هذا بنحو ٣٥ سنة حاول اليهود بمساعي زعيمهم مونتفيوري الوصول الى فلسطين على يد محمد علي وولده ابراهيم فلم يفلحوا . ولكن حوادث الشام في النصف الاول من القرن الماضي ، جعلت اليهود يتقنون استغلال الشيعة البرتستانتية المتهودة ، وعلمنا ان الحكومة البريطانية أنشأت قنصلية لها في القدس في ايام ابراهيم بن محمد علي ، وبعد انسحابه بقيت القنصلية ماشية ، والغرض منها حماية المصالح اليهودية في فلسطين ، وكان انشاء هذه القنصلية من عمل العناصر البروتستانتية . ونرى السياسة البريطانية بعد ذلك تنشىء لها تقاليد مضحكة ، وهي بقاء السلطنة العثمانية قائمة ، دفعاً لاطماع الطامعين فيها من الدول الاخرى ، حتى لا تذهب فلسطين ، فيما اذا انحلت الدولة ، الى دولة لا يميل اليهود اليها . وهنا اجتمعت مصلحة بريطانيا التي أخذت منذ انسحاب ابراهيم من الشام وفلسطين ١٨٤٠ تمد لنفسها بحبل الاطماع في احتلال مصر ، ومصلحة اليهود فهذا قبل قصة السويس بزمان .

وفي هذا المعنى قال نفيل باربر في كتابه Nisi Domiuus (ص ٤٩) : « وكانت كتابات اليهودي المتنصر دزرائيلي رئيس الوزارة البريطانية ذات تأثير عظيم في اجتذاب العطف على اليهود ، وكان توجيهه للسياسة البريطانية في شرق البحر المتوسط يهدف فيه الى غاية معينة . فقد برز دزرائيلي يقاوم روسيا في محاولتها نشر نفوذها في الشرق ، وهذا ما كانت توده الصهيونية ، لأن بقاء فلسطين تحت الادارة التركية المتخلفة الى ان تحين الفرصة لليهود لاقتناصها ، هو الواقي لها من الانتقال الى يد دولة اخرى ، غير بريطانيا » .

وهذا ما صنعه دزرائيلي . وقد عرفت الصهيونية له فضل هذا العمل . وقلنا في موضع آخر مما يتعلق بعرض هرتزل على الامبراطور غليوم اواخر القرن الماضي ، ان تتبنى المانيا الصهيونية في فلسطين وتضعها تحت حمايتها – وقد فشل هذا العرض – فلم يؤثر أي تأثير سيء في الصلة الوثقى بين الصهيونية وبريطانيا ، وخاصة الشيعة البروتستنت .

* * *

٩ – انشاء ترعة السويس كبّد مصر الشدائد . أوليات هذا المشروع كانت بعيد انسحاب ابراهيم من الشام ١٨٤٠ ، وكان اسماعيل الخديوي المبذر المتلاف ينادي بأنه يريد « ان يجعل مصر قطعة من اوروبا » ، وكانت هناك صداقة وثيقة بين محمد علي ونابليون الثالث ، وهذا ما سهل على دي لسبس الحصول على الامتياز . ولمّا بدأ المشروع ، اقتضى انجازه ١٠ سنوات ، وافتتحت الترعة رسمياً في ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ ، فاختصرت الطرق البحرية بين اوروبا والشرق ، واما بريطانيا فقد رأت في مشروع ترعة السويس من الخطورة ما جعلها ترمي باطماعها نحو مصر على مستوى اعلى من المستوى الذي قيّمت عليه مصالحها قبل الآن بثلاثين سنة . ولم يكن اللانكليز يد في المشروع ، بل كانوا يعارضونه ، لكن بعد ان تم تحقيقه وتجلت خطورته ، تغيرت اوضاع سياستهم تجاهه ، بحيث صاروا يشرهون الى السيطرة عليه عن طريق الشركة ، او على الاقل ان يكون لهم فيها يد نافذة [١] . وبعد ان مضى ٥ سنوات على افتتاح ترعة السويس حصل شيء آخر .

***

١٠ – سنة ١٨٧٥ كان هنري اوبنهام صاحب جريدة « الديلي نيوز » يقوم بسياحة في فرنسا ، وجاء مصر بعد ذلك ، فبلغه سراً ان الخديوي

---

(١) بعد ان نال المهندس دي لسبس الامتياز من الخديوي سعيد باشا ابن محمد علي (١٨٥٤ – ١٨٦٣) تألفت شركة عامة سنة ١٨٥٨ باسهم وافرة العدد ، ومن هنا كان لفرنسا النصيب الاكبر فيها .

اسماعيل في ضنك مالي ، وهو يريد ان يستدين برهن اسهمه المالية التي له في شركة القناة ، وكان له ٤٤ بالمئة من اسهمها ، ويريد ان يكون رهن الاسهم في باريز . فادرك اوبنهام ما لهذا الامر من خطورة . فاسرع الى لندن ، واطلع صديقه فردريك جرينوود صاحب جريدة « بال مال غازيت » على ما في جعبته ، فخفّ هذا الى وزير الخارجية لورد دربي ، وقص عليه النبأ ، فجاء دربي الى دزرائيلي رئيس الوزراء وهذه وزارته الثالثة . فشمر دزرائيلي عن ساعديه وجعل اجهزة الاعلام البريطانية تنطلق بكل وسيلة تشتم له الاخبار وتوافيه بها . فعلم ان اربعة ملايين جنيه كافية لصفقة اسماعيل على ان تُشْرى السهام منه شراء ويدفع المبلغ كله نقداً . ومما قيل ان شركة فرنسية كادت هي ان تظفر باسهم اسماعيل ، لكن الابرة الخفية غيرت هذا . فان بيت روتشيلد في باريز ، ومنهم « الحكماء » ، فاوفد دزرائيلي لورد روتن ، امينه الخاص ، الى البارون دي روتشيلد . وفي ثمانية ايام تمّ عقد الصفقة ، وشرع دزرائيلي يعضّ عليها ،متخذاً على عاتقه المسؤولية امام البرلمان ، وابرز الاسباب في تبرير ما عمل انه لم يكن هناك وقت لطرح المسألة امام البرلمان ، والقضية يجب الا تضيع فرصة اغتنامها . ولما اطلع البرلمان على الصفقة ، وما معناها ومغزاها في سياسة بريطانيا في البحر المتوسط ، شكر عاقدها ، وبعد سنة رقي دزرائيلي الى اللوردية ، ودعي « ارل بيكونسفيلد » وبقي في دست الحكم الى ١٨٨٠ ومات ١٨٨١ .

ويعقب ايلي ابو عسل صاحب « يقظة العالم اليهودي » ، ويبدو ان المعلومات التي استعملها هذا اليهودي في كتابه هذا ، ملقاة اليه من المراجع اليهودية — يعقب على ما تقدم بقوله ان ظفر بريطانيا على يد دزرائيلي اليهودي المتنصر ، بأسهم اسماعيل (١) ، ظفر له خطورته ، اذ كان من شأنه ان قوّى جذور المصالح البريطانية ، ومن هذا الوضع البريطاني في شركة القناة ، ثم

---

(١) ان الاربعة ملايين جنيه هذه ، لم تصل الى اسماعيل الا ناقصة بعد ان اخذ منها ما انتاشه السماسرة ، واعاصير اسماعيل لا تهب الا على رياح السماسرة .

ما تبعه من احتلال مصر بعد قليل ، انفتح الباب الآن لفكرة الوطن القومي في فلسطين تمهيداً للاستيلاء عليها بالتالي . هذا هو دزرائيلي .

* * *

١١ – وعقد مؤتمر سري ، بين يدي مؤتمر برلين ، بين بريطانيا وتركيا ، وتركيا اصبحت الآن مهيضة الجناح ، وبوسع روسيا ان تهددها في الاناضول او آسيا الصغرى ، ومفاد ذلك الاتفاق السري ان بريطانيا تساند تركيا في وجه روسيا اذا ما توجهت هـــذه الى الاناضول العثماني . ولا بد لهذا من ثمن لا ريب فيه . فوافق عبد الحميد على السماح لبريطانيا باحتلال قبرص فاحتلتها بعد قليل . فتجهم وجه فرنسا ، فوعدت بتونس ، فاحتلتها بعد ثلاث سنين ، وبحلقت ايطاليا بعينيها ، فوعدت بالتوسع في البانيا ، وسنة ١٩١٢ ١٩١٣ غزت ايطاليا طرابلس وبرقة (ليبيا) .

* * *

أرأيت كيف يعمل « حكماء صهيون » ؟

خذ امثلة من يوسف منده مع السلطان سليم والسلطان سليمان ، ومن مونتفيوري مع محمد علي ، ومن هرتزل مع عبد الحميد ، ومن دزرائيلي مع عدة جهات .

* * *

والجولات الاخيرة ، وقــد عاصرها المعمرون من ابناء هذا الجيل ، هي التي كانت بين هذا المثلث :

« عبد الحميد بين غليوم وهرتزل » وليس لهذه الناحية الدقيقة موضع في هذا الكتاب ، وعسى ان تستوفى في مناسبة مقبلة . والله من وراء القصد .

١٦ ـ الكتاب المقدس

الترجمات الثلاث :

١ ـ البروتستانتية ـ الاميركية (١٨٦٠ - ١٨٦٤) } بيروت
٢ ـ اللاتينية ـ اليسوعية (١٨٧٨ ـ ١٨٨٠) } بيروت

٣ ـ الترجمة التي قام بها احمد فارس الشدياق في لندن في منتصف القرن الماضي بطلب من « جمعية ترقية المعارف المسيحية » (١٨٥١) .

* * *

١ ـ
- عالي سمث
- كرنيليوس ڤانديك
- الشيخ ناصيف اليازجي
- المعلم بطرس البستاني
- الشيخ يوسف الاسير

* * *

٢ ـ
- الاب روديت اليسوعي
- الشيخ ابراهيم اليازجي

* * *

٣ ـ احمد فارس الشدياق

* * *

الكتاب المقدس في العربية
لماذا نضع هذا المجمل؟

لا نحسب القارىء العربي الا وفي نفسه نزعة طيبة الى ان يعلم ولو علماً مجملاً ، متى نُقل الكتاب المقدس الى العربية النقل الكامل الذي هو بأيدي الناس اليوم في ترجمته البروتستانتية المعروفة بالاميركية ، واللاتينية المعروفة باليسوعية . وهذه الناحية عالية المنزلة في نظرنا لعدة اسباب .

الاول : ان الكتاب المقدس في العربية في هذا العصر يفسح المجال للمطالع العربي فيطلع منه على اخبار بني اسرائيل في جميع ادوارهم حتى بداية العهد المسيحي ، وبعد ذلك انقطع تاريخ اليهود ، فبات اقله في بقاياهم التي بقيت في فلسطين ولا شأن لها، ومعظمه في جماعاتهم التي تفرقت في العالم والامم فيطلب في تاريخ كل امة نزلوا بلادها واقاموا في حماها .

والثاني : ان كل شعب في العالم انتظم في سلك الحضارة الانسانية في دور من الادوار ، يمكنك ان تقرأ مـــا يتعلق بتاريخه ودينه ، وخلقـه ، ولون نفسيته ، وروح تطوره ، وصعوده وهبوطه ، في كتب مصدرها ابنـاء ذلك الشعب ، كما يصح لك ان تقرأ ذلك ، ولو بتفصيل اقل ، في كتب وضعهـا مؤلفون من غير ابناء ذلك الشعب . امـا الشعب الاسرائيلي او اليهودي فلا ينطبق عليه هـــذا ، وهو شاذّ منفرد في تاريخه، فلا سبيل لك الى اكتناه اللباب من الجبلة الاسرائيلية منذ القدم الى اليوم ، والى كشف الستار عـــن خفايا نفسية اليهودي ، ونفسيته خاضعة لعاملين : عامل ظاهر وعامل باطن، الا اذا قرأت اولاً ما كتبه انبياؤهم ، الكبار وهم اربعة انبياء ، والصغار وهم اثنا عشر نبياً ، وهؤلاء اسفارهم في العهد القديم . ومعظم انبياء بني اسرائيل

كانوا الى جانب ملوكهم ، ويقفون في وجه ملوكهم ولذلك تجـــد في أسفار نبواتهم الاتجاهات السياسية والاجتماعية ، فضلاً عن الدينية ، ممـا نراه اليوم يعالج في كتب مفردة، كل كتاب وموضوعه،مستقلاًعن الدين تمام الاستقلال .

والثالث : ان الاطلاع على هـــذا لا تكون الفائدة منه ذات جدوى ، و « اسرائيل » تصطنع الحياة اصطناعاً منذ ١٩٤٨ ، الا اذا كان اطلاعـــاً كاملاً ، حتى تستبين الحقائق الكبرى كلها في قافلة واحدة ، ويمكن ملاحظة عامل « الانفرادية » اليهودية في مجرى تاريخهم كله. وهذا على غاية الخطورة. والعهد القديم في « الكتاب المقدس » حوى هـــذا من الفه الى يائه . فالخلق اليهودي وحـدة لا تتجزأ ، لا يفعل فيها زمن ولا اقليم ولا مكان ، وانمـــا تستخفي وتتلون ، مع بقائها على عنصرها الاصلي لا تتبدل . وهذا لعمري من اهم الاسباب في التماسك اليهودي المشهود في العالم كله ، على اختلاف القارات والبقاع . وهذا التماسك فيهم هو سر بقاء « اليهودية » في افرادهم وجماعاتهم، وهذا هو المسيطر على هيئاتهم ومنظماتهم واتجاهاتهم، وما يبطنون من مخططهم وما يعلنون .

والرابع : هو ان نقـل الكتاب المقدس الى العربية في بيروت (لبنان) في القرن الماضي ، لا بـــد انه يتخذ نصيبه الوافر من البيان العربي الناصع . ومن هذه الناحية الجديرة بالاعتبار، نرى ان نقل الكتاب المقدس الى العربية، ما عدا مـــا له بنفسه من منزلة دينية عالية ، اضافة ضياء جديد من البيان الضادي الى اللغة المضرية (١)

* * *

(١) واضيف الى التراث العربي في العقد الاول من هـــذا القرن ثروة اخرى من البيان عن طريق الترجمة ، وهي ترجمة سليمان البستاني لالياذة هومير او هوميروس . واذا كان نقـل الكتاب المقدس تعاون فيه جماعة هنا وجماعة هناك ، فان نقل الالياذة ، وهو عمل له نصيبه ايضاً من قوة اهل العزائم ، قد اضطلع به البستاني وحده .

وليس لدينا في العربية ، على ما نعلم ، كتاب افرد الكلام فيه على هذا الموضوع بوجه الاستقلال ، الا اذا كان هناك مثل هذا الكتاب لم يقع لنا ان نطلع عليه . وانما هناك شذرات، ومقالات متفرقة كتبت في مناسبات قليلة، والقس سيكل سيل صاحب « المرشد الى الكتاب المقدس » ، وقد اشرنا اليه في غير موضع سابق من كتابنا هذا ، عقد الفصل الثاني عشر من كتابه على «الترجمة العربية للكتاب المقدس» غير ان هذا لم يشغل من كتابه الا صفحات معدودات . فنأخذ منه ما نحتاج اليه من اللباب ونعرضه على القارىء مع ما يبدو لنا من ملاحظات على نقاط البحث ، وما لدينا من مزيد وتكملة .

* * *

يقول القس سيكل سيل : « ولا نسمع عن ترجمة عربية قبل الترجمة التي ترجمها يوحنا اسقف اشبيلية من اعمال اسبانية سنة ٧٥٠ ب.م. والتي نقلها عن ترجمة ايرونيموس اللاتينية التي شاعت في اسبانيا في القرن السابع فما بعد . وقد قام يوحنا المذكور بترجمة كل الكتاب المقدس ، و « ماريانا » اليسوعي وجد جملة نسخ من تلك الترجمة في ايامه ، والظاهر انها لم تطبع قط ولم تعرف في سورية » . (المرشد ص ٦٢) .

ونقول : هذا المراد منه الترجمة الكاملة للكتاب المقدس، اما الترجمة لبعض اجزاء من العهدين ، فلا يعقل ان العرب النصارى في العراق والشام كانوا الى القرن الثامن ، لا يقرأون الانجيل ، في العربية وهذا ، مثلا ، القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٦ - ٧٤٩) فهو من اساتذة المسيحية زمن بني امية ، وهو له فضل ، ونضال في سبيلها ، وابوه كان من الذين تولوا الاعمال المالية للدولة الاموية، وللقديس يوحنا عدة مؤلفات في العربية منها الايمان المستقيم ، فبأي لغة كان يقرأ الانجيل هو وقومه ؟

وقد كانت وفاته في مطلع الدولة العباسية .

* * *

ثم يقول هذا المؤلف أيضاً : « والحاخام سعديا المعلم المشهور في مدرسة بابل، ترجم من العبرانية كل العهد القديم او اكثره في القرن التاسع (الميلادي) لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية ، فطبع جزء من هذه الترجمة ، وهو الاسفار الخمسة في القسطنطينية سنة ١٥٤٦ بالاحرف العبرانية ، ثم طبع في باريس سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧ بالحروف العربية» (المصدر السابق).

ونقول : ان سعديا هذا هو سعيد بن يوسف الفيومي ولد في مصر في العقد الاخير من القرن التاسع الميلادي ومات في بغداد سنة ٩٤٢ او ٩٤٤ . ويقول صاحب « رحلة بنيامين » عزرا حداد — وكلاهما يهودي : فان بنيامين صاحب الرحلة يهودي من اسبانيا في القرون الوسطى ، وحداد يهودي عراقي معاصر — ان سعديا كان معدوداً بين كبراء العلمـــاء اليهود وفلاسفتهم ومن مؤلفاته معجم عبري وترجمة عربية للتوراة وله كتاب فلسفة عنوانه (الامانات والاعتقادات) فهو من اهل القرن العاشر . (رحلة بنيامين ص ١٤٧) .

وقال القس سيكل سيل : « وقـــد ُترجم الزبور (المزامير) ترجمات عديدة . فالترجمة التي في أيـــدي الكاثوليك الملكيين الآن ترجمها عبدالله بن الفضل من اليونانية قبل القرن الثاني عشر ، ثم طبعت في حلب سنة ١٧٠٦ وفي لندن سنة ١٧٢٥ وطبعت ترجمة أخرى في جنوى سنة ١٥١٦ وفي رومية سنة ١٦١٤ وطبعت ايضاً ترجمة ثالثة مطابقة للسريانية في الشوير في جبـل لبنان سنة ١٦١٠ » (المصدر السابق) وقال هذا المؤلف ايضاً انه في أوائل القرن السابع عشر استأذن سركيس الرزي مطران حلب، من البابا في اخراج نسخة مضبوطة من الكتاب المقدس وقام المطران بذلك مع فريق من العلماء ، وبعد وفاته طبعت الترجمة سنة ١٦٧١ في ثلاثة مجلدات مع الترجمة اللاتينية ، وهـــذه الترجمة كانت تطبع في لندن بكثرة ، لكنها مجردة عن كتب الابوكريفا » هذه لمحة تاريخية لكنها جد مقتضبة .

* * *

الترجمتان الكاملتان للكتاب المقدس
في القرن التاسع عشر في بيروت

١ – الترجمة الاميركية – البروتستانتية ١٨٦٠ – ١٨٦٤

٢ – الترجمة اليسوعية – اللاتينية ١٨٧٨ – ١٨٨٠

الترجمة الاميركية

قام بها المرسلون الاميركان في بيروت فنسبت بالاسم الشائع اليهم ، وهي من عمل خمسة علماء اعلام ، اثنان اميركان وهما عالي سمث وكرنيليوس ڤانديك، وثلاثة لبنانيون هم الشيخ ناصيف اليازجي، والمعلم بطرس البستاني ، والى حد ما الشيخ يوسف الاسير الحسيني .

* * *

عالي سمث	(؟ – ١٨٥٧)
كرنيليوس فانديك	(١٨١٨ – ١٨٩٥)
الشيخ ناصيف اليازجي	(١٨٠٠ – ١٨٧١)
المعلم بطرس البستاني	(١٨١٩ – ١٨٨٣)
الشيخ يوسف الاسير	(١٨١٧ – ١٨٨٩)

اما عالي سمث ، فكان متقناً للعربية وواقفاً تمام الوقوف على اللاتينية واليونانية ، وكان يعمل عمله التبشيري في مالطة، فنقل الى بيروت سنة ١٨٢٧ او قبل هذا التاريخ بقليل ، وبعد سنوات شرع في انشاء المطبعة التي سميت بالمطبعة الاميركية المشهورة . واما فانديك فاستاذ في الطب والعلوم الطبيعية والرياضيات وبلغ من تضلعه من العربية انه الف كتاباً في علم العروض واخذ

العربية عن بطرس البستاني والشيخ يوسف الاسير . وهو هولندي الاصل ، اميركي المنشأ ، لبناني الدار منذ هبط بيروت سنة ١٨٤٠ الى آخر حياته ١٨٩٥ فيكون قد صرف في لبنان لا اقل من ٥٥ سنة ، وهذه المدة كانت فترة التفاعل الذهني العميق في لبنان ، وانتقاله من عهد الاقطاع الى العهد الحديث ولما جاء فانديك بيروت كان عالي سمث قد مضى عليه هنا لا اقل من ١٣ سنة .

* * *

ولدينا من اخبار فانديك الشيء الوافر . ولا نعلم مستعرباً ، لا في لبنان وحده ،بل في العالم العربي ،اندمج في الحياة العربية اللبنانية اندماجه وانسجم مع طبيعتها انسجامه ، لا في العادات واساليب المعيشة واعراف المجتمع وكفى ، بل ايضاً في استطياب الوان الاطعمة اللبنانية واستحسان اللباس الشرقي ،واطلاق اللحية وطرق المعاشرة الراقية ، وحب المستملحات من نادر النكات البارعة . ولا يزال الناس حتى اليوم يتحدثون عنه ، وله ذكر في المنازل والبيوت . وكان في الطب طبيباً انسانياً ممتازاً ، وهو يدرّس الطب في الجامعة الاميركية ، وله عدة مؤلفات قيمة في العربية . وسكن في القرية الجميلة « عيناب » المطلة على البحر ، والمنزل الذي كان يقيم فيه لا يزال شاخصاً بمجمل هيكله حتى اليوم . وقد مررت به سنة ١٩٤٩ لاشاهد الماثل من بقاياه . وفي المرحلة الاخيرة من حياته ، انفصل فانديك عن الجامعة الاميركية لان الجامعة بدلاً من المضي في التعليم بالعربية ، وهذا هو رأيه ، عدلت عن ذلك الى الانكليزية ، وقد كان هذا من الجامعة بعيد ان احتلت بريطانيا مصر ١٨٨٢ .

* * *

واما الشيخ ناصيف اليازجي فامام العربية وشهاب من شهب الفكر الثاقب ، والعصامية القليلة النظير ، وهو وعاء الادب العالي في القرن الماضي ، وانتشرت مراسلاته مع اقطاب الادب في الشام والعراق ومصر وغير اقطار ، وهو لم يتخرج من مدرسة ، بل لجأ الى مكتبات الاديرة ، وجعل يعتصر منها ،

وحفظ القرآن الكريم ، واوغل عن طريق الكتب في مصاحبة رجال التراث العربي من المتقدمين ايغالاً موفقاً زاهياً غزيراً . ووجد مدة في ديوان الامير بشير الثاني ، مـــع زميليه بطرس كرامي ونقولا الترك ، من عيون شعراء القرن الماضي . وبعد انصراف اليازجي من قصر بشير ، اقـــام في بيروت حوالي ٣٠ سنة حتى آخر حياتـــه سنة ١٨٧١ . ولا تزال كتبه في الصرف والنحو والبيان والشعر تدرس في المدارس حتى اليوم . وجمع لباب لغـــة العرب في مؤلفات عديدة ، طبع بعضها في حياته، وبعضها الآخر بعد وفاته، وقد تولى ذلك ابنه الشيخ ابراهيم، والتوفيق الذي ادركه الشيخ ناصيف لا في نفسه فقط ، بل ايضاً في اسرته وبنيه وبناته جميعاً ، توفيق واسع الافق ، فقد رزق ١٢ ولداً من بنين وبنات ، وبعض هؤلاء جميعاً ان لم يكن كلهم من بنين وبنات – اتوا من وراء الغاية في النجابة والاشراق والالمعية . وفي البنين لعـل ابنه الشيخ ابراهيم كان العَلَـم المفرد وفي بناته « وردة » (١٨٣٨ – ١٩٢٤) الشاعرة المتوهجة برقة العاطفة وشجى الحنين ، كانت ند اخيهـــا ابراهيم ، وديوانها « حديقة الورد » لا ينفد عطره .

* * *

واما المعلم بطرس البستاني فعلم شامخ في توطيد الحركة الثقافية العلميـة ، ونشر المعارف ، وغرس الروح الوطنية عن طريق المجلات والصحف ومدرسته المشهورة – المدرسة الوطنية – في بيروت. وامّا في الدراسة وطرق التحصيل فقد تيسر للبستاني ما لم يتيسر مثله لليازجي ، فقد درس البستاني في مدرسة «عين ورقة» وبرحها الى بيروت سنة ١٨٤٠ .

وفي هذا الوقت هبط اليازجي من قصر الامير بشير كما تقدم ، فكأن هذين القطبين ، اليازجي والبستاني ، على موعد عن طريق القـدر ، ليلتقيا معاً في بيروت ويكونا العمادين الكبيرين للنهضة الأدبية العلمية ، متعاونين متساندين، الاول في الأدب واللغة والبيـــان مع التأليف والتدريس ، والآخر في العلوم الطبيعية والرياضيات والصحافة ، مع التدريس والتـأليف ايضاً . وسارا على

خطين شبه متوازيين الى نهاية الشوط غير ان لقاء القدر جمع ثلاثة لا اثنين ، اذ في هذا الوقت ايضاً ، كان قد حل فانديك ببيروت ، كما رأينا ، وتيسر للبستاني ان يحصل الانكليزية من اختلاطه بالانكليز والاميركان ، وكان في «عين‌ورقة» قد حصل نصيباً جيداً من السريانية واللاتينية والايطالية الحديثة. ولم يلبث في بيروت ان انعقدت الصحبة المؤكدة بينه وبين فانديك العالم الانساني الفعال ، وعمل معه اولاً في انشاء مدرسة «عبيه» - في مقاطعة الغرب - سنة ١٨٤٦ ثم في بيروت والآن شقّ البستاني طريقه ، والى جانبه ابنه سليم ، وكان منه لابيه ما كان من ابراهيم لابيه الشيخ ناصيف . واتسعت حلقة البستاني مع عالي سمث ايضاً ، وجعل يعلم فانديك العربية ،ويستفيد منه في الانكليزية. وفي هذه الفترة يظهر ان لاحت له الفرصة ، وطالب العلم نهم ، فدرس ما استطاع من اللغات القديمة ، الآرامية والعبرية واليونانية ، فامتلأ حوضه من الوقوف على اللغات ، وهذا بالاضافة الى ما كان قد حصله في عين ورقة. وما نريد ان نعنى به الآن من نواحي البستاني هو ناحية صلته بزملائه الذين قاموا بترجمة الكتاب المقدس ، اما جملة خبره بعد هذا ، فانه مع اشتغاله بترجمة التوراة ظل يسيِّر سيرة الجبار ، فانشأ (نفير سوريا) الصحيفة الوطنية بعد ١٨٦٠ ثم المدرسة الوطنية ، الاولى من نوعها في لبنان سنة١٨٦٣ ثم‌بعد ذلك‌عكف على وضع المعجمين «محيط‌المحيط»و«قطر المحيط» ، ثم ولج باب «دائرة المعارف» العربية ، وهو اول مشروع من نوعه في العربية ، لكنه عظيم ضخم ، ولا سيما قبل اليوم بتسعين سنة والنهضة في مدارجها الاولى ، وجملة ما صدر من «الدائرة » ١١ جزءاً بالغة كلمة «عثمانية» وصدر اول جزء سنة ١٨٨٣ والحادي عشر سنة ١٩٠٠ ، وتعاون في هذا العمل مع المعلم بطرس ، ابناؤه سليم ونجيب ونسيب ، وابن عمها سليمان البستاني «معرب الالياذة» فستة اجزاء اصدرها المعلم بطرس وولده سليم في سنتي ١٨٨٣ و ١٨٨٤ والباقي صدر في خلال الستة عشرة السنة التالية[١] .

---

(١) كتاب «المعلم بطرس البستاني» في نحو ١٢٥ صفحة للاستاذ ميخائيل صوايا (بيروت ١٩٦٣) كتاب وجيز حوى لباب سيرة المعلم بطرس ، مطالعته مفيدة لذيذة .

قال القس سيكل سيل ، وهو يعتمد في هذا على مقالات الدكتور جون طمسون ، في وصف طريقة النقل: ان المعلم بطرس كان يقوم بترجمة النصوص ثم يدقق هذه الترجمة عالي سمث من حيث مطابقة معانيها على الاصل ، ثم يتولى الشيخ ناصيف الصياغة العربية. بعد هذا يقوم سمث بطبع المادة المترجمة في كراريس ، ويوزع هذه الكراريس على المختصين من المرسلين البروتستانت في بلاد العرب ، وايضاً على عدد من العلماء الالمان في المانيا ، لابداء الرأي والملاحظة . ثم يعود الشيء كله الى سمث فيعيد فيه النظر لاقرار الصيغة النهائية ، وبهذا تصبح الترجمة مهيأة ومعدة للطبع . وقد قام هذا الرهط : البستاني - سمث - اليازجي بترجمة اسفار موسى الخمسة واجزاء مختلفة من « الانبياء » والعهد الجديد على هذا المنوال .

وبعد ان شرع في طبع العهد القديم ،ادركت المنية عالي سمث سنه ١٨٥٧ فانتقل العمل الى فانديك .

فاستعان بالشيخ يوسف الاسير استاذه ، فنقحا ترجمة العهد الجديد التي تركها سمث . تم طبع ذلك سنة ١٨٦٠ واما العقد البديم فتمت ترجمته سنة ١٨٦٤ وطبعه ١٨٦٥ .

وقال صاحب « المرشد » ان سمث كان مذهبه في البيان « الميل الى ايثار الاسلوب الفصيح ، مع اختيار المفردات القريبة المنال . اما فانديك فمذهبه ان طبقة الفصاحة تتبع اسلوب الكلام وروحه وتتنوع بتنوع الاسلوب، وفي التوراة اساليب مختلفة شتى» ،وكنا نود لو ان تفصيلات اوسع من هذه ، قد حفظت لنا عن هذا العمل الخطير .

* * *

الشيخ يوسف الأسير

الشيخ يوسف بن عبد القادر الأسير[1] الحسيني ، من رجالات العلم والادب والفكر والتحرير ، طبقةً اولى ، في لبنان وديار الشام في القرن الماضي . ولد في صيدا ، وكان والده يتعـاطى التجارة امّا المترجم فعزف عن ذلك وجارى ميله الى العـلم والادب ، وفي صدره نوازع نبل وطموح . درس في بلده اول نشأته ثم انتقل الى دمشق ودرس في « المدرسة المرادية » مـــدة قليلة ، فتوفي والده فانقطع عن الدرس وجاء بلده ليرعى امور اخوته وشؤون عائلته ، ولمّا اسعفته الاسباب عاد الى تحقيق مطمحه فرحل الى مصر فأقام في «الازهر» سبع سنين حتى ارتوى وكان من النبغاء في العلوم النقلية والعقلية ولم يلبث ان امسى في كل هذا اماماً وهو في مطلع حياته العملية ، ولبنان يجتاز ادواراً كلها تطور وانتقال . ثم اننا نرى الشيخ الاسير بعد ذلك ، الى نهـاية حياته التي امتدت الى اول العقد الاخير من القرن الماضي ، على ثلاث دروب ، ويدخل بعضها في بعض ، وهي :

١ – تولي المناصب الرسمية، والشرعية ، في بيروت وطرابلس وعكاء والاستانة . وكانت حالته الصحية تحمله احياناً على النقلة من مكان الى آخر انتجاعاً للعافية .

٢ – عمله في نشر كل ما يؤول الى اليقظة الذهنية العـامة ، وبث روح العلم ، والتآخي الوطني وتغذية النهضة ولا سيا بعد سنة ١٨٦٠ .

---

[1] قال الزركلي في « الاعلام » ان « الاسير » لقب لأحد جدود المترجم وقع في اسر الافرنج في مالطة فلما عاد الى وطنه صار يلقب بالاسير .

٣ – عمله في الصحافة العربية وهي في ادوارها الاولى . تولى رياسة تحرير مجلة « ثمرات الفنون » الشهيرة ، وعمل في «لسان الحال[١] » . وتولى التدريس في عدة معاهد كبيرة منها « مدرسة الحكمة » و « الجامعة الاميركية » التي كانت تعرف وقتئذٍ « بالكلية السورية الانجيلية » . هذا الى التأليف فوضع عدة كتب في الأدب ، والعلوم الشرعية .

ومن مميزات الاسير رقة الشمائل وزكاوة الخلق ، ولما ظهرت حركة نقل الكتاب المقدس الى العربية في بيروت ، كان من الاعلام ، كما قلنا ، في لبنان وديار الشام ، وهو وقتئذٍ في الكهولة الريّانة . وقبل ان أخذ يسهم في تنقيح الترجمة العربية مع فانديك ، كان فانديك يدرس عليه اللغة العربية .

(١) « الاعلام » للزركلي في ترجمة « الاسير » .

٢ ـ الترجمة اليسوعية

الترجمة اليسوعية ليس لدينا الا القليل من التفصيل حولها . وصفوة هـذا القليل ، ما ذكره الاب شيخو اليسوعي، وهو يترجم لرهط الأسرة اليازجية في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » فقال :

« ولما عمد الآباء اليسوعيون الى تعريب الاسفار المقدسة من اصلها العبراني واليوناني ، رأوا ان امانة التعريب لا تفي بالمرام ان لم يُعْطَ المعرّب حقه من الفصاحة والبلاغة ، بتنقيح العبارة ، وسبك الكلام ، وكان اذ ذاك الشيخ ابراهيم (اليازجي) نال بعض الشهرة ، فدعوا به الى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معه في العمل، وكان الاب اوغستين روده الذي درس العربية في الجزائر وعلّم العلوم الكتابية في فرنسة ، ينقل الكتب المقدسة فصلاً فصلاً وآية آية ، بعـد مراجعة تفاسير الآباء والمعلمين ، والترجمات الشرقية العديدة منها ثلاث ترجمات عربية . فاذا اتمّ عمله نظر فيه الشيخ نظراً مدققاً فعرض على المعرب ملحوظاته ، ثم تفاوض كلاهما الى ان يتفقا على رأي واحـد ، فيدونانه بالكتابـة ، ثم يعرضان شغلهما على اربعة اساتذة من الآباء المتضلعين بالعلوم العربية ومعرفة اللغات الشرقية ، فلا يطبع شيء الا بعـد مصادقتهم على كمال الترجمة .

« واشتغل الشيخ ابراهيم في تنقيح التوراة العربية نحو ٩ سنوات في غزير وبيروت ، وقد علّم سنين طويلة في المدرسة البطريركية، فتخرج عليه كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف » . ثم يمضي الاب شيخو بايجـاز ترجمة الشيخ ابراهيم . (الآداب العربيـة في القرن التاسع عشر ص ٣٥ و ٣٦ الجزء الاول) .

ولا نعلم متى بدأ المترجمون اليسوعيون عملهم ولعله سنة ١٨٧٢. غير ان صاحب «المرشد» يقول (ص٦٠) ان العهد الجديد طبع سنة ١٨٧٨ و«العهد العتيق» سنة ١٨٨٠ . وفاة الشيخ ناصيف كانت سنة ١٨٧١ .

ونلفت النظر الى « معجم اعلام الشرق والغرب » في « المنجد » فنجد شيئين حريين بالذكر ، اولاً كلمة موجزة تتعلق بالترجمة اليسوعية تحت مطلب « الكتاب المقدس » : « هو كتاب الوحي المسيحي . اشهر ترجماته العربية – المعروفة بترجمة اليسوعيين – تعتبر طرفة في الادب العربي . وضع نصوصها نخبة من علماء الكتاب المقدس ، ثم نقح عبارتها الشيخ ابراهيم اليازجي ، وصدرتها المطبعة الكاثوليكية ، وسجل طبعها تقدماً جريئاً في الفن الطباعي العربي » .

وقال المعجم في ذكر الشيخ ابراهيم : – (.. من ائمة النهضة الادبية والعلمية لا سيما بابحاثه اللغوية . اخذ علوم العربية عن ابيه الشيخ ناصيف . حفظ القرآن . وتوسط حلقات التعليم في المدرسة البطريركية . اتقن اللغات الغربية وألم بالعبرية والسريانية . صنع بيده امهات الاحرف العربية للمطابع. نقح نصوص العهد القديم التي ترجمها اليسوعيون . أسس مجلة « الضياء » وحرر القسم الاكبر منها . «والضياء» كانت بين ١٨٩٧ و ١٩٠٦ وكانت مجلى عبقرية الشيخ ابراهيم في نصوص البيان العربي والابحاث اللغوية) .

ومما ذكره المعجم حول ترجمة الكتاب المقدس ، نعلم ان الذين تعاونوا فيه « نخبة من علماء الكتاب المقدس » ولا زيادة من العلم على هذا ، وهذا يدل على ان الاب روديث لم يكن منفرداً .

والبيت اليازجي ، ويا للغرابة ، بدأ يضيء ويشرق بالشيخ ناصيف وجعل يخبو بوفيات اولاده وبناته من بعده واحداً بعد آخر ، فما جاء آخر الربع الاول من هذا القرن ، الا واليازجيون خالدون في الكتب الى ما شاء الله . وليس منهم احد اليوم يدب في الدنيا والخلود انما هو هذا : في الكتب ، وآخر ما نذكر من سلالتهم ان أحد احفاد الشيخ ناصيف ، وهو حبيب ،

عاش الى ما بعد الحرب العالمية الاولى بقليل ، وكأن قد هالته الـكثرة في النسل اليازجي ! فأحب ان يترهب فينقطع النسل بالمـــرة ، وكان في مصر الصحافي الاجتماعي النقريس ، سليم سركيس ، صاحب « مجلة سركيس » فناداه : « الاّ انت يا حبيب ! » ، اي : كل غيرك يدخل الدير الا انت . ثم انطفأت القناديل كلها . « ووردة » الشاعرة ابنة الشيخ ناصيف توفيت في مصر سنة ١٩٢٤ .

* * *

وقد يسأل قارىء: وأين هذا الذي اوردناه بايجاز عن البستاني واليازجيين ورهط المستعربين الاميركان ، من قافلة الكلام على ترجمة «الكتاب المقدس» ؟ والجواب : ان الشوامخ البناة في التراث العربي ، في اي عصر كانوا ، علينـا ان نلم بكل ما يمكن من اخبـــارهم . والذين اضطلعوا بترجمة الكتـــاب المقدس ، هم اولى الناس بان نعرف مـــن اخبارهم على الاقل هذا الموجز . جزاهم الله خيراً .

أمثلة من عبارة الترجمتين : الاميركية البروتستانية واليسوعية اللاتينية

الاميركية - البروتستانتية

(١) وعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين (٢) فاعتزت يد مديان على اسرائيل . بسبب المديانيين عمل بنو اسرائيل لانفسم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون (٣) واذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم (٤) وينزلون عليهم ويتلفون غلة الارض الى مجيئك الى غزة ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً (٥) لانهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد . ودخلوا الارض لكي يخربوها (٦) فذل اسرائيل جداً من قبل المديانيين . وصرخ بنو اسرائيل الى الوب .

(سفرة القضاة ٦ : ١–٦)

اليسوعية -- اللاتينية

(١) وصنع بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب الى ايدي مدين سبع سنين (٢) وقويت ايدي مدين على اسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لانفسهم المغاور التي في الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين (٣) وكان اذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم (٤) ويجيئون عليهم ويفسدون غلة الأرض الى مدخل غزة ولا يبقون ميرة في اسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً (٥) لانهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون في مثل كثرة الجراد بحيث لا يعدون هم ولا جمالهم ويأتون الأرض ويفسدونها (٦) فذل اسرائيل جداً امام مدين وصرخ بنو اسرائيل الى الرب .

(سفرة القضاة ٦ : ١–٦)

الاميركية - البروتستانتية	اليسوعية - اللاتينية
(١) وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت اخاه هابيل . وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض (٣) وحدث من بعد ايام ان قايين قدم من اثمار الأرض قرباناً للرب (٤) وقدم هابيل ايضاً من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب الى هابيل وقربانه. (سفر التكوين ٤ : ٤١)	(١) وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت قاين فقالت قد رزقت رجلاً من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت اخاه هابيل راعي غنم وقاين كان يحرث الأرض (٣) وكان بعد ايام ان قاين قدم من ثمر الارض تقدمة للرب (٤) وقدم هابيل ايضاً شيئاً من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب الى هابيل وتقدمته . (سفر التكوين ٤ : ١-٤)

***

الاميركية - البروتستانتية	اليسوعية - اللاتينية
(١) حكمة المرأة تبني بيتها والحماقة تهدمه بيدها (٢) السالك باستقامته يتقي الرب والمعوج طرقه يحتقره (٣) في فم الجاهل قضيب لكبريائه. اما شفاه الحكماء فتحفظهم. (الامثال ١٤ : ١ – ٣)	(١) المرأة الحكيمة تبني بيتها والسفيهة تهدمه بيديها (٢) السائر باستقامته يتقي الرب والذي طرقه ملتوية يستهين به (٣) في فم السفيه قضيب الكبرياء وشفاه الحكماء تحفظهم. (الامثال ١٤ : ١ – ٣)

* * *

الاميركية - البروتستانتية	اليسوعية - اللاتينية
(١) للانسان تدابير القلب ومن الرب جواب اللسان (٢) كل طرق الانسان نقية في عيني نفسه والرب وازن الارواح (٣) الق على الرب اعمالك فتثبت افكارك (٤) الرب صنع الكل لغرضه والشرير ايضاً ليوم الشر (الامثال ١٦ : ١ – ٤)	(١) للانسان اعداد القلب ومن الرب جواب اللسان (٢) جميع طرق الانسان زكية في عينيه والرب وازن الارواح (٣) فوض الى الرب اعمالك فتثبت مقاصدك (٤) الرب صنع الجميع لاجله والمنافق أيضاً ليوم السوء. (الامثال ١٦ : ١ – ٤)

الاميركية — البروتستانتية

(٨) هلمي معي من لبنان يا عروس معي من لبنان . انظري من « رأس امـــانة [١] » من رأس شَنِير [٢] وحَرْمون من خدور الاسود من جبل النمور (٩) قد سبيت قلبي يا اختي العروس قد سبيت قلبي باحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك (١٠) مـا احسن حبك يا اختي العروس كم محبتك اطيب من الخمر وكم رائحة ادهـانك اطيب من كل الاطياب .

(نشيد الانشاد ٤ : ٨ — ١٠)

اليسوعية — اللاتينية

(٨) هلمي معي من لبنان ايتهـا العروس معي من لبنان . انظري من « رأس امـــانة [١] » من « رأس سنير [٢] » وحرمون من مرابض الاسود من جبال النمور (٩) قـــد خلبت قلبي يا اختي العروس قد خلبت قلبي باحدى عينيك وقلادة من عنقك (١٠) ما ألطف حبك يا اختي العروس ان حبك الذ من الخمر وعَرْق ادهانك فوق جميع الاطياب .

(نشيد الانشاد ٤ : ٨ — ١٠)

* * *

الاميركية — البروتستانتية

(١٠) حبيبي ابيض واحمر مُعْلَمٌ بين رِبْوة (١١) رأسه ذهب ابريز . قصصه مسترسلة حالكـــة كالغراب (١٢) عيناه كالحمـام على مجاري المياه مغسولتان باللبن جالستان في وَقْبَيْهما (١٣) خدّاه كخميلة الطيب وأتلام رياحين ذكية . شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً (١٤) يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد ، بطنه عاج ابيض

اليسوعية — اللاتينية

(١) حبيبي ابيض واشقر عَلَم بين ربوة (١١) رأســه نُضارٌ ابريز وغدائره كسعف النخل حالكة كالغراب (١٢) عيناه كحمامتين على انهار المياه تغتسلان باللبن وهما جاثمتان في وَقْبَيْهما (١٣) خدّاه كروضة أطياب وخضيلة رياحين وشفتاه سوسن تقطران مراً ذكياً (١٤) يداه حلقتـان من ذهب مرصعتان بالزبرجد وجسمه عاج يغشّيه

---

(١) قال قاموس الكتاب المقدس: «امانة» كلمة عبرية معناها « الثبات » وهي اسم لجبل لبنان الصغير . وربما يقع نبع نهر ابانة ، الذي يسمى ايضاً امانة ، في هذا الجبل

(٢) سنير او شنير واحد . قال قاموس الكتاب المقدس : « اسم اموري ربما كان معناه جبل السنا او النور وهو الاسم الذي اطلقه الاموريون على جبل حرمون .

الاميركية - البروتستانتية	اليسوعية - اللاتينية
مغلف بالياقوت الازرق (١٥) ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز . طلعته كلبنان . فتى كالارز . (نشيد الانشاد) ٥ : ١٠-١٥)	اللازورد (١٥) ساقاه عمودا رخام موضوعتان على قاعدتين من ابريز وطلعته كلبنان . هو مختار كالارز . (نشيدالانشاد : ٥ : ١٠-١٥)

* * *

الاميركية - البروتستانتية	اليسوعية - اللاتينية
(٣) لان بني اسرائيل وبني يهوذا انما صنعوا الشر في عيني منذ صباهم . لأن بني اسرائيل انما اغاظوني بعمل ايديهم يقول الرب (٣١) لأن هذه المدينة قد صارت لي لغضبي ولغيظي من اليوم الذي فيه بنوها الى هذااليوم لانزعها من امام وجهي(٣٢) من اجل كل شر بني اسرائيل وبني يهوذا الذي عملوه ليغيظوني به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم ورجال يهوذا وسكان اورشليم . (ارميا ٣٢ : ٣٠-٣٢)	(٣٠) فان بني اسرائيل وبني يهوذا انما هم صانعو شر في عيني منذ صَبَآئهم اذ اسخطني بنو اسرائيل بعمل ايديهم يقول الرب (٣١) لان هذه المدينة كانت عرضة لغضبي وحنقي من يوم بنوها الى هذا اليوم حتى امحقها من امام وجهي (٣٢) لأجل جميع شر بني اسرائيل وبني يهوذا الذي صنعوه ليسخطوني هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم ورجال يهوذا وسكان اورشليم . (ارميا ٣٢ : ٣٠-٣٢)

* * *

١٧ ـ احمد فارس الشدياق

١٨٠٤ ـ ١٨٨٧

- ترجمته للكتاب المقدس في لندن ١٨٥١ .
- « صقر لبنان » لمارون عبود في الشدياق .
- صفوة ترجمة احمد فارس الشدياق ووصف آثاره .
- لماذا طويت هذه الطبعة ولم تعرف في العالم العربي ؟
- مناجاة مارون عبود للشدياق في يوبيل الذكرى الخمسيني .

احمد فارس الشدياق

١٨٠٤ ــ ١٨٨٧

ترجمته الكاملة للكتاب المقدس سنة ١٨٥١

قد يدهش القارىء اذ يعلم ، وهو يتابع هذه الصفحات ، ان هناك ترجمة عربية ثالثة « للكتاب المقدس » ، قام بها امام العربية احمد فارس الشدياق في لندن وطبعت في لندن في منتصف القرن الماضي . واين هي اليوم هذه الترجمة، ولماذا لم تظهر للناس في اي رقعة من العالم العربي، وما صفوة خبرها؟

* * *

اما الامام احمد فارس الشدياق ، فهو في « النهضة الادبية الحديثة » « رجلها الاول » ، كما وصفه بهذا مترجمه ومؤرخه مارون عبود في كتابه « صقر لبنان » [١] (بيروت ١٩٥٠) .

---

(١) « صقر لبنان » كتاب صغير الحجم في اقل من ٢٢٥ صفحة ، وهو على ايجازه ، الكتاب الكافي الوافي في ترجمة احمد فارس الشدياق ، وذلك لان المترجم والمؤرخ هو مارون عبود الدائر في فلك وحده . واما تسمية هذا الكتاب « بصقر لبنان » فسببها تسممه من مارون عبود نفسه، فقال في صفحة مفردة بعد صفحة الوسمة : « اخي القارىء ! ربما ذكرك قولنا « صقر لبنان » بقولهم « صقر قريش » ، وهو كذلك . فكما في السياسة كذلك في الادب . فرّ عبد الرحمن من الشام فشيد مملكة طريفة نسميها اليوم « الفردوس المفقود » . وفر احمد فارس الشدياق من لبنان فاحيا دولة ادبية ما زال رأسها سالماً . ليس للبنان فرد صقر. قد اهتدى بهذا العلم صقور ونسور، وكان ما كان » .

مجمل سيرته واعماله الكبرى

سيرته تختلف عن سيرة انداده الائمة في لبنان الذين قاموا بعبء الترجمتين ، الاميركية واليسوعية . وهو لبنـــاني ، ومن اسرة الشدياق المشهورة بانجاب العباقرة من رجال الدين والدنيا ، وولد في عشقوت (كسروان - لبنان) .

ونحن هنا لسنا في صدد ترجمته الا مجملاً . وخير ما يفعل القارىء العربي ، اذا شاء الالمام الحسن بحقائق حياته ، ان يقرأ « صقر لبنان ».

وعلى من يريد ايجاز صورته فليعلم اين يبتدىء ، فالرجل لا يسترعي انتباه القارىء اذا سلط عليه المقاييس العادية في وزن الرجـــال الذين يعلون حتى يصبحوا في فلك العباقرة . فالشدائد التي ذاقها في حياته ذاقها غيره. والحياة لا تصفو لاحد . لكن تتجلى قيم احمد فارس الشدياق في النهاية . بعد ان انهى الشوط كله ، وخلف وراءَه دنيا مترعة بالفكر المتلألىء والنقد، وفن الكتابة الحرة ، والعبارة السلسة، حتى امست العربية في ذهنه وصدره وعلى لسانه ، كأنهـــا اشياء طبيعية ولدت معه بالفطرة ، تخالط انفاسه ، وتمتزج بروحه ، وهو كيفما دار وتحرك وسكن ، وتحول واتجـه ، اعطاك فيضاً من عبقريته الدائمة الاشعاع والتضوع . رجل عجيب حقاً .

* * *

هو نيزك لبنان في القرن التاسع عشر . في مستوى نبوغه كأنه هبط من فوق .

توفي في استنبول ، ونقل جثمانه الى بيروت ، ودفن « في مقبرة عائلته ، ثم نقـــل الى مقبرة خاصة بجوار مدافن « المتصرفين [١] » في « الحازمية »

(١) حكام لبنان زهاء ٥٤ سنة ، بعيد سنة ١٨٦٠ الى اوائل الحرب العظمى الاولى سنة ١٩١٤ وهذا تعبير تركي « والمتصرف » دون « الوالي » ، وربما كان « المحافظ » اليوم دون المتصرف .

وحدث اخيراً ١٩٣٧ انه بينما كان العمال يحفرون (في اصلاح الطريق العام في الحازمية حيث مدفن الشدياق) عثروا على نعش من الرصاص ، ففتحوه فإذا به يضم جثمان احمد فارس الشدياق .

« الجثمان على حاله – ولشد مـا كانت دهشة العمال عندما وجدوا الجثمان لا يزال على حاله ، كأن العلامة الشدياق ميت منذ يومين فقط . فلحيته باقية، وحاجباه باقيان ايضاً ، ولم يطرأ على شعره وعلى وجهه اي تبدل او تغير ، وليس هـــذا فقط . بل ان الكفن الذي لف به ، وهو من الحرير المعروف « بالتفتا » لا يزال على حاله ايضاً ، كما ان ختم دائرة الصحة في استنبول ما برح موجوداً على التابوت » . (صقر لبنان ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و٢١٥ و ٢١٦)

* * *

وأعيد الى مثواه ، وأقيم له مهرجان يوبيل خمسيني ، قام بعبئه عصبة في طليعتها اثنان مارون عبود وفؤاد حبيش، ومارون كان اوفى لبناني في تخليد ذكرى الفارياق .

* * *

قالوا : اذا نظرت اليه عبقريـاً ، فيؤخذ عليه في بعض المواطن ، النقد اللاذع الممزوج بالمجون. اجاب مارون عبود على هذا الاعتراض،فارجع اليه في « صقر لبنان » ان شئت .

وصفته جريدة (البورص اجبسيان) في ٢٦ تموز ١٩٣٧ وجعلت منه ومن « فكتور هيغو » كفتي ميزان ، وفرسي رهان ، فقالت :«ما بين ١٨٠٢ و ١٨٨٧ نشأ رجلان ، ان اختلفا موطناً ولغةً ، فقد اتفقا في الاتجاه والمثل الأعلى . من المفيد جداً ان نعلم ان هذين الرجلين اللذين لم يتعارفا ابداً ، قد جريا لغاية واحدة طول حياتهما . فهذان الرجلان هما المعلمان المطلقان للغتيهما،

قد تصرفا بها كما شاءآ بسهولة عجيبة . اسخطهما محيطهما فعاشا يهجوان شعراً ونثراً المتسلطين في عصرهما ، مقبحين الاساءة والجور : فيكتور هيغو وأحمد فارس الشدياق ». ولد احمـــد فارس الشدياق (١٨٠٤) في ايام الامير بشير الثاني الكبير .

وخرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو في الحادية والعشرين، وما في صدره هو ما حصله من المعارف في مدرسة « عين‌ورقة » وما اخذه عن اخيه اسعد . قال الشعر قبل ان يبلغ العاشرة . ومن فطرته كان مولعاً بالنمط الجيد الصحيح الفصيح من العربيـــة . وفي مصر ، ازداد وتبحر ، واوعب واستوعب ، فعينته الحكومة المصرية محرراً او مصححاً للجريدة الرسمية التي كانت تسمى « الوقائع المصرية » فبرز في عمله وأخذ اسمه وذكره يلتمعان . وفي مصر تزوج بنت « الصولي » وهي من اسرة سورية وجيهة . وفي مصر ايضـاً اتصل به المرسلون الاميركان للاستفادة من لغته وبيانه . ثم نقل الى مالطة لعمل مع الاميركان اوسع مسؤولية من عمله في مصر ، بعد ان قضى في وادي النيل ٣ سنوات ، ومالطة كانت مركزاً تبشيرياً للاميركان ، فعمل معهم في مالطة مدة لا تقل عن ١٤ سنة مطردة .

* * *

قال مؤرخه وواضع سيرته الجبار مارون عبود ، ان الشدياق لمـا كان في مالطة » استدعته وزارة خارجية انكلترا ليعاون « الدكتور لي » في ترجمة التوراة وتنقيحها ، فاقام في لندن وضواحيها سنوات ، فوصفها لنـا اطرف وصف في « كشف المخبا » وقد جاءت ترجمته للتوراة اصح الترجمات بشهادة علامة زمانه المطران يوسف الدبس الشهير . اما شيخنا الشدياق ، فـلم يكن راضياً كل الرضى عنها ، وقد وصف لنا ما كان يعترض طريقه عند الدكتور لي »(صقر لبنان ص ٩٤) وسنعود الى هذه المسألةالتي هي من غاية المراد في كلامنا على ترجمة الكتاب المقدس .

وتوفي ابن له في لندن اسمه « فايز » ، فتجمل في فقده بصبر جميل . ومن

لندن انتقل الى باريس ، وواتاه الحظ بأن لقي فيها احمد باشا باي تونس ، فدعاه (الباي) الى بلاده فقبل الدعوة شاكراً ، وبعد عودة الباي الى تونس ارسل باخرة خاصة تقلّ الشدياق وعائلته من مرسيليا الى تونس الخضراء . وهنا نقطة مهمة ، فان الشدياق احمد فارس ، لما هاجر من لبنان سنة ١٨٢٥ الى مصر انما كان السبب في هجرته هذه ، ما خشي على حياته في لبنان من مصير غامض يفاجئه بعد النازلة التي حاقت باخيه اسعد واودت به سنة ١٨٣٠ . وقصة اخيه اسعد مأساة بدأت سنة ١٨٢٣ وفي هذه السنة بدأ المرسلون الاميركان يفدون على بيروت من مالطة ، فاتصلوا باسعد للاستفادة من علمه وادبه وكفايته في الترجمة وما اليها ، وادّى هذا به الى اعتناقه البروتستانتية ، فلم ترضَ عنه الكنيسة المارونية فطالت قصته وكانت مأساة في النهاية وبعد سنتين من بدء هذه القصة هاجر اخوه احمد فارس الى مصر شبه فار ، وفي مصر محمد علي ، وفي لبنان الامير بشير ، ولما وضع الشيخ طنوس الشدياق ، اخو احمد فارس واسعد ، تاريخه « اخبار الاعيان في جبل لبنان » وبلغ به ما يقرب من سنة ١٨٥٩ لم يذكر شيئاً من مأساة اخيه اسعد، وانما مر به بعبارة موجزة . ولما طبع الكتاب واطلع عليه احمد فارس ، عاتب اخاه الشيخ طنوس على اغفاله قصة اسعد . والقصة حقاً شائكة لمن يريد ان يؤرخها ويبسط تفاصيلها امس واليوم .

* * *

هذا هو الوجه الاول للنقطة المهمة ، ولها وجه آخر وهو: ان حياة احمد فارس في لبنان كانت بين الاصطراعات الاقطاعية والامير بشير، واسرته منذ القرن ١٧ في المضهار، مليئة بالمخاوف والبؤس والشقاء، وهو، احمد فارس ، وصف كل هذا في كتابه المشهور « الفارياق » وصفاً واقعياً لكن على مستوى رجل الدهر الفيلسوف . ولما هاجر ، واخذ يتنقل بين مصر ومالطة ولندن وتونس

والاستانة ، جعل الدهر يبسم له افقاً بعد افق ، وهو يزداد علواً واشراقاً ، الى آخر حياته .

* * *

ولهذا ، قال واصف عبقريته وسادن كعبته ، مارون عبود مشيراً الى تعالي استاذه (احمد فارس) في الرتب والنعم ، بين باي تونس ، والخليفة : «وجاء تونس ، فغرق في نعمة الباي . قلده اسمى المراتب ، وعهد اليه برئاسة تحرير جريدة « الرائد التونسي » و « مديريـة المعارف » . ثم اسلم وتسمى احمد ، وتكنى « بأبي العباس » ، وطار صيته في الشرق والغرب ، فطمعت الآستانة به ، فطلبه جلالة السلطان من سمو الباي ، فجاء الآستانــة مكرماً مبجلاً ، بعد سير وراء ذلك الحمار بين «بسوس» «وبشامون» «وعين‌عنوب»[1] وغيرها ، فها هو في قصور اسطمبول ينعم غارقاً بين الزهور والعطور بعد ما كان يسير وراء حمار وصفه بقوله ...» (صقر لبنان ص ٩٧) .

* * *

بلغ احمد فارس ذروة مجده في الآستانــة ، مقرباً من السلطان الخليفة ، مرموقاً بالتجلة من كل ناحية ، فأكرمه السلاطين ولا سيما عبد الحميد، فأحاطه بالرعاية والاوسمة والرتب ، فضخم اسم احمد فارس وبَعُد صيته ، وانطلقت مواهبه فوق كل انطلاق سابق ، وأصدر جريدة «الجوائب» التي كانت تصدر من ضفاف البسفور وتجوب العالم الاسلامي،وعواصم العالم الغربي، وهناك ثلاث صحف اسلامية بلغن السنام الاعلى في الذيوع والانتشار في الربع الاخـير من القرن الماضي : «الجوائب» لأحمد فارس في الآستانة ، « والمؤيد » للشيخ علي يوسف في القاهرة ، « وثمرات الفنون » للسيد عبد القادر القباني في بيروت ، وتعاصرت هــذه الصحف مدةً ما . وتولى بالاضافة الى اصدار « الجوائب » ادق عمل ثقافي في ذلك الوقت ، وهو تصحيح « الطباعة الشاهانية » وهذه تحتاج الى كفاية علمية نادرة . وطبع من كتب التراث العربي شيئاً كثيراً ،

---

(١) قرى في قضاء عاليه من لبنان .

واتسمت مطبوعات « الجوانب » بالرونق والاتقان الى ما وراء الغاية ، وبمثل هذا ايضاً امتازت مطبوعات اليسوعية في الوقت نفسه . وظلت « الجوائب » تصدر نحواً من ٢٣ سنة حتى احتجبت سنة ١٨٨٤ قبل وفاة صاحبها بنحو ٣ سنين .

* * *

انطفأ نيزك لبنان بعد قليل تاركاً وراءه من الكنوز ما لم يستطع ان يتركه احد غيره .

* * *

ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس

نعود الى ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس .

وأول ما ينبغي الاشارة اليه ، هو ان احمد فارس قام بهذه الترجمة قبل ان يسلم ويتسمى احمد ، ويكنى بأبي العباس .

ونستطيع الآن ان نعلم جملة مراحل حياته بعد خروجه من لبنان [1] :

١ – خرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو في الحادية والعشرين ليجتنب مصيراً سيئاً بسبب اخيه اسعد .

٢ – أقام في مصر نحواً من ٣ سنين ثم انتقل الى مالطة سنة ١٨٢٧–١٨٢٨.

٣ – في مالطة أقام ١٤ سنة . في مصر جعل يلتمع وفي مالطة يزداد التماعاً .

---

(١) يقول مارون عبود ان الفارياق عاد الى لبنان خلسة سنة ١٨٣٧ (اي ايام مقامه في مالطة ، ووجود ابراهيم بن محمد علي في الشام) ولم يطل مكثه في لبنان وفي احد المجالس قال لجلسائه : « ان رأس الفقير ليس باضيق ولا اصغر من رأس الامير . وان يكن هذا اكبر عمامة واغلظ قذالاً . ارفعوا فرق المذاهب من بينكم ، فذلك ادعى لكم الى الحظ والسرور . اعلموا ، هداكم الله، ان فرق الآراء في الاديان لا يمنع من الالفة والمخالتة (الفارياق طبع باريز ص ٤٦٣) .

٤ – حوالي ١٨٤٢ طلبته وزارة الخارجية ليعاون « الدكتور لي » في ترجمة الكتاب المقدس ، فذهب الى لندن وأقام فيها سنوات وقام بهذا العمل الخطير ، خير قيام .

٥ – بعد اقامته في لندن ، تحول الى باريز ، وليس لدينا تاريخ ذلك ، ولا ندري ايضاً كم بقي في باريز حتى لقي بأي تونس ، وبعد اقامته في تونس السني التي كتبت له هناك ، وبعد اسلامه ، لبى دعوة السلطان فنراه سنة ١٨٦١ في الآستانة وهو يرتقي الى أعلى أوج من عز بلغه . وتصدر « الجوائب » في الاستانة ١٨٦١ وامتد به الشوط الى نهاية حياته في الاستانة .

* * *

وذكر مارون عبود من اسماء مؤلفات الفارياق (اكثر من ٢٠) مؤلفاً ، اهمها « سر الليال في القلب والابدال » ، و « الجاسوس على القاموس » و « منتهى العجب في خصائص لغة العرب » وهذه في اسرار العربية علا فيها علواً ضاهى به الأئمة المتقدمين وله « غنية الطالب »في الاعراب والقواعد والصرف والنحو .

هذه قافلة . واما « الساق على الساق فيما هو الفارياق » في عدة اجزاء فدنيا وحدها . وهذا الكتاب طار كل مطار ، وغيثه مدرار وهو صفحة الرجل من ألفه الى يائه في طبعه وعلمه وملاحظته ومجونه . طبع في باريز ، ثم في مصر بعد الحرب العالمية الاولى ، وعلم انه يطبع في بيروت اليوم طبعة انيقة . هذا الكتاب قافلة ثانية ويجري وحده .

القافلة الثالثة هي كتبه التي طواها على وصف الحضارة وعاداتها ومجتمعها في رجالها ونسائها . « كشف المخبّا عن فنون اوروبا » و « الواسطة في معرفة احوال مالطة » .

والرابعة بقية كتبه في الادب والشعر والنوادر والمقالة الصحفية اللامعة ،

وجمع من مقالاته وطبع سبعة اجزاء تؤلف ثروة فكرية سياسية ادبية ليس لها نظير .

والقافلة الخامسة كتاب خطير حول التوراة ، لم ينشر قط ، ويقول مؤرخه ابو محمد مارون عبود ان هذا الكتاب مفقود .

وقافلته الكبرى ، ترجمة الكتاب المقدس ، وهذا ما انتهى بنا الكلام اليه بعد ان استوفينا من الفارياق جملة مناحيه المتقدمة .

* * *

هذا الموضوع المتعلق بترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس ، يهمنا من ناحية الادب العربي ، او التراث ، او تعدد العبارة المترجمة للتوراة . ونكرر ، انه حري بالقارىء العربي ان يحيط بمجمل هذا الامر كله ، قدر المستطاع .

ونوزع الكلام فقرة وكل فقرة تنطوي على معنى او ناحية :

١ – لترجمة الكتاب المقدس اليوم عبارتان في العربية ، عبارة الترجمة الاميركية ، وعبارة الترجمة اليسوعية ، وقد تقدم الكلام على كل منهما .

٢ – ترجمة احمد فارس الشدياق لم نقف عليها ، ولا هي في الوجود المحرز ، ولا في اي متناول ، على ما هو ظاهر ، ولا نعلم احداً من العرب المعاصرين في لبنان قد وقف عليها ، ولا نعلم شيئاً من السبب فى احتجابها بعد ان طبعت ، الا ما يجوز تقديره ، وللقارىء رأيه في ما نقوله في هذا الصدد . ولو كانت هذه الترجمة في المتناول اليوم ، لكان للترجمة ثلاث عبارات ، واذا جاز لنا ان نضيف كل عبارة الى صاحبها من حيث البيان ، كانت هذه العبارات الثلاث تنصرف هذا المنصرف :

١ – عبارة الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير الحسيني في الترجمة الاميركية .

٢ – عبارة الشيخ ابراهيم اليازجي في الترجمة اليسوعية .

٣ – عبارة الشيخ احمد فارس الشدياق في الترجمة التي تولتها « جمعيه ترقية المعارف المسيحية » البروتستانتية في لندن .

٣ – ترجمة احمد فارس الشدياق هي اسبق الجميع في الظهور ، لكن في بلاد الانكليز لا في بلاد العرب .

٤ – مصادر علمنا عن ترجمة احمد فارس الشدياق ، التواتر المتواصل منذ منتصف القرن الماضي وقليل من المصادر المطبوعة .

٥ – اسباب انطواء ترجمة الفارياق ، تدخل طبعاً في بحث هذا الموضوع بحثاً علمياً مجرداً . غير اننا هنا لسنا في هذا الصدد بشيء ، ولا سبله ميسورة اذا ابتغيناه ، وهذه الاسباب نقدرها تقديراً وهي، على ما يظهر ، ان الجمعية التي كان يمثلها «الدكتور لي» في لندن لترجمة الكتاب المقدس ، لما رأت ان المترجم قد «اسلم» في تالي حياته ، وهو وحده كان مضطلعاً بعبء العمل، مع الدكتور لي ، فرأت أنه اولى بالترجمة ان تطوى، بعد ان طبعت ، ولا توضع في التداول . يرّد على هذا : وهذا الشيخ الاسير ، قد اشترك مع فانديك في تنقيح ما تركه الشيخ ناصيف، فكيف يحلل الأمر في بيروت ويحرم في لندن. والجواب ان هناك فرقاً بارزاً لا ينكر بين شركة الأسير الجزئية في بيروت، والمقدم بعد كل حساب هو فانديك ، وبين استقلال الفارياق بالعمل وحـــده وهو لا شريك له ، ولا رأي ينسخ رأيه ، او يعـــدله ، او يأبى قبوله الا الدكتور لي ومباشر الترجمة هو احمد فارس . ثم هناك فرقاً بين البيئة الفكرية في لبنان وبيئة الدكتو لي في لندن .

٦ – وضع الفارياق كتاباً ضخماً طواه على آرائه في قضايا كثيرة وردت في التوراة . وهذا الكتاب لم يطبع قط ، واختفت نسخته المخطوطة . وقد تكون آراء الفارياق في بعض المسائل الواردة في التوراة لا تتفق ورأي غيره من الناس . فاذا اضفنا هذا الى ما قلناه في الفقرة السابقة كان من الاثنين وجهة نظر لها وزنها عند فريق الدكتور لي .

٧ – كان الفارياق يذهب في تفسير القضايا الدينية، في المسيحية والاسلام مذهباً عقلياً، او «معتزلياً»، اذا جاز التعبير. وهناك نقاد في كل عصر للمسائل الدينية، على هذا الغرار. اما في الاسلام، فقد قال مؤرخه مارون عبود ابو محمد انه لا يؤمن بالوحي ويخطّىء ما لا يسلّم به العقل» (صقر لبنان ص ١٠٧).

٨ – عبارته الناقدة، اللاذعة، الحريفة، شائعة في ادبه، وهو لو جرّد من هذا الطبع لهبطت قيمه الأدبية الى ما فوق القعر بقليل. وعند ناقديه من رجال الدين، هذه هي علته، وعند قارئيه من العلمانيين هذه هي ميزته في ادبه، وشارته في تصاويره، الا مابلغ الغلو فهذا على الجملة غير مستملح ولا مستحب كما يقول فريق. أما مؤرخه الصيرفي الجهبذ الخبير، الحار المتحرر، مارون عبود، فمع استاذه الفارياق، اشراقاً باشراق، ومشتاقاً بالعقل الى مشتاق. هذه هي الحقيقة ودع عنك سجعة «الساق على الساق» فالشرر المتطاير من مطرقة الحداد على السندان، غير الوميض من البرق في الابراق.

٩ – هذا التقدير الذي نعرضه في هذا المعرض للاسباب التي حالت دون السماح لترجمة الفارياق في الانطلاق، ودعت الى استردادها وجمعها وطيها بعد ان بلغت الاسواق، مدة محدودة، اذا جمعنا بعضه الى بعض لعله يفسر لنا ما يسأل عند القارىء العربي. وقد نرى عما قريب بحثاً مستفيضاً في هذه المسألة لغيرنا، يكشف فيه من الستار ما تظهر معه خوافي الاسرار.

* * *

١١ – وما قلناه حول ترجمة الفارياق للكتاب المقدس، انما يتعلق بالناحية الادبية البيانية في التراث العربي، لا اكثر. واما انكماش ترجمة الفارياق فخسارة لا في بلاد الانكليز بل في بلاد العرب.

قال القس سيكل سيل صاحب «المرشد الى الكتاب المقدس» في نهاية الفصل الذي عقده على الترجمات العربية الحديثة. وجعل هذا ختام كلامه :

« وقد ترجم الكتاب كله المعلم فارس الشدياق بعناية ونفقة الجمعية الانكليزية المعروفة بجمعية ترقية المعارف المسيحية ، وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ ، ثم طبع العهدان ايضاً سنة ١٨٥٧ في مدينة لندن » (المرشد ص ٦٤) .

ونرى ان القس سيكل سيل ، مع ايجازه القصة هذا الايجاز ، لم يتطرق بشيء الى ناحية المصير الذي لاقته ترجمة الفارياق .

وقد ذكر مارون عبود في « صقر لبنان » نماذج مستطابة ، لذيذة ، فكهة ، من مذهب « الدكتور لي » في اختيار العبارة بحيث لا تكون موشاة بشيء مما يشبه القرآن الكريم او الحديث الشريف فارجع الى هذا اذا شئت (ص ٩٤ – ٩٦) واضحك !

* * *

اما اجمال الكلام ، لا اشباعه ، في عبقريات الفارياق فيحتاج الى كراريس قد تبلغ الكراديس ، ويظل الرجل كلما اقبلت على افق منه انجلى لك منه افق آخر ، وآفاقه لا تنتهي . من شاء ان يزوره ، فضريحه بجانب الطريق العام في الحازمية .

* * *

قال العبقري ابو محمد مارون عبود في نهاية (صقر لبنان) : —

« وشاع عند العوام ان الشدياق قديس (هذا لما فُتح التابوت فاذابالفارياق بعد خمسين سنة كأنه ما فارق : صورته كاملة ، لكنها صامتة ، وشعر لحيته وحواجبه هو هو !) لان جسده لم يبل . فخطر لي ان اكتب كلمة حول الموضوع ، فتخيلت انني اخطب الناس على قبر الشدياق يوم يوبيله، فكتبت :

قلت: وهذا الذي كتبه ابو محمد يقع في نحو من صفحتين من كتابه « صقر لبنان » ، طواه على عتبة ابي العباس ومناجاته ، في عبارات يتضوع منها

ارج الوفاء . وليس هذا هو الميزان . بل لا اعتقد ان احـداً يقوى على مثل هذه المناجاة ، غير ابي محمد ، وهو بالغ اعلى درجات السلم ، في العالم قاطبة ، لا في لبنان وحده ، في معرفة قدر المناجى العظيم . واول تحية جميلة رقيقة، اسديت الى الفارياق بعد خمسين سنة من وفاته، هي هذه العبارات في الصفحتين ونصف الصفحة من « صقر لبنان » . رحم الله ابا العباس ، وابا محمد مارون

ومارون عبود في جماع ما كتب ونقد ، قطعة من الفارياق ، ومـا اشبه المعدن بالمعدن ، وبعد خمسين سنة قد يغدو الناس يتكلمون في موضوع رصانة الفكر والادب ، من جهة ابي محمـد ، كما تكلموا ولا يزالون يتكلمون من جهة ابي العباس .

انتهى الجزء الرابع وبه انتهى الكتاب

فهرس

فصول الجزء الثالث

فهرس

فصول الجزء الرابع

* * *

فهرس الاعلام

(الجزء الثالث والجزء الرابع)

المراجع العربية

(ما عدا ما اشير اليه في مساق الكلام والحواشي داخل الكتاب)

* القرآن الكريم
* « الكشاف » للزمخشري
* الطبري (المطبعة الحسينية المصرية)
* الكتاب المقدس (الترجمة الاميركية)
* الكتاب المقدس (الترجمة اليسوعية)
* قاموس الكتاب المقدس
* « دائرة المعارف » للمعلم بطرس البستاني (مادة العبرانيين)
* « تاريخ العرب قبل الاسلام » جرجي زيدان
* « تاريخ العرب قبل الاسلام » الدكتور جواد علي
* « ابو الانبياء الخليل ابراهيم » – عباس محمود العقاد
* « المنار » – مجلة – السيد محمد رشيد رضا (١٨٩٨ – ١٩٣٥)

* * *

* « تقرير اللجنة الملكية ١٩٣٦ »
* « تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة البريطانية » – المذكرة التي قدمتها الحكومة البريطانية ١٩٤٧ الى لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين – ترجمة الدكتور فاضل حسين . بغداد ١٩٥٦
* « وعد بلفور » – محمد اختر ترجمة محمد يونس الحسيني

* * *

* « رحلة بنيامين » – ترجمة عزرا حداد – بغداد ١٩٤٥
* « فلسطين والتقرير الانجليزي – الاميركي ١٩٤٦ » – نقد وتعريف للدكتور زكي صالح – بغداد ١٩٤٧
* « الصهيونية » – نجيب نصّار صاحب « الكرمل » ١٩١٢
* « همجية التعاليم الصهيونية » – بولس حنا مسعد ١٩٣٨
* « حول تاريخ الأنبياء عند بني اسرائيل » لمؤلفه م ص سيجال ترجمة الدكتور حسن ظاظا الاستاذ بكلية الآداب في جامعة بيروت العربية – ١٩٦٦
* «فلسطين والغزو التتري الجديد» وزارة الثقافة والارشاد – بغداد١٩٦٤
* « مدخل الى اسرائيل » : الاعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٩٤٧ – تأليف الان ر . تايلور تعريب – شكري محمود نديم – وزارة الثقافة والارشاد – بغداد ١٩٤٧
* « اليهودية العالمية من زمن ابراهيم الى وقتنا الحاضر » – دار الثقافة دراسة الدكتور رياض بارودي
* « الخطر المحيط بالاسلام – الصهيونية وبروتوكولاتها – » للجنرال جواد رفعت الكاتب التركي – ترجمة وهبي عز الدين – بغداد
* « الجمعيات السرية » – علي ادهم – دار المعارف مصر ١٩٥٤

* * *

المراجع الإفرنجية

— World Conquest Through World Government :
Protocols of The Learned Elders of Zion.
Victor E. Marsden الطبعة الثانية والثمانون ١٩٥٨

— The Nameless War,
Capt. A. H. M. Ramsay
الطبعة الرابعة ١٩٦٢

— The Hidden Government,
Lient - Col. T. Greagh Scott
الطبعة الثانية ١٩٦٢

— Deadlier Than The H Bomb,
Wing Commander, Leonard Young
الطبعة الثانية ١٩٥٧

هذه الكتب الاربعة تعنى بالبروتوكولات ومحورها والمخطط اليهودي العالمي .

* * *

— Zionism and The Future of Palestine ; The Fallacies and Dangers of Political Zionism. Morris Jastrow, **1919.**

— Nisi Dominus,
Nevill Barber, **1946.**

— Who Knows Better Must Say so,
Elmer Berger, **1955.**

— The Zionist-Israel Juridical Claim To Constitute «The Jewish People» Nationality Entity and to Confer Membership in it : Appraisal in « public International Law ».
W. T. Mallison Jr.

كتـــاب جاسترو وكتاب برغر إلمر ينتمي مؤلفاهما الى المجلس اليهودي الاميركي المناهض للصهيونية وغايتهما ان الصهيونية باطلة تناقض اليهودية المستقيمة . اما باربر ، وقد اشرنا اليه مراراً ، فكتابه من خيرة الكتب في وصف التواء السياسة البريطانية الموالية لليهود والكشف عن شرور الصهيونية - ١٩٤٦ . امـــا ماليسون فبحثه احدث بحث واقعي علمي في بابه على ضوء القانون الدولي .

كتب المذكرات

— Fifty Years In Palestine,
France E. Newton, 1948.

— Orientations,
Ronald Storrs
الطبعة الرابعة ١٩٤٥

— Memoirs,
Herbert Samuel
الطبعة الثانية ١٩٤٥

— Trial and Error,
Chaim Weizmann
الطبعة الرابعة ١٩٥٠

— Palestine Diary,
Col. Kisch

مراجع اخرى

— Two Studies In Virtue,
Christopher Sykes, 1953.

— Encyclopaedia Britannica.

— Jewish Encyclopaedia, 1904 - 1905.

— Bible Handbook,
Henry H. H. Hally
الطبعة العشرون ١٩٥٦

— A History of Civilization In Palestine,
R. A. S. Macalister, 1921.

— To Jerusalem,
Count Folke Bernadotte.

— Woodrow Wilson,
Frances Farmer, 1958.

المؤلف وكتبه الأخرى

* خرّيج « معهد الحقوق الفلسطيني » (القدس ١٩٢٥)
* عمل في «المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى» في فلسطين ١٩٢٣ - ١٩٣٢
* صاحب مجلة « العرب » الاسبوعية ومطبعتها ١٩٣٢ – ١٩٣٦
* ممارسة المحاماة من ١٩٣٥ فصاعداً
* مدير القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية ١٩٤٠ – ١٩٤٤
* مساعد رئيس الديوان الملكي في عمان ١٩٤٩ – ١٩٥٠
* مدير « دار الاذاعة الاردنية » ١٩٥٠ – ١٩٥١
* مدير المطبوعات في الحكومة الاردنية ١٩٥١
* مترجم « حاضر العالم الاسلامي » للعلامة لوثروب ستودارد الاميركي وهو الكتاب الذي أمسى بالتعليقات المستفيضة لكاتب الشرق أمير البيان الامير شكيب ارسلان معلمة عربية اسلاميــة . الطبعة الاولى ١٩٢٤ والثانية ١٩٣٣ . في مجلدين (القدس)
* «النظام السياسي » – مترجم – ١٩٣٢ (القدس)
* «العراق او الدولة الجديدة» – مترجم ١٩٣٢ (القدس)
* سيرة «التنوخي» ١٩٦٢ (بيروت)
* «ابو جعفر المنصور وعروبة لبنان » ١٩٦٢ (بيروت)
* «بروتوكولات حكماء صهيون» – في مجلدين ١٩٦٧ – (بيروت)

عنوان المؤلف : رأس المتن – لبنان

AJAJ NUWEIHID,
Ras - el - Metn, Lebanon.